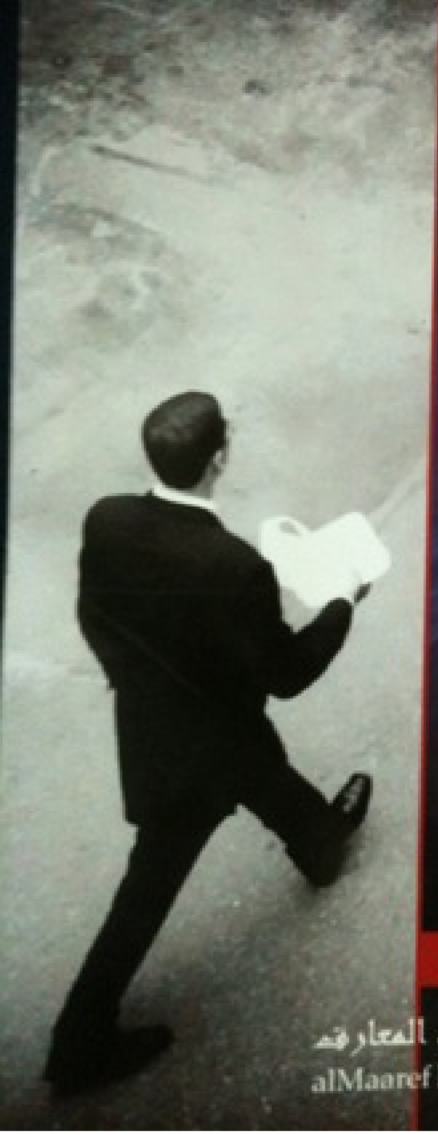

# زوار السفارات

رواية

محمد بن صالح الشمراني

منتدى المعارف
alMaaref Forum

**كتيبةُ** مقالات تستهدف كبير القضاة لفتواه ضد مُلاّك الفضائيات: إقالة الشخص المستهدف..!

**كتيبة** مقالات أخرى تستهدف مفتياً ضد الاختلاط: إقالة الشخص المستهدف..!

**كتيبة** مقالات جديدة تستهدف مفتياً آخر أفتى بأن الاختلاط يتضمن محرمات قطعية: إغلاق موقع الشخص المستهدف..! مؤسسات أجنبية تملك تحديثاً مستمراً بتفاصيل ما يجري في مكتب أحد القضاة السعوديين في قضية أعراض شهيرة، من هو المراسل المحلي الذي يمدها بالتفاصيل ياترى؟! كاتبةٌ سعودية تعلن إلحاح سفارة أجنبية على إقراضها ماتريد.. مسؤول أمني كبير يعلن اكتشافه علاقات لبعض الكتّاب بسفارات أجنبية. الخ الخ..

**هل** نحن ياترى إزاء أحداث اعتباطية تجري هكذا أم أن هناك تنظيماً؟ وهل نحن أمام كتّاب صحافة أم أننا أمام بيادق تفهم الإشارات وتتحرك طبقاً لها؟

**هذه** الرواية المبتكرة "زوار السفارات" هي أول عمل سردي سعودي حاول جمع الخيوط واستكشاف العلاقات الغامضة. الشيء الذي أنا متأكد منه أن هذه الرواية ستربك الخطة حتماً..

**إبراهيم السكران**

**منتدى المعارف**

بناية "طبارة" - شارع نجيب العرداتي - المنارة - رأس بيروت
ص. ب: ٥٢٨٥ - ١١٣ حمرا - بيروت ٢٠٣٠ ١١٠٣ - لبنان
هاتف: ٧٣٩٨٧٧ (١-٩٦١)
فاكس: ٧٣٩٨٧٨ (١-٩٦١)

123456789101 2

محمد بن صالح الشمراني

# زوّار السفارات

رواية

منتدى المعارف
alMaaref Forum

«جميع الشخصيات الواردة في هذه الرواية هي من نسج الخيال ولا تمت للواقع بصلة وأي تشابه في الأسماء أو الأحداث هو صدفة ليس إلا. كم إن الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر منتدى المعارف»

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنتدى المعارف

الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٠

الطبعة الثانية، بيروت، ٢٠١١

الطبعة الثالثة، بيروت، ٢٠١١

**تصميم الغلاف: ريَّان**

**منتـدى المعـارف**

بناية «طبارة» ـ شارع نجيب العرداتي ـ المنارة ـ رأس بيروت

ص.ب: ٧٤٩٤ ـ ١١٣ حمرا ـ بيروت ٢٠٣٠ ١١٠٣ ـ لبنان

بريد الكتروني: info@almaarefforum.com.lb

## لافتة

ليست «**الرواية**» دوماً.. نسجاً من الخيال!

# إهـــداء

إلى السيدة الفاضلة (أحياناً).. **عبير البدر!**

وإلى باحة فندق (الأنين) الشهير بالبحرين، ذلك الفندق الزاهي، الذي احتضن ترنحاتها، وهذيانها المطبِق!

وإلى السيد الفاضل (نادراً).. **ياسر الواصلي**؛ تحيةً وإجلالاً لنخوته العربية، ومبادرته الشهمة بحمل السيدة **عبير** إلى غرفتها بالطابق الرابع، و(رفضه) دعواتها الملحّة للدخول معها، لِفعل ما يُفعل، وما يُبهج الخاطر!

**إليهما**..

وإلى كل زوار السفارات، والمواخير.. أهدي هذه (الرسالة)!

**محمد**

mohd@alshamrani.com

## بالأحمر..!

كثيرات يشتكين من أن كثيراً من «المتحررين» و«المثقفين» و«أصحاب الرؤى الواعية». . يريد أن ينام معها، يريد أن يصاحبها، يريد أن يصادقها، ولكنه يفاجؤها يوما ما بأنه لا يستطيع أن يتزوجها، لأنه لا يريد أن يتزوج امرأةً متحررة.

يريد أن يصل منها إلى **لذته**، لكنه ينبذها، ويبحث عن ابنة قبيلته!

**منصور النقيدان، بتصرف**
**برنامج حديث الخليج ـ قناة الحرة**

## أشد احمرارا ..!

أحد الكتاب الليبراليين. . اتصل بي إحدى المرات **الساعة «الرابعة» فجراً**، بعد أن أرسل لي رسالة بالجوال يخبرني أنه سيكتب عن حملتي!

يتصل عليّ الساعة الرابعة فجراً؟!

ماذا يريد مني بالضبط في هذا الوقت؟!

**روضة اليوسف، بتصرف**
**برنامج «مثير للجدل» ـ قناة أبوظبي**

# الفاتحة الأولى

## أدبــاء الفنــادق!

«**الفندق الأحمر**»؛ هكذا اصطلحوا على تسميته، على مقربة من الكورنيش، كانت ليلةً (حمراء) ملتهبة. . كاسْمه.

نزل «**الأدباء الثلاثة**» إلى بهو الفندق، بالكاد تحملهم أقدامهم، كانوا يهذون بكلام لا يفهمونه، ضحكاتٌ متتابعة من دون سبب، يتدافعون بكل خفة، أحدهم. . تناصف رأسه شيباً، كان يضحك بشكل هستيري، ويضرب صاحبَه على قفاه.

إلى «**مسبح الفندق**»؛ تتأرجح خُطاهم، فقد فعل الـ (Black Label) فعلته، يُحسّون بنشوة مختلفة هذه المرة، يُحلِّقون بعيداً، تخفّ أجسادهم، لا يُقنعهم سوى «المستورَد». . بقامته الممتدة الرشيقة، فالمحلِّي جودته متدنية، ولا يشفي الغليل!

شاهَدوهن؛ كُنّ جالساتٍ حول المسبح مع جَمْع من المثقفين والأدباء، إحداهن كانت تلبس بنطالاً ضيقاً للغاية، كانت تجلس باسترخاء حميمي، اِلتهبتْ حماسة الثلاثة، كانوا لا يفكرون سوى بشيءٍ واحد، إطفائِه، ذلك اللهيب المستعر، ولو علانية، فما الفرق؟!

توجهوا إلى إحدى الفتيات، لم تكن عقولهم حاضرة، تلفظوا

بكلمات وضيعة.. من تلك التي يُستعاض عنها بالنقط!

«**الأديب الكبير**».. مدّ يده نحو الفتاة، حاول سحبها إليه، ودعوتها إلى مكان يتمناه، وجد منها ممانعةً، وذهولاً، تلمّس بعض أجزاء جسدها بكل وقاحة، كان يهذي بكلمة يرددها مراراً، لا يعرف معناها أحد: «**فـ و و ثا.. فو و و ثا** »، ثارت ثائرة الفتاة، صاحت بأعلى صوتها، غير مصدقة ما يجري، فهو نفسه الكاتب الصحافي والأديب الشهير، المدافع عن حقوق المرأة في كل مناسبة.

...، توالت الصيحات، وتجمهر الحاضرون!

**نقل مباشر من هناك**

# الفاتحة الثانية

## أُمنيـة!

كان يستقل سيارته الأمريكية الصنع، مُلتفاً حول جبال «**السودة**» بعسير، كان الجو غائماً، ولطيفاً.. بما يسمح بانْسياب المشاعر بكل صدقٍ وشفافية!

عند المنعطف؛ شاهد عدداً من الأطفال.. يُلقون بقايا الطعام للقردة التي أحاطت بسيارتهم، اِلتفتَ إلى التي بجواره، يراها ملاكاً طائراً، ليست من طينة البشر، فبرغم فارق السن الذي يفصل بينهما، إلا أن ذلك لا يهمه، فيكفي أنها ما زالت تمتلك عينين خضراوين، وشعراً حريرياً يميل إلى الحُمرة، وصوتاً أنثوياً ساحراً، وسحنةً غربية مميزة، فذلك كفيل بإخفاء ما تبدّى من فوارق.

سألها أن تتأمل معه منظرَ تلك (القردة) أسفلَ المنحدر، مشهدٌ راقَ له كثيراً، سِفَاحٌ علني، هرجٌ ومرج، صراخٌ وعويل.. اقترب أكثر بسيارته، يريد ألا يفوته أي مشهد، يحب رؤية «كافة التفاصيل»، تذمر لها بحرقة، أخبرها أنه لا يستطيع بسهولة أن يتخذ صديقة له في هذه البلاد! فضلاً عن أن يخرج معها بشكل علني، ما زال المجتمع رجعياً حدَّ التخلف؛ هكذا أوحى لها.

سرح بخياله في منظر تلك القردة، تابع حركاتها، وصنائعها، وانفلاتها الجنسي المطلق، أطلق زفرة من عُمقه، وصارحها في حديث حميمي نادر: «**إليزابيث.. كم أتمنى أن أعيش مثل هذه القرود**».

The New York Times

نيويورك تايمز الأمريكية

# ١

«السادة **أعضاء حزب أمريكا** في العالم العربي..

أعرف أن ما منكم من أحد سيُقرّ بالانتماء لهذا الحزب المنتشر من الخليج إلى المحيط، ولكنكم ستهتمون بقراءة خطابي هذا، فأنتم بيننا، نتبادل معكم الرأي في مجالسنا ومقاهينا المشغولة هذه الأيام بتلمس مخرج من أزمات تراكمت وإحباطات سادت»

**جمال خاشقجي ـ رئيس تحرير صحيفة الوطن**
**صحيفة الوطن، العدد: ١٢٢٩**

أبداً.. لم يكن يتوقع في يوم من الأيام أن تكون حاجته في سجنٍ جنائي، **كسجن الدمام المركزي!**

هي المرة الأولى التي يدخل فيها السجن زائراً، لم تكن زيارته عادية، ولا متيسرة، احتاج لشفاعة أحد الضباط، ولعشر دقائق فقط، كان ينظر في عيني النزيل، يترجاه أن يُفصح له عن أسراره، أن يُخبره الحقيقة، حتى لا يقع في ما وقع فيه، لا يتخيل نفسه خلف القضبان، مكانٌ كئيب للغاية.. ليقضي فيه ما تبقى من حياته.

كرر استجداءه: «**أرجوك.. أخبرني**»

لم يرد عليه السجين، سنواتُ سجنه علّمته الصَّلَف، واللامبالاة بمشاعر الآخرين، لم يكن كذلك! تبدلت رقة طبعه، ونضارة وجهه، أصبح لا يأبه بمظهره، ولا بصحته، حدّث نفسه: «**غريبٌ أمر هذا العالَم، أصبح الأحرار يلهثون خلفي!**»، كان يتفحص هذا الزائر الغريب، علمته الأيام ألا يثق بأحد: «**ولكني لا أعرفك، ولست مضطراً لإدخال نفسي في متاهات جديدة، خصوصاً مع غريب مثلك!**»

«**أرجوك، أنا أحتاج مساعدتك، اسألهم عن أحمد الجلال، الكل يعرفني، ويعرف نزاهتي، وتاريخي**»، كان ينظر إليه باستجداء مهين، يعتبره ورقةً أخيرة، جرَّب المحاولة مع آخرين تورطوا في قضايا مشابهة، الكل تهرّب منه، البعض أنكر القصة جملة وتفصيلاً، أحدهم طرده من منزله حين فاتحه بالموضوع، أردف راجياً: «**أنا لا أريد أية معلومات حساسة، لا أريد تفاصيل قضيتك، أريد فقط أن أعرف كيف يمكن أن يوقع بي ذلك المجمع الثقافي اللعين؟! ما هي أساليبهم في الانتقام، كيف يمكن أن يبتزوني؟ أرجوك، ستُدمَّر حياتي بالكامل إن لم تساعدني، أرجوك..**»

كان النزيل يتأمله بدقة، لم يشعر بأي تعاطف نحوه، تذكر طفلتيه،

زوجته، والدته المقعدة، حنّ لعشه الصغير، ذلك العش الهانئ، الذي حُرمه لسنوات، وحرم معه البهجة والسرور، تبقّى سبعة أشهر على انقضاء محكوميته، كان يميل إلى تصديق هذا الزائر الغريب في ما يقول، إلا أن صوتاً في داخله كان يحذره، ربما هاجس الرهبة الذي لم يستطع التخلص منه، إلا أنه قرر رغم ذلك أن يحادثه بالعموميات، بأمورٍ مُثبتة في سجل قضيته، فلن يخسر شيئاً: «**اسمع يا أحمد الجلال، عليك أن تصغي إلي جيداً، سأتحدث لمرة واحدة فقط، من دون تفصيل، ولا مجال للأسئلة**».

ابتهج لتجاوب السجين معه، فقد كان مُحبطاً للغاية، لم يتوقع أن يَحدث ذلك أبداً، هز رأسه موافقاً، وتحفز لسماع حديثه.

قال السجين بصوت أقرب للهمس: «**هناك أمور كثيرة.. كثيرة جداً**»، ثم أخبره بأن لدى **المجمع الثقافي** العديد من الأساليب التي يمكن أن تمثل مصدر خطر حقيقي على من يريدون إسقاطه، فهم بالعادة يمارسون رقابة لصيقة وموثقة على كل من يعمل معهم، يبحثون عن نقاط ضعفه، ويستثمرونها بدهاء، ثم ختم حديثه بكلمات هزت أحمد الجلال كثيراً، كان يتحدث ببطء، وحذر: «**راجع تاريخك معهم، راجعه بدقة.. الحفلات الخاصة، العلاقات العاطفية، الصفقات المالية، الرشاوى.. إنهم يوثقون كل شيء بالصوت والصورة!**»

## ٢

«كنتُ دائماً أنظر إلى مثقفينا وكتّابنا على أنهم «**نبلاء**» لا يكذبون ولا يتلوّنون! وأن لهم كرامة وعزة نفس لا يملكها غيرهم، ولم أكن أتخيل أن بهم «**وصوليون**»!!

وعندما اقتربتُ من هذا **الوسط الثقافي**، وتعاملتُ مع بعض المثقفين فيه.. اكتشفتُ أنني **عشت كذبة كبيرة**، وأن الإنسان الناقص يبقى إنساناً ناقصاً حتى وإن حمل شهادة عليا، وإن قرأ ملايين الكتب، وأنا هنا لا أعمم فهناك من يعمل في هذا الوسط ومن يقرأ ومن يكتب ويملك أخلاقاً نبيلة وقد كنت محظوظة بمعرفة بعض هؤلاء الشرفاء (القلة) الذين أفخر بمعرفتهم ولكن الكفة الأخرى كانت هي (الأثقل) وهي (الأعم) وهي التي سببت لي هذه الصدمة وهذا الألم.

**للأسف أقولها وأنا أحترق ألماً على عالمي الذي خِلته جنة من جنات الدنيا**.. هذا العالم الذي يحمل الكذابين والمنافقين والوصوليين و«**النّسوَنْجيّين**» وهذه الكلمة وحدها كارثة.. كارثة على هذا الوسط الذي يفترض به أن يكون وسطاً ثقافياً راقياً».

**أميرة القحطاني ـ صحيفة الجزيرة (المجلة الثقافية)**
**بتصرف، العدد: ٢٥٩**

ركب سيارته لا يلوي على شيء!

كانت كلمات ذلك السجين تدوي في أذنيه: «**راجع تاريخك معهم**»، كان يُسائل نفسه؛ هل بالفعل سيكونون بهذه الدرجة من الخسة والنذالة؟! هل سيلوون ذراعه بمغامراته العاطفية المتعددة؟! وهل سيكون ضحيةً جديدة لذلك المجمع الثقافي؟!

نظر إلى وجهه في المرآة، تفحّص عينيه، شعر بذبولهما السريع، كانتا محبطتين، لطالما دوّخ بهما قلوب الفتيات، وأَسَر بها ألبابهن!

استعرض شريط حياته، تذكر تلك الحفلات الصاخبة داخل أروقة المجمّع، كان يشرب كثيراً، ويثمل كثيراً، ويأثم كثيراً، كم حدثوه عن طيشه وهو ثمل، وبحضرة العديد من الفتيات: «**هل يُعقل أنهم قاموا بتصويري على تلك الأحوال؟!**»، حدّث نفسه.

تذكر رحلاته المتكررة إلى البحرين، الحفلات الخاصة التي كانت تُهيأ لهم، كانوا يَدْعون عدداً من فتيات بلده، ويلعبون حتى خيوط الفجر، النفقات مدفوعةٌ بالكامل، سنواتٌ طويلة على هذه الحالة، لم يكن يتحفظ على شيء، أو يطلب الستر، بل كان على النقيض من ذلك، كان يُفاخر ويتغنى ببعض مغامراته!

أغمض عينيه!

براكين الخوف تحرق قلبه!

تفكّر.. ماذا لو نشروا كل ذلك على الملأ؟

هل يكفيه أن يتوارى عن الأنظار؟!

أو أن يَنفي نفسه في بلاد نائية؟!

أو حتى ينتحر؟!

تذكر أنه زوَّد هذا المجمع الثقافي بمعلومات (مهمة) عن العديد من الشخصيات، وسرّب لهم كثيراً من المعلومات الحساسة، كان لا يرد لهم أي طلب، يدرك فعلاً أنه متورط حتى أذنيه، كان يعلم منذ اللحظة الأولى أن التعاون مع هذا **المجمع الأجنبي** خطر للغاية، وقد ينهدم في لحظة ما جمعه في سنوات، فمجرد تسرب أي إشاعة تشكك في وطنيته، وولائه.. سيجعله تحت دائرة الاتهام، والمساءلة، وربما العقوبة الشديدة، وستتبخر كل العطايا المجزية التي كان يتقاضاها.

رن هاتفه النقال، كانت نغمته تصدح بأغنيةِ **بي إيزي** الشهيرة للمغني الكندي (مساري)، صوته المفضل، يَطرب له، فهو يجمع بين جماليات الشرق والغرب، كان الاتصال كفيلاً برده إلى عالم الأحياء، فقد سرح بتفكيره بعيداً.

بقي عدة كيلومترات على مدخل **مدينة الخُبَر**، تلك المدينة الهادئة، شاهد «خزانات» أرامكو العملاقة.. كانت رابضة على يمينه في ملل، ويبدو بجوارها «برج» جامعة البترول في صمتٍ مطبق، عشرات من النخيل غُرست على طول الطريق، فأضفت عليه طابعاً عربياً خاصاً.

عندما يمر من هنا.. ثم يشاهد ذلك **المبنى الكبير**؛ فإن قلبه ينقبض، وتتقافز إلى لسانه كل بذاءات القول!

بداخل هذا المبنى.. يسرح ويمرح بعض خصومه، تمنى لو يحترق، أو يسقط عليه شيءٌ من السماء، أو حتى يقتلعه ماردٌ من جذوره، فيجعلَ عاليه سافله!

كان يقترب من الدخول إلى **شارع الظهران الرئيسي**، لمح **مجمّع الراشد** على يساره، لم يتفحص جنباته هذه المرة، بل كانت عيناه

تزوغان ببلاهة، رنّ هاتفه النقال للمرة الثانية، والأغنية تصدح بنشاز، إنه رفيق دربه **سامح مروان**، خبير الحاسب الذي قرر أن يستعين به خصيصاً للمساعدة في تنفيذ خطته، لم يكن يحب أن يُظهر الضعف أمامه، اجتهد في أن يكون صوته مرحاً كالمعتاد: «**أهلاً بالجميل.. ابن الجمال والدلال**»

«**يبدو أن السجون تصفّي الخواطر!**»، قال سامح.

«**بالفعل، تفتح النفس.. خصوصاً من داخلها**»، رد ضاحكاً، حاول أن يجعل ضحكته تبدو طبيعية، وأضاف: «**لا أريد أن أطيل عليك، أنا في طريقي إليك، وسأخبرك بالتفاصيل**».

كان مما يميزه عن غيره.. أنه يمتلك شخصية متحدّية، ولا يمكن أن يتنازل عن حقوقه بسهولة، كان يحب أن تكون الأضواء دوماً مسلّطة عليه، لا يرضى بأن يكون ظلاً أو حاشيةً لأحد، أبرزه المجمع الثقافي، وأعلا من شأنه، لم يكن شيئاً مذكوراً، ثم.. أصبح يكتب في أشهر الصحف المحلية، ويُستضاف دوماً في العديد من المحافل والمناسبات، كما إن اسمه أَلِف الظهور الفضائي، أقنع نفسه أنه «مؤمن» بجميع أفكار المجمع الثقافي، وأنها من صميم قناعاته ومبادئه، لم يحدث ذلك إلا بعد امتلاء رصيده البنكي، وبعد أن ترقّى حتى صار من عملاء التميز الذين يُحتفى بهم!

سنوات طويلة على هذه الحال.

إلا أن المجمّع الثقافي لم يرضَ عن تاريخه بما يكفي، فما زالت البلاد لم تتشرب أفكارهم كما ينبغي، وعجلة التغيير بطيئة للغاية، فقرر الرجل الأقوى في المجمع أمراً.. ساء أحمد كثيراً!

لما علم أحمد بنيّة أصحاب القرار في المجمع بتنحيته من مكانه،

والاستعاضة عنه بشخصية جديدة، وإعادة هيكلة «فريق التنوير» في المجمع، منذ اكتشافه لهذا الأمر.. أضمر لهم سوءاً، لم يكن يستطيع النوم أحياناً، أحس بالمهانة، والخيانة، سيرمونه كعقب سيجارة، ومن ثم سيدوسونه، ويمضي الجميع، ويُنسى اسمه، ورسمه، وكأن شيئاً لم يكن!

أَقسَم.. بأن ذلك لن يحدث!

سينهار كل شيء في لحظة!

قرر ألا يتنازل بسهولة، لن يكون مَركباً سهلاً، يتحكم فيه الغرباء، فهو يرى أنه ابن هذا البلد، وهو الأحق به، ولا يمكن أن ينحني لهؤلاء الغرباء: «**بعد كل هذه التضحيات التي قمتُ بها من أجلهم؛ يريدون إقصائي بهذه السهولة!**»، حدّث نفسه.

إلا أنه تذكر أنه في موضع ضعف، فكيف سيجابه المجمع بمفرده؟! وما هي الحدود التي يمكنه فيها شفاء غليله؟! كما إن المجمّع قد يستخدم تلك الصور والوثائق ضده، ويسقطه للأبد!

«**هذا إذا كانوا يملكون شيئاً بالفعل، فما زال ذلك مجرد احتمال!**»، حاول أن يبعد شبح الخوف عن نفسه.

تأتيه خطراتٌ تدفعه لقبول الأمر الواقع، والرضوخ لقرار **توماس**.. إلا أنه حينما يتخيل نفسه منعزلاً في بيته، لا يحفل به أحد، ولا تستقبله الجموع، ولا تلهج بذكره الصحف، ولا تتسابق الفضائيات لاستضافته، عندما يتذكر ذلك كله، ويتذكر رصيده البنكي.. فإنه يزداد عناداً وإصراراً على تنفيذ فكرته!

قرر بأن خير وسيلة للدفاع هي الهجوم المباغت، فبدأ منذ عدة أيام بابتزاز المسؤولين في المجمع الثقافي بالعديد من المعلومات التي

يعرفها عنهم، قام بإرسال عدة «**رسائل ابتزازية**»، كانت تصلهم باسم مستعار، ويطلب منهم مبالغ مالية، ويهددهم بنشر الكثير من أسرارهم الحساسة!

لم يكن يكترث من تجاهل المجمع لها، فمجرد إغاظتهم، وإدخال التوجس في قلوبهم.. يعتبر مكسباً لديه.

يمتلك العديد من الخفايا والأسرار، فهو ربيب هذا المجمع، وابنه المدلل لسنوات عدة، كانوا يعتمدون عليه في الكثير من الأمور، قام باستقطاب العديد من الأقلام المحلية، استمال إليه العديد من المواهب، وذوي الجاه والشهرة، إلا أن هذه الورقة الرابحة آن لها أن تُرمى وتهمَّش، فلم يعد المجمع يرضى كثيراً عن طريقة إدارته كما في السابق، بل أصبح يسبب لهم العديد من المتاعب، عناده، شخصيته المشاكسة، جرأته الزائدة، خصوماته مع أقرانه، كل ذلك جعل أصحاب القرار في المجمع يعيدون النظر في ارتباطهم به.

فكَّر أن يواجه توماس مباشرة، ويساومه بمبالغ مالية طائلة.. مقابل سكوته، وقبوله بالتنحية، إلا أنه اعترف لنفسه أنها فكرة جريئة للغاية، وقد تكون ـ كذلك ـ غبية للغاية؛ فقد تسهل مهمة توماس في إسقاطه مباشرة!

قرر أن يبتزهم بطرق أكثر ذكاءً وإحكاماً، لذلك قام بالاستعانة بصديقه المخلص **سامح مروان**، فهو خبير إلكتروني من الطراز الرفيع، ولديه مواهب متعددة في هذا الجانب، اتفقَا أن يكون الابتزاز إلكترونياً فقط، وبطرقٍ لا يمكن اقتفاء أثرهم فيها، كان يؤمن بقدرات سامح، فاعتمد عليه في هذا الشأن.

قام أحمد برحلة مكوكية لزيارة عدد من **ضحايا المجمع الثقافي** القدماء، كان يريد أن يعرف طرقهم في تصفية من يعترض دربهم،

أو يحاول التشغيب عليهم، زار عدداً من الشخصيات التي اختفت من الساحة الثقافية «**فجأة**»، ولم يعد يُسمع لها خبر، كلهم أعرض عن تزويده بأية معلومة، أحس في أعينهم الخوف، والريبة، تنكروا له، عدا ذلك السجين الطيب، عندما تحدث بإيجاز شديد، ونبهه إلى أمور كانت غائبة تماماً عن ذهنه!

في الأيام الأخيرة، وبشكل مربك؛ كان يُكثر من استدعاء صورة **توماس هول**، المسؤول الأبرز عن الحِراك الثقافي في ذلك المجمع، هو خلف كل هذه المصائب، انقلبت مشاعره نحوه، كان يقدسه بغلوّ، ويذكره دوماً على لسانه، ويفخر بصداقته، إلا أن ذلك تبدل في لحظة، بعدما علم أنه خلف محاولة إقصائه، تمتم بشكل لا إرادي: «**لعنة الله عليك!**».

منزل صديقه سامح يقع في **حي اليرموك**، خلف فندق **مريديان الخبر**، شعر أنه وصل بصورة أسرع مما ينبغي..

في الأسبوع الأخير.. كثر شرود ذهنه، فأصبح يهيم في كل اتجاه!

روحه تتألم بشدة، إلا أن جسده يطمرها بالتحامل!

نفسه تضجّ، وابتسامته تزوِّر الحقيقة، وترسم خيالات تسحر العين!

هذا التناقض.. ابتدأ منذ لحظة «**التحول الأولى**»، وسيظل التناقض حتى يفنى أحدهما، أو يفنى!

لا يدري لماذا تلحّ عليه ذاكرته دوماً باستعراض لحظات نشأته وصباه، كان يرى نفسه متشدداً ومتطرفاً، تذكر ذلك اليوم الذي ترك فيه الدراسة النظامية، لم يكن يحمل سوى «الشهادة المتوسطة»، ولم يكن يقبل بالوظائف الحكومية، فراتبها سحتٌ حرام، استعرض بطولاته في تكسير واجهات المراكز النسائية،

تذكر ملياً مشاركته في إحراق محلات الفيديو، وإفزاع وتهديد أصحابها!

لم يكن يصلّي خلف إمام راتب، يعيد صلاته إن أُحرج أحياناً، كان شعره طويلاً بشكل ملفت، يتركه من دون تهذيب، سُجن مراراً، وله صداماته الشهيرة.

هكذا كان.. ثم انتقل إلى النقيض من ذلك كله!

بعد أن طوى أفكاره الأولى، وكفّن تاريخه القديم، وسارع بدفنه في مكان سحيق!

# ٣

«التدخل «الخارجي» عند تقاطع المصالح.. شرعي ومطلوب ومرغوب!

فأهلاً بالحرية، وأهلاً بالديمقراطية، سواء جاءت على ظهر «جمل» عربي، أو على ظهر «دبابة» أجنبية»

**شاكر النابلسي، صحيفة إيلاف**

عاد السجين إلى زنزانته، لم يواجه أغرب من هذا الموقف منذ دخوله السجن، شعر بأنه تحدث بأكثر مما ينبغي، فهل سيؤثر ذلك على مجريات قضيته؟!

أقنع نفسه بأن ما فعله لا يعدو أن يكون كلاماً عابراً، ولن يؤثر بشيء، حدّث نفسه: «**أحمد الجلال! يا ترى هل هو مهم ومشهور كما يقول؟! آه.. تباً لهذا السجن، فقد خطفني من كل شيء حولي، فلم أعد أعرف أي شيء، لم أعد أعرف أعيان بلدي، ست سنوات، لقد تغير المجتمع كله!**»

مر به حارس العنبر، كان جندياً صلف الملامح، حادّ النظرات، لا يتحدث كثيراً، ولا يلتفت كثيراً، وغالباً لم يعرف للبشاشة والإحسان أي معنى، خاطب السجين بكل تهكم: «**يبدو أنك شخصية مهمة، إلى الحد الذي يأتي بالمشاهير إلى باب زنزانتك!**»

تردد السجين، ثم قال: «**أنا.. أنا كذلك بالفعل، لكنني في المكان الخطأ، أقصد في المكان غير المناسب، فأحمد الجلال هو صديق طفولتي، صديقي المخلص، جاء لزيارتي، ولتجديد العهد، لم ينسني أبداً، لقد.. لقد كانت زيارته ممتعة جداً**»، تمنى أن تنطلي عليه كذبته، فهو لا يعرف شيئاً عن أحمد الجلال هذا!

إلا أنه أراد أن يجعل له يداً في حسن المعاملة، ورفعة المنزلة، أو هكذا اعتقد.

رد الحارس باستغراب، واحتقار: «**أنت!! ما الذي تهذي به؟! ومن هو هذا أحمد الجلال الذي تتحدث عنه؟!**»

«**إنه صديقٌ قديم.. صديقي الذي كان هنا، أقصد.. الذي زارني قبل قليل**»، رد السجين بارتباك.

نظر إليه الحارس باستغراب، وقال بنبرة مستعلية: «**اسمع.. أنا لا أحب الدخول في حوار تافه مع مَن هم دوني، عموماً.. ضيفك الكبير أخبرنا بأنك تعاني مشكلة نفسية مستعصية، وقد اقترح علينا أن نخضعك لعلاج نفسي مكثف، فيبدو أنك بدأت تدخل مرحلة الخرف المبكر**»، رماه بنظرة مستحقرة، ثم أردف: «**أحمد الجلال!! يبدو أنك كنت في حلم غبي، أصلاً.. لا يوجد شخص يحمل هذا الاسم!**».

## ٤

«**السفارة الأمريكية** زارتني أكثر من مرة، وحاولوا معي أكثر من مرة، وطلبوا يعطوني دعماً مادياً، ويعطوني قروضاً، ويعطوني تسهيلات كسيدة أعمال، ورفضتها، وزارتني القنصل أكثر من مرة في مكتبي»

**حصة العون ـ كاتبة وسيدة أعمال سعودية**
**برنامج «عيشوا معنا» ـ قناة «إل بي سي»**

خلعتْ **عبير** عباءتها، كانت مطرزة بعناية فائقة، وفق أحدث الموديلات، وأكثرها إثارة للانتباه، سارعت بالاستلقاء على سريرها، يومٌ حافل في **كلية الطب**، كم تحسّ بأن الزمن بطيء للغاية، خصوصاً عندما تحلم باللحظة التي تتسلم فيها وثيقة التخرج. .

وضعت يدها على خدها، وشرعت في العبث بملاءة السرير الحريرية، تُدرك بأنها تمتلك جاذبية خاصة، **وغمّازتين** فتنت الأصحاب كما يرددون، الكثيرون حاولوا التقرب منها، والظفر بودها، أحدهم أرسل لها رسالة إلكترونية على بريدها، كانت رسالة حميمية جداً، إلى الحد الذي وصف فيها أدق ملامح جسدها، وسرح بخياله معها بعيداً.

**عبير البدر**، تدرس سنة الامتياز في كلية الطب، بجامعة الدمام، اشتهرت بكتابة الشعر منذ سن مبكرة، تتمتع بذكاء حاد، وجمال ملفت، لم تكن عبير تحب إغضاب أحد، مرهفةً كانت، طغت عليها المجاملات المفرطة، كانت تصد المعجبين برقة، وتبدي أحياناً عتبها على بعض تصرفاتهم، لم تكن معتادة على هذا الجو في بداية التحاقها بالمجمع الثقافي، كان ضميرها يؤنبها كثيراً، نشأت مُحافِظة، كحال السواد الأعظم من المجتمع، لا يرضون أن تكون المرأة «نفاية» يَرمي فيها الكل فضلته، ولكن عبير. . أَلِفتْ عبير هذه الأجواء مع مرور الوقت، خصوصاً بعد وفاة والدتها.

تتذكر مواقفها مع الكاتب الشهير **ياسر الواصلي**، تتذكرها بحنان بالغ، وذكريات حلوة، فعطفاً على أنه يتمتع بمظهر جذاب؛ إلا أن له يداً عليها، استطاع أن ينتشلها من عالمها المغمور، ليصعد بها إلى عوالم الشهرة والأضواء، يقشعر جسدها عندما تتذكر أول كلمة عاطفية قالها: «**أتعبَتْني غمازتاكِ.. يا عبير**».

أنوثتها تتفجر، وتستحيل بركاناً هائجاً.. حينما يتهادى إليها همس الحبيب.

تتذكر عندما كانت تكتب في **منتدى الفكر والحرية** الإلكتروني، كان يرسل لها «رسائل خاصة»، يشكرها على مقالاتها وقصائدها التي يصفها بالعبقرية، كان متحفِّظاً جداً في البداية، يُظهر رأيه مجرداً عن عاطفته، ثم بدأ يراسلها عبر البريد الإلكتروني، بمواضيع ثقافية متنوعة، حتى توطّدت علاقتهما.

ثم.. تجرأ ودعاها أولاً لمصاحبته في زيارة **مكتبة العبيكان** بالدمام؛ للاطلاع على جديد الإصدارات، ثم تتابعت لقاءاتهما، البحرين.. كانت متنفساً جيداً، وعدها بتقديمها لعالم الأضواء، وتخصيص مساحة مناسبة لقلمها.

كان يحرص على حضور اجتماعات منتدى الفكر في إحدى شاليهات الخُبَر، فعبيره أول الحاضرين، يحس بدفء ماتع إذا رآها، تكفّل بطباعة ديوانها الأول، وعرض عليها بعثةً خارجية لإكمال دراستها، فمكالمة واحدة مع **صاحب المعالي**.. كفيلة بتسهيل كل عسير.

كثيراً ما كانت تُمنّي نفسها بالتعرف عليه، كانت مغرمة به، تواقة للقرب منه، تُتابع مقالاته باستمرار، تتبنى وجهة نظره من دون شك، وها هي الآن أصبحت صديقته المدللة، ورفيقة أنسه وطربه: «**كم أنا محظوظة به**»، قال قلب عبير.

ملأ حبُّه عينيها، وأخرس كلَّ صوت، فأضحت لا ترى ولا تسمع إلا من خلاله، ولا تُصدّق أي وشاية ضده، حتى وإن كانت مُثبتة لا جدال فيها.

هكذا يكون الحب في عنفوانه.. يشتعل، ويشتد، وتُبصره كل العيون!

ثم.. ما يلبث أن يتضاءل، ويَخفت، وتندرس كل أطلاله!

لا تدري لماذا تذكرتْ ذلك الموقف معه، كانا سوياً في **مقهى النيسكا** بالخبر، يُفضِّل ياسر أن يلتقيا في هذا المقهى الفاخر، المصمم باحتراف وابتكار، لم يكن مجرد مقهى عادي، بل كان مركزاً ثقافياً متميزاً، تتوافر فيه العديد من الكتب المتنوعة، والجلسات الخاصة المعدة للقراءة والبحث، جلسا في إحدى زوايا المقهى، دوماً يتصل بصاحب المقهى ليحجز له هذا المكان بالذات، كان يرتشف شراباً ساخناً، **كوفي موكا**.. شرابه المفضل، والمزين بالكريمة، وبودر الشوكليت.

ركز عينيه في عينيها، يراها دوماً بعين الرضا، هي من ألهبت روحه بعد (ركود) طويل، وهي من أشعل خاطره بكل تصاوير الحب والأشواق: «**عبيري، موعدنا غداً.. حضورك أهم شيء عندي.. على الإطلاق**»، قال ياسر.

كانت تعلم أن حضورها كذلك، فقد أدركت أن حبها تملّك قلبه، أردف قائلاً: «**سنقوم بعرضٍ مرئي، سُجِّل خصيصاً لأعضاء مجموعتنا، سيستشهدون بإحدى قصائدك، كنموذج للأدب الراقي، هذه المادة سجلت خصيصاً في المغرب**»، قالها مبتسماً، وبنبرة أقرب إلى الهمس.

«**حبيبي، شكراً، أنا.. أنا.. لا أعلم كيف أرد لك جميلك**»، قالت عبير، سرعان ما يتورد خداها حينما يشرع في التغزل بها، أو عندما يتفحص ما علا من جسدها، أضافت: «**الصراحة.. أنا لا أستطيع أن...**».

سكتت عبيرُ فجأة!

استغربتْ من ارتباك ياسر!

فقد تغيرت ملامح وجهه.. حين لمح أحدَهم مع عائلته، يعرف وجهه، رآه في مكان ما، ربما كان أحد جيرانه، لا يتذكر بالضبط، تظهر عليه سيما التدين، لحيته، ثوبه، زوجته المحجبة، التقت عيناه بعيني ياسر، بادله الرجل نظرة عتاب، يفهم ياسر مغزاها جيداً.

الكاتب الشهير ياسر الواصلي مع فتاة يافعة! هكذا فكر الرجل، وقال بصوت بالكاد يُسمع: «**الله يهديك يا ياسر**»، ثم صرف عينيه سريعاً.

«**عبير.. ما رأيك أن نخرج من هنا، لم أعد أحتمل الجلوس**»

## ٥

«كانت بدايتي عبر الشبكة العنكبوتية في أحد **المنتديات الليبرالية الشهيرة**، ذات الطابع الفكري، حيث لقيت تشجيعاً كبيراً من «بعضهم»، وتمت مراسلتي للالتقاء في إحدى الاستراحات بمدينة الخبر، وكان معنا شخصان في الاستراحة؛ أكبر منا سناً بكثير، يُنظِّمان كل شيء، ويُعتبران مرجعية عُليا، لم نكن نعرفهم، ولا نعرف من أسمائهم إلا الكُنى فقط!

وكانوا يجهزون لنا رحلات مجانية للبحرين، بصحبة فتيات سعوديات.

...، ومن ثم ابتدأت قصتي مع الليبراليين!

حتى أصبحت **مشرفاً** في هذا المنتدى، وحدث بعدها ما حدث، حتى زرتُ «**شخصية كبيرة**» في منزله!»

**ن. ح**
**(في حديث خاص)**

«خلاص.. خلاص.. يا عبير!

**لقد حطَّم أنوثتي! لا أريده أن ينشر لي أي شيء في صحيفته بعد اليوم، ولا أريد أي تغطية من جانبه، خلاص.. لا أريد منه أي شيء! أُقسم بأنه أرهقني يا عبير، أرهقني بشكل لا يمكن تصوره!**

**تعبتُ من كثرة طلباته «الخاصة»، فهو لا ينشر لي أي خبر.. إلا بعد أن أسدد له «الثمن»!»**

كانت عبير تستمع إلى شكواها عبر الهاتف، وتضجّرها المخنوق، أحست بموجة نشاطٍ تجتاحها، ستكون هذه القصة «الساخنة» محور نقاشها مع أصدقائها، سيتفاجأ الجميع من طلبات هذا المحرر الصحافي «الشهير»، واستغلاله المفرط لهذه الإعلامية «الشهيرة»!

ضحكتْ عبير في نفسها، لم تكن تتخيله «لحوحاً» إلى هذه الدرجة، ولم تكن أيضاً تتخيلها «مُشاعة» إلى هذا الحد، أنهتْ عبير مُحادثتها معها، إلا أن كلامها ما زال يرن في أذنها، وتتردد أصداؤه: «**أُقسم بأنه أرهقني يا عبير!**»، لم تستطع عبير كتم ضحكاتها، عزمت على إخبار ياسر بكافة التفاصيل، سيضحكان طويلاً، وربما سيراجعان أرشيف هذه الصحيفة، لمعرفة كم هي (المرات) التي نشر لها ذلك المحرر!

تناولتْ عبير جريدتها المفضلة، ستبدأ بقراءة عمود ياسر اليومي، على الفور.. تتجه إلى الصفحة الأخيرة، وتلتهم مقاله بشغف، اقتربت أكثر.. لتتأمل صورته، كم قبّلتها، وكم ضمتها إلى صدرها، تستحضر صورته دوماً، وتراه بعين المحب المدنف.

توالت زياراته في الفترة الأخيرة، وتوثقت علاقتهما!

كثيراً ما يقترب منها حدّ الالتصاق، يعطِّرها بأحلى كلام، ويَصعد وإياها إلى أعلى عِلِّيين!

هناك.. بقايا ابتسامته، وبعضُ عطره، وأعقاب سجائره..

أغمضت عينيها: «**من كل قلبي.. أحبك**»

أتمت عبير قراءة مقاله، ثم بادرت بكتابة رسالة نصية، أرسلتها إلى هاتفه النقال، تود لو ترسل وردةً معها.

كتبتْ:

«**حبيبي.. صباحكَ سكّر**

**ما أروع ما كتبت، شكراً لحرفك الأنيق..**

**قبلةٌ.. ووردة حمراء**

**عبيرك**»

توالت رسائل الشكر واتصالات التأييد على هاتفه النقال، اعتاد ذلك بعد كل مقالةٍ (مثيرة) يكتبها، كثيراً ما يكون ذلك حافزاً له على مواصلة المسير، وعلى تلمُّس الإشارات التي تُرضي أصحاب الشأن والعلو، فيوقن حينها أنه يسلك الدرب الصحيح!

تناولت عبير الصحيفة مرة أخرى، تأملت المقال، كان يحمل عنواناً مثيراً: «**الشرطة الدينية.. إلى متى؟!**»، كتبها في اليوم التالي للقائه مع عبير في مقهى النيسكا.

قرأتْ خاتمة المقال مرة أخرى: «**...، يمارسون دوماً مبدأ الوصاية على المجتمع، ويُطْبِقون الخناق على أفراده، ومن ثم يدوسون على كل مبادئ الحرية الشخصية!**

فقد اتهمني عضو الهيئة في زوجتي التي كانت ترافقني، أَمَرها بفظاظة أن تُخرج ما يثبت أنها زوجتي، هل رأيتم وقاحة أشد من هذه؟! ثم ما لبث أن رفع صوته علينا، وبادر بطردنا من المقهى، على مرأى ومسمع من جميع الحاضرين!

إنها قمة الإهانة، والقهر، والجاسوسية! ولن أسكت حتى استعيد كافة حقوقي!».

## ٦

«(العنوسة) خير ألف مرة من الزواج من رجل في هذا الشرق البائس!

فذكور العرب غالبيتهم مقصيون حتى العنق، و مخصيون منذ الصغر، لا يقوون على العطاء، لذلك فهم عاجزون عن إنجاب حياة كريمة و فاضلة لأي كان. لا استثناءات في تلك القاعدة، فهي تندرج تحت نظرية فاقد الشيء لا يهبه أبدا!»

**وجيهة الحويدر**

**الحوار المتمدن، العدد: ٨٥٥**

وقف سامح عند عتبة باب منزله، مسح بيده على شعره، أعاده للوراء برقّة، يفعل ذلك حينما يسرح بخياله، كان ينتظر قدوم صديقه الأثير، القادم من زيارته السريعة للسجن، لديه أخبار مثيرة بلا ريب.

**سامح مروان؛** مهندس حاسب متميز، تخرّج قبل خمس سنوات من جامعة البترول، ويعمل في قسم أمن الشبكات، بإحدى الشركات المحلية الكبرى، كما إنه كاتب متميز في العديد من منتديات «الهاكرز» العالمية، ليس لديه اهتمامات ثقافية محددة، جل وقته منصبّ على متابعة الجديد في أنظمة الحماية والاختراق.

افترَّ ثغره عن ابتسامة عريضة، وهو يرى صديقه يتهيأ للنزول من سيارته: «**أهلاً.. أهلاً بروّاد السجون**»، قال سامح.

«**يااه.. ما أحلى أن يكون الإنسان حراً**»، قال (أحمد الجلال)، وشرع في ضرب الأرض بقدمه بطريقة استعراضية.

أمسك سامح بيد صديقه، أصر أن يُدخله المنزل قبله: «**الحمد لله على السلامة**»، رد سامح.

«**أرجوك! اسألهم عن أحمد الجلال، الكل يعرفني، ويعرف تاريخي، سيتدمر تاريخي بالكامل، أرجوك**»، أعاد تمثيل المشهد أمام سامح بتهكم، رافعاً يديه كهيئة المتضرع، وهازاً رأسه باستجداء مُتقن، كان يتحدث بمرحٍ ظاهر في فناء بيته: «**الصراحة يا سامح أنني.. أهنتُ نفسي أكثر من اللازم، صحيح أنني حصلتُ على بعض المعلومات المهمة منه، إلا أنني أحسست أن كرامتي تبخرت في الهواء!**»

رد سامح ضاحكاً: «**ومتى كانت كرامتك تهمك لهذه الدرجة أيها المراوغ؟! تفضل، تفضل**»، اقتاده بيده، وأدخله غرفة الضيوف، ثم

أردف: «**وهل شك فيك أحد؟! هل لاحظ أحدهم أي شيء مريب؟!**»

رد بضحكة عالية: «**وهل تتوقع أنني ساذج إلى هذا الحد؟!**»، ثم بادر بارتشاف كأس ماء بارد، حرارة المنطقة الشرقية لا تحتمل في الصيف، يتناقل الناس دوماً أخباراً بتجاوزها حد الخمسين درجة، والجهات المعنية تنفي كالعادة.

«**بالمناسبة.. اسم: «أحمد الجلال» رائق للغاية، كيف خطر ببالك؟!**»، قال سامح.

«**السجون.. مستودع الأفكار**»، رد ضاحكاً، ثم أضاف: «**لقد خطر ببالي أن تكون كل رسائلي للمجمع مذيلة بهذا الاسم، ما رأيك؟**»

أومأ له سامح موافقاً، ثم قال: «**أنا أنتظر بشوق.. تفاصيل زيارتكم الميمونة للسجن!**»

عدّل أحمد الجلال من جلسته، رغم مسحة القلق التي تعتريه.. كان وجهه الحنطي يشعّ إصراراً وتصميماً، بوادر «صلعته» تجعل الرائي يخطئ في تقدير سنه، فهناك تناقض بينها وبين وجهه الطفولي البريء!

استمعَ سامح إلى صديقه وهو يسرد أحداث زيارته للسجن، أخبره بأدق التفاصيل، يمتلك أسلوباً جذاباً في الحديث، كان يعرف سر جاذبيته الطاغية، كما يعرف أن أعين الفتيات كثيراً ما تتلصص عليه، وربما تتمنى الارتماء بين يديه، كان ذلك مما يُرضي غروره، ويجدد ثقته بمواهبه.

رن هاتف أحمد الذي يكاد لا يتوقف أبداً؛ المعجبون، الأصدقاء، الصحافيون، الفضوليون، أصبح الأمر لا يُحتمل!

الرقم غريب!

تردد في الرد، لكنه مضطر إلى الرد على جميع المكالمات هذا اليوم، فهو ينتظر مكالمة مهمة جداً، جاء صوت المتصل ضاحكاً، ابتهج أحمد عند تعرفه إلى شخصيته، كان المتصل يتحدث الانكليزية بلكنة هندية ظاهرة.

**«أهلاً.. أهلاً.. مستر راجي»**، قال أحمد.

**«أكيد.. أكيد»**، قال أحمد

**«بالطبع.. تود معرفة ماحدث في السجن يا مستر راجي، سأخبرك بكل التفاصيل الصغيرة»**، قال أحمد ضاحكاً، ثم أردف: **«لديّ الكثير من الحديث لأخبرك به، سأزورك قريباً جداً، و.. وبالمناسبة؛ اسمي منذ الآن هو: أحمد الجلال! اسمٌ عصريٌ جميل، سيروق لك بلا شك»**، أتبعها بضحكة مدوية.

أتم محادثته معه، ثم توجه بحديثه إلى سامح: **«أصبح مستر راجي ورقتنا الرابحة داخل المجمع الثقافي، ربما سنضطر إلى دفع مبالغ أكثر مما نتخيل، أنا أعرفه.. استغلالي حتى النخاع!»**

رد سامح: **«المسألة بدأت تتعقد بالفعل، وتَنحى منحنىً أكثر خطورة»**، توقف قليلاً، ثم تجرأ على سؤاله: **«بعد كل هذه المستجدات.. ماذا ستفعل الآن؟!»**

قال أحمد: **«ماذا سأفعل؟! بالطبع.. لن أتراجع أبداً، كما ذكرتُ لك سابقاً، سأستمر في ابتزازهم، وتطفيشهم، سأهددهم بكل المعلومات التي أعرفها»**، كانت نبرة حديثه منفعلة جداً، يكاد الحقد يتبدى من عينيه: **«وسأحصل على كل الوثائق التي تدينني، إن كان هناك ما يدينني أصلاً، لديّ طُرقي الخاصة، سأجعلهم يندمون بالفعل»**.

**«توماس هول.. تباً لك!»**، ختم أحمد حديثه.

أحس سامح أن سؤاله قد أصاب صديقه ببعض التوتر، والانفعال الزائد، حاول تغيير مجريات الحديث، فقام بإحضار جهازه المحمول، رسالةُ ابتزازٍ جديدة، سيرسلها عبر البريد الإلكتروني.

يتصف سامح بالدقة والحذر، والتأني الشديد، لذا كان الشخص المناسب الذي اختاره أحمد لتنفيذ مهمته، وبالإضافة إلى كل ذلك.. فهو يتمتع بولاء صادق له.

قرأ أحمد العبارة بتأنٍ، سيضيف عليها بعض العبارات المستفزة، والمثيرة!

بلا شك.. سيفعل ذلك.

**«أرسِلها الآن لتوماس.. ذلك الكائن الحقير، المتعجرف، ولا تنس إرسال نسخة لكلابه الصغيرة، كلهم.. بلا استثناء».**

فضّل أحمد أن يضغط زر الإرسال بنفسه، كان يدرك أنه المنعطف الأكثر إثارة، وخطورة حتى الآن.

وليكنْ..!

فليس لديه ما يخسره بعد اليوم، سيستمر في ابتزازهم حتى النهاية، أية نهاية؟ لا يدري، لكنه سيحاول الحصول على أكبر قدر من المال، إن تمكن من ذلك، ومن ثم سيفكر ماذا سيفعل بعد ذلك.

وقبل أن يغادر أحمد منزل صديقه؛ بادر بقراءة الرسالة للمرة الأخيرة:

**«توماس!**

**يبدو أنك لم تأخذ تهديدنا الماضي على محمل الجد، لذا فقد قام بعض رجالنا بالعبث في بريدك الإلكتروني، وجدنا عدداً لا بأس به**

من الرسائل المهمة، سنُضيف ذلك إلى القائمة التي ستسقطك، يبدو أن علاقتك بالمثقفين، والسهرات الثقافية.. أكثر مما ينبغي!

نرجو الاطلاع على الملف المرفق، مجرد مسودة أولية عن التقرير الذي سنبعث به لقناة الجزيرة، وكذلك إلى العشرات من المواقع الإلكترونية، سيكون مدعماً بالوثائق، والصور، سيتلقفون الخبر بكل لهفة، ستكون مادة ساخنة وممتعة، وفضيحة مدوية بلا شك!

إن أكثر ما سيثير العالم، ويرفع رأسك وشعبيتك.. هي الصورة الثلاثية الرائعة، التي تجمعك بتلك الفتاة الفاتنة عبير البدر، والصحافي الأحمق ياسر الواصلي، أنا على يقين أنها ستحتل صفحات الغلاف لمدة طويلة!

ستكون خير مثال على امتزاج «الحشمة».. بالفكر «المستنير»!

لم نطلب الكثير، فقط.. خمسمئة ألف دولار، نعدك ألا يزيد الرقم كثيراً، بقي ثلاثة أيام، والأمر أولاً وآخراً بيدك!

المخلص

أحمد الجلال»

# ٧

«كنتُ أكتب شعراً عمودياً أفهمه ويفهمه البشر، فلم يكن يرضيهم، ولم يبادروا بنشره في صحفهم، وحينما كتبتُ شعراً «منثوراً» أشبه بالطلاسم، تعمدت أن أجعل بعضه غير مفهوم، وأحياناً لا معنى له، وضمّنته بعض المعاني الغربيّة مثل مسألة «الصلب» ونحوها، حينما فعلت ذلك.. وجدت ترحيباً منقطع النظير، حتى أنهم نشروه في أفضل مكان في صحيفتهم!

وهذه بعض أبيات قصيدتي:

**ما معنى أن أكسر قيدي لأحوّل صمت**

**الجدران قصيدة**

**أفهمها تفهمني.. أغرقها تغرقني**

**والمعنى مختبئ مذ كان المعنى في بطن الشعراء»**

ع. خ
(في حديث خاص)

نظر **وليام بول** إلى صورته في المرآة، اقترب بوجهه أكثر، هل بالفعل يمتلك قدرات متميزة في إرعاب الآخرين؟!

هكذا قيل له، وجهه الأسمر الداكن، شفتاه الغليظتان، أنفه المفلطح بشكل بارز: «**متاعب جديدة.. تباً لك يا توماس**»، تذمر وليام كثيراً من المهمة الجديدة التي كُلف بها، كاد أن يرفضها بالكلية، إلا أنه أدرك أن رفضه يعني الطرد النهائي من **المجمع الثقافي**، قطع عهداً على نفسه ألا يدخل في قضية تتبّع مرة أخرى، يكفي سجلّه السابق من القتل والتدمير، أراد أن يحياً بين البشر بصورة طبيعية، تذكر تلك المرأة التي قتلها في إسبانيا، لم يكن ينوي فعل ذلك، فقد كانت مهمته أن يسلّمها حية فقط: «**إلا أنها تستحق القتل**»، حدّث نفسه، فهي التي بادرت بإطلاق النار، ومن ثم عاجلها بطلقة واحدة فقط، استقرت في منتصف جمجمتها، تم على إثرها التكتم على القضية، ومن ثم نقله بعيداً..

إلى هنا، إلى حيث المجمع الثقافي.

كانت الأوامر واضحة، **وليام بول**؛ عليه أن يتعاون مع فريق التحري والبحث، كما سيتولى تتبع الجناة، والقبض عليهم إن لزم الأمر، فالمجمع الثقافي يتعرض لمحاولات صبيانية متكررة، لم يكن يُعرف مدى جديتها، وخطورتها، إلا أنه يجب أخذها على محمل الجد.

**وليام بول**؛ جندي سابق في جيش بلاده، تم فصله على إثر مشاجرة دامية مع رئيسه المباشر، يمتلك مواهب كثيرة، قناص ماهر، شكلٌ مرعب، مطيع ومخلص!

تلقفه بعض المتنفذين، واستخدموه في العديد من دول العالم، كان آخرها إسبانيا، قرروا إبعاده عن أي عمل مسلح، أحياناً يخرج

عن النص، فيسبب العديد من المتاعب، بالكاد استطاعوا تغطية قضيته الأخيرة، أتوا به إلى المجمع الثقافي، لأجل الحماية الشخصية لا غير، فالمنطقة هنا هادئة، ولا تشهد أحداثاً عنيفة، ولا صدامات مسلحة.

. . . ، إلا أن ذلك كان صحيحاً. . فقط، قبل هذه اللحظة!

## ٨

«مجموعاتٌ من الليبراليين.. فَهمت الليبرالية أنها الجزء «الأسفل» من الإنسان!»

**د. محمد الأحمري ـ برنامج إضاءات**

«توماس!

أنت ظريف جداً، خصوصاً عندما تكون على سجيتك، ومن دون تكلف!

أنا الآن.. أستمتع بمشاهدة «تسجيل» للحفلة الصاخبة التي أقمتموها في شاليهات التنوير بالخُبَر..

المسبح، القوارير، الحسناوات.. شيء يفوق الوصف، ويبعث البهجة في النفس، لقد كنتَ رائعاً بحق، وكان المثقفون المحليون من الجنسين.. هم أبطال الحفلة!

لكن.. يبدو أنك بتجاهلك لنا تُسهم في تأزيم الموقف!

كما إنك تشارك فعلياً في إحراق جميع أوراقك، وفضح كوكبة مهمة جداً من أصدقائك!

وبالمناسبة؛ أرجو الاطلاع على الملف المرفق، وستجد قائمة كاملة بأسماء كل من حضر هذه الحفلة، لتعلم مدى قوة مصادرنا، وجدية تهديداتنا!

بقي يومان، والأمر إليك!

طاب مساؤك.

المخلص

أحمد الجلال»

**٩**

«تُعلن (**التجربة الليبرالية**) عن نفسها بقوة وبلا مواربة، بل إلى حد الاجتراء على الجهر بالاستقواء الخارجي (الغربي بالطبع)، وعدم التردد في فتح علاقات سرية أو علنية مع السفارات الأجنبية، المهتمة بتغيير البنية الداخلية للبلاد، فضلاً عن المجاهرة بأفكار خطيرة، والنيل من شخصيات مهمة»

**د. سعيد بن ناصر الغامدي ــ**
**مجموعة عبد العزيز قاسم**

أعلن **توماس هول** انتهاء الاجتماع الشهري المغلق، يحرص على تغليفه بشيء من الغموض والسرية، فما يصدر عنه من قرارات.. تتصف بالأهمية، وأحياناً بالحساسية المفرطة. يتناول هذا الاجتماع عدداً من قضايا المجتمع المحلي.. التي تهم المجمع الثقافي، يدرسها، يحللها، يحاول تقديم الحلول المناسبة للارتقاء بها إلى مرحلة «**التنوير**»، يحضره عدد من «**الأحرار**» من الجنسين، ممن ينتسب لأهل هذا البلد، ويسمون هذا الاجتماع تفاؤلاً بـ «**لقاء الحرية**».

كان توماس يتفرس في أوجه الحاضرين عند انصرافهم، لا يحب أن يفوته أي مشهد، وضع يده على خده الممتلئ، لم يكن راضياً على مجريات الأحداث الأخيرة، يرى أن **تيار الحرية** بدأ يدخل في مرحلة ركود جزئي، صحيح أنه حقق مكاسب عديدة لم تكن تخطر له على بال، إلا أن هذا الركود يدق ناقوس الخطر، وينذره بمستقبل أقل ما يمكن وصفه بأنه «**صعب**».

يمتلك توماس هول شخصية قيادية مؤثرة، فهو من أولئك الأشخاص الذين لا يتحدثون كثيراً، لكنه إذا تحدث أنصت الجميع إليه، يمتلك صوتاً يميل قليلاً إلى الخشونة، وبُنية ضخمة متناسقة، مما أضاف له بُعداً مثيراً للإعجاب والرهبة في الوقت نفسه.

يحرص توماس على التأنق في ملبسه، فيحضر غالباً بزيِّه الرسمي الكامل، مما يُضفي عليه هالة من الاحترام والهيبة، ويجعل التظرف أمامه من المحرمات!

لم يكن **ياسر الواصلي** يتخلّف بدوره عن هذا الاجتماع، بل كان يُبكر دوماً في الحضور إليه، ويثري النقاش، كان يطرح العديد من

الأفكار المبتكرة، ويقوِّم جدوى عدد من المشاريع، إذْ إنه ابن البلد، والأدرى بشعابه!

تجلس عبيره عادةً بجواره، يأنسان ببعضهما، ويكمِّلان رأي بعض: «**تبدين شاردة الذهن هذا اليوم.. لم نسمع صوتك على الإطلاق!**»، قال ياسر.

ردت عبير بابتسامةٍ مُثقلة، تتكلف لجعلها عفوية: «**أنا بخير.. شكراً لاهتمامك**»

«**ولكن.. هل هناك ما يضايقِك؟**»

«**أبداً حبيبي، قلة نوم، وإرهاق.. لا غير**»

انشغل ياسر بهاتفه النقال، يَرِده دوماً سيلٌ من الرسائل من أناس لا يعرفهم، كانت تحمل مواقف متباينة من مقالاته وآرائه؛ بدءاً من الإغراق في المديح، والإطراء، وانتهاءً بالإسفاف في الشتائم، واللعنات!

«**تقول في مقالك الأخير.. بنفي الحقيقة المطلقة، وأنه لا أحد يمتلكها، وأن الأمر لا يعدو أن يكون نسبياً، حسناً. أسألك يا أستاذ ياسر: ما رأيك بالرسول الكريم، هل كان هو الآخر لا يمتلك الحقيقة المطلقة؟! أنتظر ردك**»، يوقن ياسر بأن بعض الرسائل تحمل قيمة فكرية، وإحراجاً لبعض اقتناعاته، ولكنه يحاول التبرير لنفسه بشتى الوسائل، وحتماً سيجد لها تأويلاً ذكياً.

لم يكن يتوقف عند أكثر هذه الرسائل التي تتتابع على هاتفه، رغم استمتاعه بها، وإحساسه بالنشوة عند تكاثرها، فهي دليل ملموس على حضوره القوي في الساحة الفكرية، وقف يتأمل إحداهن، كانت مختلفة عن سابقاتها، قرأها هذه المرة بتمعن، كَتَب مُرسلها:

**«حبيبي ياسر.. ما أشرفَ أن يموت المرء واقفاً!»**

سأل ياسر نفسه، وانساق خلف خيالاته: **«ماذا يقصد؟! وكيف يموت المرء واقفاً»**

وفي هذه اللحظات..

سمع الجميع صوت أغنية «**بي إيزي**» الشهيرة، كانت تصدح من هاتف أحد الحاضرين في الاجتماع المغلق، تم خفضُ صوت الأغنية على الفور، لم يكن يتمنى أن يتصل به في مثل هذا الوقت بالذات، تلفّت الرجل ذات اليمين وذات الشمال، تأكد أن أحداً لا يراقبه، ضغط على زر إجابة الاتصال: **«أنا مشغول، أنا في اجتماع، سأتصل بك لاحقاً»**، قال أحمد الجلال.

**«أنا بانتظارك.. الأمر مهم»**، قال سامح.

كان أحمد الجلال يدقق نظره في أوجه الحاضرين، كأنه يبحث عن سرٍ ضائع، أو عن كنز دفين، عاد سريعاً إلى مقعده، ابتهج في نفسه، ها هو يحضر أهم لقاءات المجمع الثقافي، وفي الوقت نفسه يمارس معهم لعبته الابتزازية!

اعترف أحمد في نفسه؛ فتوماس يمتلك هالة قوية، تمكّنه من أن يكون جاذباً لاهتمام من حوله، وتؤهله لأن يكون قيادياً بارزاً، إلا أنه ضعيفٌ أمام سحر الفتيات، شاهده يتلطف لعبير، ويحاول كسب ودها، حدّث نفسه: **«هل سيتمكن من عبير؟! وهل ستتحول إلى بائعة هوى كما يتنبأ البعض؟!»**، لم يكن يهمه ذلك كثيراً، فتركيزه منصبٌّ على أمر مهم جداً، يفوق اهتمامه بتوماس وتصرفاته!

**«يا عيون ياسر»**، قالها توماس ضاحكاً، وبلغة عربية مكسرة، اشتهرت هذه العبارة في المجمع الثقافي، لم يعد خافياً على أحد

تلك العلاقة الوثيقة بين عبير وياسر، دوماً يسميها «عبيرُ ياسر»، ارتبط اسمها ودورها بياسر الواصلي، كانت شاردة الذهن، لم تفقه كثيراً مما دار في الاجتماع، اقترب توماس من عبير: «**الليلة.. سهرة ترفيهية ماتعة، أرجو أن نبتهج بحضورك؟**»، قال توماس بنبرة خبيثة.

«**ومن يمكنه تفويت مثل هذه الفرصة النادرة؟! هي المرة الأولى التي سأدخل فيها منزلك..**»، ردت عبير بابتسامة خجلى.

عبير؛ وردةٌ.. حلوة المنبت، قُطفت، وقُذفت على قارعة الطريق، حتى صار يشمُّها كل أحد، ويدوسها في الوقت ذاته.. كل أحد.

تأملها توماس بإعجاب شديد، هو شخصياً من اختارها للعمل في هذا المجمع، أجرى مقابلتها الشخصية بنفسه، وراهن على نجاحها في مهمتها، تمتلك كل شيء؛ المؤهل العالي، المظهر الآسر، الأسرة الأصيلة، اللكنة الغربية المتقنة، والفكر «المستنير»، لا ينقصها شيء، سوى قليل من الجرأة، والتخلص من بعض «العوالق التراثية»!

أضافت عبير على استحياء: «**ذلك شرف لي سيد توماس، ستكون ليلة مختلفة بلا شك**»

قطع حديثهما سكرتيره الخاص: «**سيدي.. كل الترتيبات لحفلة الليلة جاهزة، تلقينا تأكيدات من جميع المدعوين بالحضور**».

**سكرتير توماس الشخصي**: كريست، يعمل في إدارة شؤون الموظفين بالمجمع، اتخذه توماس كسكرتيرٍ شخصي، يساعده في تنظيم مواعيده الشخصية، والعائلية أحياناً، ينظر كريست إلى سيده بإجلال مبالغ فيه، يحرص دوماً على حمل دفتر ملاحظاته، وتدوين كل أوامره وطلباته، أردف كريست قائلاً: «**كما أنني سيدي.. قمت**

**بتنسيق وجبة العشاء، والمشروبات الروحية، وكذلك قمتُ..**»، أومأ إليه توماس برأسه؛ دلالة على موافقته لكل ما قال، وإيذاناً له بالانصراف، توقف كريست عن إتمام حديثه فوراً، وانسحب بكل هدوء.

أمسك توماس يدَ عبير، لدنةً كانت، شهية الملمس، اصطحبها إلى مكتبه: «**عبير.. لدي أمر هام، دعينا نتحدث قليلاً**».

# ١٠

«سألتُ سفيراً أمريكياً خدم في منطقتنا، ويعرفها جيداً، ويُعَدّ من الأصدقاء. . عن طبيعة رد الإدارة الأمريكية فيما إذا تعرضت عملية الإصلاح في أي بلد عربي لانتكاسة فقال: «**سيرفع السفير في تلك الدولة تقريراً واقتراحات ويطلب من مَراجِعِه الرأي والنصيحة!**»»

**جمال خاشقجي**

**صحيفة الوطن، العدد: ١٢٢٩**

لم يكد يستلقي على أريكته الوثيرة؛ حتى سمع أغنية «بي إيزي»؛ هاتفه النقال يستدعيه!

كم صار يُبغض هذه الأغنية: «**قسماً.. سأقوم بتغييرها، عليها وعلى من غناها.. اللعنة**»، تمتم أحمد في غضب، التقط هاتفه النقال بعصبية ظاهرة، نظر إلى شاشة الهاتف، إنه هو! حظٌ سيئ، يحس بصعوبةِ التعامل معه في الفترة الأخيرة، وفهم مزاجيته المتقلبة، حاول أن يجعل نبرته أكثر هدوءاً: «**نعم.. أهلاً مستر راجي**».

«**لا أهلا ولا مرحباً، أخبرني كيف أمكنك أن تفعل ذلك؟!**»، كان صراخه صاخباً للغاية، مما دفع أحمد إلى إبعاد هاتفه النقال عن أذنه، وخفض صوت الجهاز، أضاف: «**ألم نتفق على الحذر في التعامل بيننا؟! خصوصاً داخل المجمع، فأنا أُعرّض نفسي للخطر من أجل شخص غير مسؤول!**».

استغرب أحمد الجلال من ردة فعله المبالغ فيها، فقد عمل كل احتياطاته، كلاهما يتحدث من شريحة مسبقة الدفع، ومن غير بيانات مسجلة، سينتهي رصيدها قريباً، وسيقوم بإتلافها ورميها، إضافة إلى أنه يُكنِّي في حديثه، وبشكل معقّد أحياناً!

أضاف راجي بعصبية: «**اسمح لي، أنت غبي لدرجة لا توصف، فكيف تتجرأ على إرسال رسالة إلكترونية إلى بريدي الشخصي، ومن داخل أروقة المجمع أيضاً؟!**»، كان حديثه متتابعاً إلى الدرجة التي يُخيَّل لأحمد أنه لم يكن يلتقط أنفاسه.

رد أحمد مقاطعاً، وقد تبدلت ملامح وجهه، يحس أحياناً بأنه غبيٌ حد البلادة: «**أرجو أن تهدأ، أنا لم أفهم ماهو خطئي، دعنا نتناقش برويّة، صحيح.. لقد قمتُ بإرسال رسالة إلكترونية من داخل**

**المجمع، كانت رسالة عادية، لم أكشف فيها أي سر من الأسرار، أنا سألتك عن الطريقة التي تود فيها استلام المبلغ، هذا كل شيء! ما المشكلة في ذلك؟!»**

**«أنت أحمق يا أحمد، أنت أ حـ مـ ـق، أريدك فقط أن تؤمن بهذا الشيء!»**، حاول راجي استجماع ما تناثر من صبره، ثم أضاف: **«لا بد أن تعرف أيها الغبي.. أنك باستخدام الشبكة الداخلية للمجمع، فإنك تختصر الطريق أمام كل من يريد تتبعنا، بحيث تسمح لأي شخص أن يراقب تحركاتنا بكل سهولة، أنت تعلم أن المجمع رفع حالة التأهب، وأصبح يراقب معظم الرسائل الواردة من الخارج، خصوصاً بعد رسالتك الابتزازية الأخيرة!»**

**«بصورة أخرى حتى تفهم.. يمكنهم أن يعرفوا مصدر رسالتك، ومراقبة بياناتك، ومن ثم القبض علينا نحن الاثنين في ثانية واحدة، ولعلمك.. يمكنهم حفظ نسخة من كل الرسائل الواردة أو الصادرة.. ليراجعوها لاحقاً، أرجو أنك فهمت؟!**

**قل نعم.. أرجوك.. أيها العبقري الأحمق!»**

رمى أحمد بجسده على الأريكة، كانت معنوياته في أسوأ حالاتها، التقط مرآته الصغيرة، تحسس شاربه، يحلقه كله بعناية، يُعيِّره البعض.. بأنه دخل المجمع بشنب، وخرج من دونه!

أحس أحمد بقشعريرة تسري في جسده، لا يريد أن يقع في خطأ ساذج، ولا أن يَكتب نهايته بيده، هو لا يفهم كثيراً في تقنيات التجسس والاختراق، ولا يريد أن يقع فريسة لجهله وتعامله البسيط مع الأمور، قرر أن يدفن ما حدث وراءه، فقد مرت الحادثة بسلام، كان يعلم أن ردة فعل راجي كانت من أجل إظهار مدى خطورة الأمر لا غير، يعرفه.. يحب تضخيم الأمور، والتظاهر بالأستاذية،

والفهم، لكنه رغم ذلك مصيب في ما قال؛ فكر أحمد.

قلّب قنوات التلفاز، لم يكن في حالة تسمح بمشاهدة فيلم جديد، أو حتى أغنية هادئة، ضغط على رقم ١، **قناة الحرة**، لا يحب متابعتها، قناة باردة، لم تؤدِّ هدفها الذي أوجدت من أجله، إلا أن «الأصحاب» يتبادلون التعليقات دوماً حول برامجها الحوارية، يعتبرونها قناتهم «شبه الرسمية»، مجاراةً لهم يتابعها ليس إلا، قام بالتحول إلى **قناة الجزيرة**، برنامج حواري صاخب، لا تخرج منه بشيء، أغمض أحمد عينيه، وأمال برأسه للخلف، لم يكن يتابع الحوار، أحس بحاجز فاصل بينهما، كان مقدم البرنامج يعلن عن مداخلة للدكتور كميل الصبيح: «...، **لا بد من قول الحقيقة يا عزيزي، فمعظم ما يكتبه من يسمون أنفسهم بالليبراليين ينم عن جهل وتصفية حسابات، قد يكون وجودهم مهمّاً في الصحافة لأسباب مفهومة، ولكن أعدادهم تجاوزت بكثير ماهو مطلوب للموازنة وغيرها، وأصبحت هذه الأعداد تهدد أسس الدولة، مما يحتم الحد منهم حتى يصبحوا نافعين وغير ضارين**».

قاطعه مقدم البرنامج، وطالبه بتقديم أدلة على ذلك؟!

أضاف د. كميل: «**سأعود إليك، لكنني أحببت التأكيد على مسألة ذكرها الدكتور، لكنه لم يسترسل فيها، عزيزي.. هذا التيار إقصائي جداً إلى درجة التطرف، وبالمثال يتضح المقال، فمثلاً.. يلاحظ الجميع على مدى سنوات طويلة أن كافة من يعملون تحت إدارة عبدالرحيم الراشدي.. يدخلون بشنبات، ثم بعد فترة تلاحظ أنهم أصبحوا بدون شنبات.. مثله!!**

**ومن المستحيل أن ترى أناساً لديهم توجهات فكرية مختلفة عنه تحت إدارته**»

«طيب.. طيب»، قال مقدم البرنامج مقاطعاً.

استرسل د.كميل قائلاً: «**أما العنصر النسائي، فأمرٌ ملاحظ أنه لا يمكن أن تكون تحت إدارته امرأة محجبة.. حتى هذه اللحظة على الأقل، سؤالي: أين الديمقراطية والاستماع للطرف الآخر والحرية التي تنادي بها يا عبدالرحيم الراشدي؟! كيف تريد للآخرين أن يتقبلوك، إذا كنت أنت لا تتقبلهم؟ وهل لو سلمناك وزارة سوف تخرج منها كل أطياف البشر ما عدا الطيف الذي تنتمي إليه؟ إذاً.. كيف نسميه وطناً؟**

**كما إنهم يستهزئون بالدين الإسلامي بطريقة فجة، فإذا حاورتهم؛ قالوا باستغباء متين.. نحن نحترم الدين، ولا نرضى المساس به، لكننا ننتقد تصرفات الأشخاص فقط!!»**

أغلق أحمد الجلال التلفاز، لم يفقه كثيراً مما دار في ذلك الحوار، كان ذهنه مشتتاً، ومزدحماً بالأفكار، الأيام الماضية.. كان كثير التفكير، قليل النوم، يستعرض باستمرار مواقفه داخل المجمع، يستعرض «تاريخه الجديد»، يتخيل لو يتوقف عن كل هذا، لو يعود إنساناً عادياً، بسيطاً، يغدو مع الناس ويروح، لا تُثقله عاديات الزمان، ولا تؤذيه صراعات النفس.

أحمد.. حملَ «ضميره» بين يديه، وسار به بين الزحام، ومن ثم جادَ به لكل طالب، وبثمن بخس!

أحياناً.. يُحسّ من قلبه إفاقة، ورعشة ألم، وربما بخوف مستتر، فيبادر بسحقه، والتحامل عليه لنسيانه، وإن لم يستطع، وتمادت به خطراته.. فإنه يعبُّ كمية كبيرة من «الفودكا».. ليطفئ كل شعلة قد تتوقد!

قرر أحمد أن يتصفح بريده الإلكتروني، فتَح جهازه المحمول، ثم دخل إلى «بريده الشخصي»، وجد عدداً من الرسائل، لم يكن في حالة مزاجية تسمح له بقراءتها، سيقرأ المهم والعاجل فقط، لفتت نظره رسالة صاخبة، تحمل عنواناً مثيراً: «**عاجل: فضيحة مدوِّية.. في أشهر المنتديات الليبرالية**»، فتح الرسالة في عجل، وقرأ:

**«...، بدأ أحد المشرفين على المنتدى وهو (ع. ب) بالتقرب من إحدى الفتيات المشارِكات في المنتدى بفعالية، حيث راسلها أولاً عبر «الرسائل الخاصة»، ثم عبر البريد الإلكتروني، ثم تدرج الأمر به إلى أن اصطحبها في سيارته، وتوقف بها في مكان مخفي، لمدة نصف ساعة، وفعَلا ما يحلو لهما.**

**والمضحك أن (ع.ب) عاد في اليوم التالي.. أكثر نشاطاً وحماسةً للتبشير بأفكار ومبادئ الليبرالية، والدعوة الصريحة لنشرها بين أفراد المجتمع، بصفتها الخلاص الوحيد لجميع مشكلاته!»**

لم يتفاعل أحمد مع الخبر كثيراً، فهو يعرف تفاصيله جيداً، وما ذُكر مجرد «لقطة سريعة» من «المشهد الأكبر» في ذلك المنتدى وغيره، لكنه تأسف لكثرة الطعنات التي مُني بها رفاق دربه، فقد أصبحت فضائحهم على كل لسان، مما قد يؤخر مسيرتهم «**التنويرية**».

بادر بالخروج من بريده الشخصي، خطر بباله تفقد بريده الآخر، الذي أنشأه خصيصاً من أجل عملية الابتزاز، كان متيقناً أنه فارغ كالعادة، لكن لا مانع من إسكات فضوله الملحّ..

استغرب..!

حينما وجد **رسالةً وحيدة!**

لا يَعرف بريدَه الجديد أي أحد، أنشأه حديثاً، من أجل ممارسة

ابتزازه المتهور، نظر إلى **اسم المرسل**، أحس بنشاط محموم، واندهاش فُجائي، لم يكن يصدِّق عينيه، ولم يخطر ذلك بباله إطلاقاً!

هل فعلاً ما يراه حقيقة؟ أم إنه من تأثير حالته النفسية المضطربة؟!

قرأ **اسم المرسل** مرة أخرى!

أعاد تهجئة حروفه، لم يكن مخطئاً أبداً، لقد كانت «**رسالةً جوابية**».. على رسالته التي ابتزه فيها بخمسمئة ألف دولار..

إنه هو، وليس أحد سواه..!

إنه: **توماس هول!**

## ١١

«أصحابنا».. وكلاء «المشروع الأمريكي» في المنطقة، آلَوْا على أنفسهم.. إلا أن يكونوا أوفياء للمنتج الأمريكي، بنسخته الأصلية، في الظلم والبغي، لقد أُعيد إنتاج الوصفة الأمريكية محلياً.. وطُبِّقت بطريقة أكثر همجية وتخلّفاً، فصارت سبيلاً ووسيلة لتصفية الحسابات الشخصية، وتحقيق الأجندات الخاصة ..القادمة من «وراء البحار!»»

**د. محمد الحضيف ـ موقعه الشخصي**

«السيد أحمد الجلال المحترم

تباحثنا حول رسائلك كثيراً، وقررنا بعد نقاش طويل أن نمد أيدينا إليك، ونتعاون سوياً، فكما تعلم أن تصعيد القضية في وسائل الإعلام.. قد لا يصبّ في مصلحة الطرفين.

سنقدم لك عدة ضمانات، كما إننا ننتظر منك ضماناتك.

غداً صباحاً سيكون المبلغ المطلوب جاهزاً، ولإظهار حسن النيات؛ فسنترك لك حرية اختيار الطريقة التي تراها مناسبة لاستلام المبلغ، وإن رأيت استلامه بشكل مباشر، فسنرسله مع أحد رجالنا، سيقابلك في المكان والزمان الذي تحدده أنت، وبالطريقة التي تشاء، والتي تحفظ لك السرية، والخصوصية التامة.

الرجاء النظر في «الملف المرفق»، ستجد صورة الوسيط المقترح بيننا، حتى تتمكن من التعرف عليه، إن لم يعجبك؛ أخبرنا فقط.

وستجد كذلك رقم هاتفه النقال مُثْبتاً في المرفق، اتصل به، وكن على وعدك.

توماس هول»

## ١٢

«يُحسب «محمد سعيد طيب» في طليعة التيار الليبرالي، لكنه لا يَكفُّ عن انتقاده، ويُنسب إليه أنه قال: إن مدعي الليبرالية كثيرون لكن معظمهم «دشير»، هكذا بالعامية، أي «منحلّون» بالفصحى!»

**صحيفة الجزيرة، (المجلة الثقافية)، العدد: ٢٥٦**

كان ياسر الواصلي ممسكاً بيد عبير، ويحادثها بحميمية بالغة، دائماً ما ينعت نفسه بعبقري الحب، وفارس الأشواق، فهو كما يقول.. استلّ عبيره من بين آلاف النساء، استنشق فمها المطيَّب، وارتضاها خليلته من دون الناس أجمعين!

كانا على مقربة من منزل توماس هول، داخل المجمع الثقافي: «**ستكون حفلة رائعة بلا شك**»، حدّث ياسر نفسه مراراً، يتذكر المرة الأولى التي اصطحب عبير لحفلة خاصة، كانت متحفظة للغاية، كادت أن تفسد الجو العام، لم تشرب كما الآخرين، ولم تَقبل مُراقصة أحد الحضور، كانت أسيرةً لقيود المجتمع (المتخلف)..

ثم.. تحررت!

تفحَّص جسدها سريعاً، أحس بدفء ونشاط، تمتم: «**ما أحلاك هكذا يا عبير**».

**عبير**.. كانت ذلك (النبع) الأصيل، لم تطأه أقدام الغرباء، ولم تدنّسه فضلاتهم، يجري ماؤُها على صفحة الأرض، كل الطيور كانت تحرسه، وتغني له طرباً وحباً.

ثم ماذا؟!

ثم.. صارت الطيور تتأذى من رائحة (النبع)!

ذلك النبع الذي كان يوماً ما.. أصيلاً!

«**تأتيان دوماً سوياً.. وكالعادة آخر من يأتي!**»، قال كريست، سكرتير الرجل الأقوى في المجمع، كان يقف عند مدخل المنزل، ويبادل ياسر ابتسامة ذات مغزى خاص، لا يفهمها سواه.

«**وماذا تقصد أيها الخبيث؟!**»، رد ياسر ضاحكاً، وتحوّل بناظريه إلى

عبير، كانت تبتسم، تقبلت مزحته، أصبحت مستنيرة بما فيه الكفاية، لا تعقيدات، ولا حساسية مفرطة، مجرد كلمة تقال، يجب عدم الوقوف عندها كثيراً!

دخَلا غرفة الضيوف، ستكون حفلة مصغَّرة إذاً، العدد محدود، حريةٌ أكثر، أريحيةٌ وشربٌ ولعب، وبعدٌ عن التكلف، ما أحلى أن يكون المرء على سجيته؛ فكَّر ياسر.

ألقى ياسر التحية، واحتل مقعده، قوبل بحفاوة تليق به، يحس بنشوة بالغة كلما حدث ذلك، خصوصاً عندما تَصدُر من الجنس الناعم، لاحظ أن توماس لم يقم بدعوة بعض **الشخصيات المشاكسة** على غير العادة، والتي أثير حولها كثير من الشائعات المضطربة في الفترة الأخيرة، لا يهم ذلك، ستكون الجلسة أكثر متعة من دونهم.

جلست عبيره بجواره، بدأ يتفحص أوجه الحاضرين، هذه أول خطوة، لا بد أن يقرر حدود جرأته وتصرفاته، ثلاث فتيات جميلات، عرقٌ عربي أصيل، وأنوثة طاغية، يبدو أنهن مراسلات صحافيات، يَراهُن دوماً في اللقاءات العامة، لكن لم تربطه بهن أية علاقه، هذه فرصة ثمينة لا تعوض، فكّر ياسر.

أوجهٌ مألوفة، سبق أن رآهم في مكان ما، عدا **تركي الصالح**، هي المرة الأولى التي يقابله، سمع اسمه للمرة الأولى حينما قدمه توماس هول قائلاً: «**صديقنا الجديد.. تركي الصالح، محررٌ شهير في صحيفة التنوير الإلكترونية، للتو قدم من لندن، أرجو أن ترحبوا به، وتقبلوه صديقاً دائماً لكم**»

تفحّصه ياسر، صغير السن، في منتصف العشرينيات، هكذا خمّن ياسر، إلا أنه بالفعل وسيم للغاية، لا يلوم الفتاة التي بجواره،

فهي تحاول جاهدة لفت انتباهه: «**هل أستقطبه من أجل جاذبيته؟! أم أنه بالفعل يمتلك قدرات فنية عالية؟**»، تساءل ياسر.

انهمك ياسر في قراءة بعض الرسائل التي وردته على هاتفه: «**ماذا يريد هذا المعتوه مني؟!**»، تمتم ياسر ضَجِراً، كان يقرأ رسالةً مستفزّة، أتته من أحدهم، يراسله باستمرار:

«**حبيبي ياسر.. أرجو أن تكون عرفت كيف يموت المرء واقفاً؟!**

**حسناً.. لا عليك، إن لم تفهم الآن.. سيأتي وقت تفهم فيه مغزى كلامي، ولكنه سيكلفك الكثير حينها!**

**وبالمناسبة.. فقد كَتبتُ هذه القصيدة فيك، فحبي لك تخطى كل الحدود:**

**ياسر.. أيها المختال.. السخيف!**

**العمرُ عندك.. ليلة حمراءَ في قصر منيف!**

**والعمرُ عندي..**

**بسمة الأطفال في وطن شريف!**»

امتعض ياسر من هذه الرسالة، وبادر بحذفها فوراً: «**السخيف.. هو الذي أتى بك، وربّاك، عليك اللعنة**»، فكر بأن يتصل بأحد أصدقائه المتنفذين، سيطلب منه فصل الخدمة الهاتفية عن هذا المزعج!

دار الحديث حول عدد من القضايا المحلية، تباحثوا عن إمكانية استمالة أحد الكتاب المحافظين، فهو يمتلك قلماً متوهجاً، وجماهيرية لافتة، سيكون مكسباً لهم بلا شك، هو يتأرجح الآن بين الصفين، بلا منهج واضح، يكتب ما يملي عليه تفكيره اللحظي، أدرك الجميع أن جرأته الصارخة، وقوة شخصيته؛ هي ما يعيق

امتزاجه بهم، طرح تركي الصالح عدداً من الأفكار المجرَّبة، أيده عليها توماس، وتمنى أن تجدي معه.

أدلت عبير برأيها، تتحدث بأناقة واسترسال: «**أعتقد أنه ورقة رابحة، والأهم.. أن يقتنع بمبادئ الحرية أولاً، قبل أن ينضم إلينا**»، كانت تركز حديثها صوب توماس، الذي يبادلها ابتسامة رضى وتأييد، أضافت: «**شخصياً.. تابعت العديد من مقالاته، أحياناً أظنه متديناً حد التطرف، وأحياناً يكيل للمتدينين نقداً حارقاً، أنا لم أستطع تصنيفه حتى الآن!**»

كان ياسر مزهواً بعبيره، فقد صارت أكثر جرأة في طرح ما تؤمن به، ولم تعد تتحرج من إبداء رأيها، يعتقد أن له الفضل الأكبر في ذلك، يحرص على تأملها بدقة وهي تتحدث، يحس أن لها سحراً خاصاً، يراقب شفتيها، انفعالات وجهها، وما تناهى إليه بصره من جسدها، يتصورها في «هيئة معينة»، كثيراً ما يفعل ذلك، تحسَّر في نفسه!

**فكَّر ياسر**: إلى متى ينادي المتزمتون بمنع **الاختلاط بين الجنسين**، وطمس آيات هذا الجمال، جال بخاطره بعيداً، وتواردت الأفكار إليه تباعاً، عزم على إثارة هذه النقطة في كتاباته، ولكن بطريقة مهذبة، أكثر دهاء، وأكثر قرباً من عقلية المجتمع!

سيكون مقاله القادم بعنوان: «**منع الاختلاط.. تخوينٌ للأخلاق!**»

دخل عليهم **الخادم أفتاب** حاملاً كُؤوس الشراب، والأنس، والبهجة!

تناولها منه **كريست**، يحب أن يقوم بدور الساقي، أحياناً لا يسمح للخادم **أفتاب** أن يدخل عليهم، يريد أن يكون له موطئ قدم وأهمية

لدى توماس، إضافة إلى أنه يشك في هذا الخادم، ويشك في نزاهته، فكثيراً ما تُفقد بعض الحاجيات من المجمع، والاتهامات تنصبّ نحوه.

«**غريب.. لماذا لا تشاركنا الشراب؟ سيروق لك بلا شك**»، قال ياسر موجهاً حديثه لتركي الصالح، كان يلاحظ كأسه لم تنقص، هو الوحيد الذي شذ عن المجموعة، الكل أفرغ كأسه الأولى، وطلب المزيد؛ إلا هو!

رد تركي الصالح محرجاً: «**لا شكراً، أنا في الحقيقة.. أنا لا أشتهيه الآن**»

فهم ياسر القصة كاملة، فتركي الصالح ضيفٌ جديد على عالم النور والتنوير، وما زال متحرجاً من الشرب، لايزال مبتدئاً جداً، ربما لم يتجاوز عتبة معاشرة الفتيات فقط!

ضحك ياسر في نفسه، تذكر عندما كان مثله، الكأس الأولى كانت صعبة للغاية، عليه أن يكسر رهبتها أولاً، كانت تمثل تحدياً حقيقياً له، تذكر أيضاً.. «**شقة الرشد**» العلوية في دبي، وسهراتها الحمراء، كم عانى من تأنيب الضمير في البدايات، والتحرج من نظرة الآخرين، أو حتى تسرُّب الخبر للأقربين، إلا أنه سرعان ما سيعتاد ذلك!

لاحظ تعاطي توماس مع الموقف، لا يتدخل في هذه الأمور البتة، فهو يؤمن أنها ستأتي تباعاً، وهي مسألة وقت ليس إلا، كما إنه ليس من أولئك الرجال الذين يستعجلون النتائج.

إلا أن مسألة «**الشراب**» أولاً، ومن ثم عدم التحرج من حضور «**الحفلات الحمراء**»، التي يتم فيها إرسال الدعوات الخاصة لكل

«الأحرار». . تمثل «اختباراً حقيقياً» لمدى انتماء المرء لتيار الحرية، ومدى إيمانه بعقيدتها، ومن ثم يتم تصنيفه إلى حر حقيقي، أو بالتبعية!

«**إشرب يا تركي، اشربها، وحلِّقْ معنا**»، قال ياسر ممازحاً، انتبه الجميع لهذا الموقف، وصار تركي الصالح محط الأنظار، وأصبح لزاماً عليه أن يحدد موقفه الآن بكل وضوح.

تناولت إحدى الفتيات الكأس، واقتربت من تركي، كانت رائحة عطرها تسبقها، فستانها القصير، تسريحة شعرها الهادئة، تفاصيل جسدها، كل ذلك أكسبها وهجاً زائداً، مدت الكأس نحو تركي، يدها اللدنة لا تُرَدّ، أصبحت في مواجهته تماماً، قالت بحديث رقيق هامس: «**تركي.. عشان خاطر عيوني**»، غمزت بإحدى عينيها، وبادلته ابتسامة عذبة، لم يخيِّب ظنها. .

وكيف للجمال أن يُرَدّ؟! أو أن يُكسَرَ خاطره؟!

نظر تركي إلى الكأس، لايدري لماذا ركز نظره على فقاعاته الصغيرة، ورغوته العلوية!

يده تمتد نحو الكأس، هل لاحظ الجميع ارتجافها؟

كان متردداً؛ فهل يشربها، ويكسر الباب؟!

لم يفعل ذلك من قبل، أخبره بعض أصدقائه أن الكأس الأولى قد تكون صعبة، ولكن سرعان ما يصير الأمر عادياً بعد ذلك!

تجرَّع أول رشفة، مُرةً كانت، أحس ببرودتها الثلجية، ولذعاتها الحارة، إحساسٌ متناقض، بالكاد أدخلها جوفه، خاف أن يستفرغ أمامهم، سيكون موقفه محرجاً للغاية!

تجرع تركي الرشفة الثانية، وسط تصفيق جماعي، وهتافات تأييد.. ضجت بها غرفة الضيوف، تقدمت الفتاة نحو تركي، قبّلته على خده، شُكراً وامتناناً!

حسده ياسر على هذه القبلة، تمنى لو كان مكانه.

قالت الفتاة موجهة حديثها للحاضرين.. وهي تضع يدها على وسطها بدلال: «**مبرووك.. انضم تركي إلى عالم الأحرار الحقيقيين**».

توالت الضحكات وكلمات التأييد، إلا أن ياسر قطعها قائلاً بنبرة حزينة تمثيلية: «**ليس بعد! نعم.. نوافقكِ أن تركي دخل عالم الأحرار، لكن لا يمكن أن نعتبره حراً حقيقياً!**»

توجهت الأعين صوب ياسر، وعمّت الغرفة لحظات ساكنة.. في انتظار تفسير طريف لمقصد ياسر.

«**وماذا ينقصه؟!**»، تساءلت الفتاة باستغراب.

رد ياسر بتهكم وخُبث: «**بقي شيء واحد، بالتأكيد.. كلكم تعرفونه، بقي أن ينضم تركي إلى سهراتنا الخاصة.. أقصد.. سهراتنا الـ.. الحمراء**».

حينها ضجَّ الحاضرون بضحكات ماجنة!

# ١٣

«واضحٌ أن تلك اليد التي رفعت السماعة على رؤساء التحرير؛ كانت يدها الأخرى تكتب خطاب إقالة «الشيخ سعد الشثري»!

إنها «**اليد السرية**» التي صارت تلتقي عندها خيوط اللعبة السعودية!»

**إبراهيم السكران**

رفع **كريست** من صوت الأغنية، هذه هي طقوسهم، يعرفها تماماً، بعد الكأس الثالثة يتحول بهم إلى أغنية صاخبة.

تتابعت الكؤوس، **الشيفاز**؛ شراب توماس المفضل، لكنه شحيحٌ هذه الأيام، ستأتي دفعة جديدة بلا شك، بعضهم يفضل شربه مركّزاً، والبعض الآخر (يكسره) بمشروب غازي، أو بثلج، وعندما يبدأ مفعوله؛ يبدأون في الرقص، ويتبادلون الضحكات العالية، يحسون بخفة وطرب، لا يُلام أحدٌ في مثل هذه المواقف، ولا تُحسب عليه أفعاله، هذا هو العرف بينهم.

اعتاد كريست على هذه المهمة، فلا بد أن يهيّئ لهم الجو المناسب، ومع ذلك فهو لا ينسى نفسه من المتعة، يحرص أن يكون متأخراً عنهم بكأس أو كأسين.

بدأت الخمرة تلعب في عقولهم، أصبحت رؤية الأشياء أقل وضوحاً، اقترب أحدهم من **عبير**، كانت خطواته متأرجحة، بدأ يمازحها ويلاعبها، كان يتفوه بكلمات غير مفهومة، حاول التحرش بها، لم تكن قواه تسعفه، سقط بجوارها، حاول سحبها إليه، وجد منها ممانعة غير جدية، كانت تبادله الضحكات، وتدفعه للخلف، راق له موقفها، إذاً فهي لا تمانع بالكلية، عدّل من جلسته، وشرعا في مناجاة خيالهما الوردي.

لم تكن عبير ترضى بمثل هذا أول الأمر، إلا أن المجمع «سحق» كثيراً من اقتناعاتها بالتدريج، ما زالت تتذكر أول مرة مسّتها يدُ غريب، أحست حينها بأشياء تتساقط منها، لا تتذكر ما هي، كانوا يسمونها «**أوراق الفضيلة**»، تساقطت ورقة ورقة، بعد أن جف ماؤها، ودخلت «خريف» عمرها.

حتى الحيطان.. كانت تضجّ وتجأر، ثم تشيح بوجهها في حياءٍ حزين!

كان ياسر يتابع الموقف، فتاته مع رجل غيره، أحس بنيران الغيرة تلتهب، هي له من دون سواه، لا يحق لغيره أن يعبث بها، لكنه لا يستطيع فعل شيء، لا يريد أن يظهر «متخلفاً» بينهم، سيتجاهل الأمر، وكأن شيئاً لم يكن، التمس لها المعاذير، هو يفعلها مع غيرها، فما الذي يمنعها هي؟

أليس يدعو دوماً للمساواة والعدل؛ أقنع نفسه.

تذكر ياسر ذلك الموقف، كثيراً ما يتردد على مخيلته، سرح بخياله، وتذكر تلك اللحظة.. بعد فراغهم من المؤتمر «الكبير» في مدينة الدمام، عندما اصطحب تلك الفتاة إلى سيارته، وعلى مرأى من أبيها، لم يزد على أن ودعهما بابتسامة، كان ياسر متردداً في اصطحابها أول الأمر، فلم يكن يتوقع أن يحدث مثل ذلك بحضور والدها: «**المجتمع بدأ يتغير بسرعة**»، يقول ياسر، صحيح أنهم مجرد أفراد قليلون، إلا أنهم موجودون بالفعل، استعرضتْ ذاكرته مقولة تلك الفتاة، كانت صريحة للغاية.. حينما استغرب ردة فعل والدها، وعدم ممانعته من أن تركب سيارة «غريب» بحضوره، ردت عليه على الفور: «**والدي يثق بي كثيراً، وأخبرني بأن لي مطلق الحرية في كل تصرفاتي، وأن أفعل ما يحلو لي، لا حدود ولا تعقيدات**»، تذكر ياسر ابتسامة الفتاة عندما ختمت حديثها: «**إلا أنه اشترط عليّ حداً واحداً في جميع علاقاتي، خمِّن ما هو هذا الحد؟ أظنك تعرف، اشترط فقط.. ألا أتجاوزه، ألا أتجاوز «الخط الأحمر»!**».

ثم ضحكتْ، وضحك.. حينما أخبرته أنها تجاوزت ذلك الخط الأحمر منذ زمن طويل!

# ١٤

«يجب ألا نتخلى عن **الليبراليين العرب.**

الكثيرون منهم مناضلون شجعان في سبيل الأفكار والمثل العليا الغربية، ومن شأن التخلي عنهم أن يوجّه إشارات خاطئة!

كما يحظى الليبراليون العرب حالياً باهتمام لا مثيل له من العديد من صانعي السياسات والمسؤولين الأمريكيين، ويَدعو دبلوماسيون ومسؤولون غربيون هؤلاء الليبراليين إلى تناول الطعام وشرب الخمر، لأن عدداً كبيراً من الغربيين يرى فيهم الأمل الأساسي لتحقيق الإصلاح في العالم الاسلامي، وغالباً ما يحصلون على «**مبالغ طائلة**» لتمويل منظماتهم التي لا تتوخى الربح»

**جون بي آلترمان، بتصرف (مدير برنامج الشرق الأوسط في معهد الدراسات الاستراتيجية والدولية الأمريكي)**
**فايننشال تايمز ـ خدمة صحيفة النهار**

خرج من دورة المياه بحذر شديد، دعا الله أن تتم «خطته» بسلام، ألقى نظرةً تفقُّدية عليهم، النوم أخذ عقولهم، وقتٌ مناسب بلا شك، يبدو أنهم استمتعوا كثيراً في حفلتهم؛ هكذا فكّر. .

**توماس والبقية** متناثرون في أرجاء الغرفة، لا يتحرك منهم شيء، كان المنظر العام يدعو للقرف، والاشمئزاز، فالفوضى تعمّ المكان، وما زلت الأغنية تصدح بصورة مزعجة.

«**ماذا لو كشف توماس أمري؟! ستكون قاصمة الظهر!**»، حدّث نفسه.

بخطوات بطيئة ومرتبكة. . دخل «غرفة النوم» الخاصة بتوماس، سيبدأ بحثه، لا بد أنها هناك، كان حذراً، كثيرَ التلفُّت للوراء، عيناه تجحظان في كل اتجاه، يشك في كل نسمة، هي المرة الأولى التي يمارس فيها شيئاً كهذا، لم يعتد على السطو أو السرقة، كانت غرفة نوم توماس فخمة ومرتبة بشكل دقيق، بدأ رحلة البحث، لا بد أن يجدها مهما كلفه الأمر، بحث في كل مكان، في الأدراج العلوية، والسفلية، تحت السرير، لم يجد لها أي أثر.

سمع صوتاً يتحرك خلفه!

أحدهم ينادي!

دقات قلبه تضرب بشكل عنيف، أحس بموجةٍ حارة تعتريه، كاد أن يصرخ فَزعاً، نظر إلى الخلف: «**لطفك.. يا رب**»، تمتم في خوف، اقترب من الباب، لا أحد!

ألقى نظرة على غرفة الضيوف، الكل على الهيئة نفسها، تأكد من توماس بالخصوص، لا يتحرك منه شيء: «**أنا متأكد.. سمعت شيئاً يتحرك! هل كنت أتوهَّم؟!**»

عاد إلى غرفة النوم، أكمل بحثه، لم يجد شيئاً: «**هل يعقل أنها غير**

**موجودة؟! لقد أكد لي أنها هنا، ذلك اللعين.. هل كان يكذب علي، هل يريد توريطي؟! لا يمكن ذلك، فهو متورط معي بالفعل! أرجو ألا يكون توماس قد وضعها في مكان سري، هل هو مضطر إلى أن يخبئ شيئاً! اللعين توماس لا يحتاج إلى مخبأ سري، فالمجمع بأكمله تحت تصرفه، ومملكته، ولا يدخله إلا الأصحاب أو من ينال رضاه!»**

توجه إلى المكتب، وشرع في البحث بين عشرات الملفات، يكاد المخزن يغص بها، مسوداتٌ لمحاضراته، أوراقٌ خاصة، رسائل وردت إليه من كل مكان، بطاقات وشهادات..

لا يريد أياً منها!

واصل البحث، لا بد أن يجدها قبل أن يستيقظ توماس والبقية، عندها ستكون نهايته بلا شك، لفت نظره **صندوق كبير** بالأعلى، رأى طرفه فقط، كان مخفياً بقطعة خشبية، دعا من قلبه أن يكون هو بغيته، أحضر كرسياً ليصل إليه، كان ثقيلاً، اضطر إلى حمله بيديه الاثنتين، وجد بداخله عدة ملفات، يبدو أنها ملفات شخصية، كل ملف كُتب اسم صاحبه على ظهره.

وجد اسمه!

بادر بتقليب صفحات الملف، سحب ورقة عشوائية من المنتصف، ابتلع ريقه، بالفعل هذا هو الملف، لا مجال لتضييع أية دقيقة بعد الآن، حمله الصندوق بين يديه، لم يخرج من المنزل مباشرة، بل توجه إلى غرفة نوم توماس مرة أخرى، وبادر بأخذ **حاسبه المحمول**.

لا يدري هل سيستفيد منه أم لا؟! إلا أنه قد يجد بعض المعلومات التي قد تكون مهمة، أما إذا لم يجد شيئاً، فسيتخلص منه بكل بساطة.

## ١٥

«غَدت الصورة الذهنية لليبرالية السعودية في المجتمع، **أنها مجرد دعوة للتحرر الأخلاقي ليس إلا.**

ولن يجد من يتابع الصوت المُرتفع للتيار الليبرالي في الصحف والمنتديات والفضائيات إلا الوصول إلى هكذا نتيجة!»

**نواف القديمي ـ مجلة رؤية**

استيقظ **توماس هول** من نومته العميقة..

كان أول المستيقظين، بالكاد استطاع أن يعتدل في جلسته، أحس بأن رأسه ثقيل للغاية، حاول أن يتذكر لماذا هو هنا؟! وما الذي جاء بهؤلاء الأوغاد إلى منزله؟! نظر إلى ساعته، الساعة الرابعة تماماً، هل هي الرابعة صباحاً أم عصراً؟! حاول أن يسترجع آخر الأحداث، كان يحك رأسه بطريقة عشوائية، وبيديه الاثنتين، لاحظ أن بنطاله قد تبلل، لماذا؟! ليس يدري!

توجه إلى النافذة، أطل منها في كسل، ظلامٌ دامس، إذاً فهي الرابعة فجراً، نظر إلى الأشخاص النائمين، كانوا متناثرين بطريقة عشوائية، آثارُ قيءٍ هنا وهناك، كؤوس ملقاة بشكل فوضوي، **ياسر**.. نائمٌ على بطنه، وقد خلع معظم ملابسه، **تركي الصالح** بجواره، **عبير** متكورة على نفسها في منتصف الغرفة، آثار العبث بادية على ملابسها، وما ظهر من جسدها، **كريست**، **والبقية**،...!

رفع توماس رأسه نحو الأعلى، وقطب من حاجبيه، بدأ يتذكر طرفاً من أحداث هذه الليلة: «**تباً.. حفلة لعينة**»، قال توماس، وقد بدأت معالم الأحداث تتوافد إلى ذاكرته.

توجه إلى سكرتيره ليوقظه، ومن ثم سيتولى هو مهمة إيقاظ الآخرين: «**كريست.. كريست.. انهض أيها اللعين، انهض هيا.. ألا تسمع!!**»، يجد صعوبة في إيقاظه، أحياناً يركله بقدمه حتى يستعيد وعيه، هذه من أكثر لحظات حياته تكديراً.

ذهب توماس هول إلى غرفة نومه، استطاع بعد لأيٍ أن يوقظ كريست من سباته، بادر بإغلاق باب غرفته خلفه، لا يريد أن يزعجه أحد، كثيراً ما يتشاجر كريست مع المدعوين، مازالت عقولهم خفيفة، ويمكن أن تبدأ فصول معركة سخيفة بعد قليل، فكر توماس

بأن يستحم، ومن ثم سيخلد لنومٍ أكثر هدوءاً وترتيباً.

إلا أن آثار الشرب الثقيل.. لم تجعله يتنبه أبداً إلى أي تغيير حدث في غرفته، ولم يشعر بفقدان أي شيء حتى الآن!

كما إنه لم يعلم بقصة «**الضيف المهم**» الذي زار غرفته قبيل ساعات، وعبث في أشيائه الخاصة!

توماس؛ يستمتع الآن بحمام منعش ولطيف، تَغمر المياهُ جسدَه الضخم، وتعيد له حيويته ونظافته، إلا أنه في غمرة ذلك لا يعلم ما ستخبئه له الأيام القادمة!

...، بلا شك.. ستكون الأصعب والأخطر في حياته كلها!

استغرب **وليام بول** من طبيعة هذه المهمة التي أوكلت إليه، فقد أرسلوا صورته إلى الضحية!

يحدث ذلك للمرة الأولى في مسيرته الملأى بالمهمات الخاصة!

أمروه بأن يتأهب لملاقاة الضحية في مكان عام، في حال قبوله العرض، فما زالوا ينتظرون جوابه، لم يفهم **وليام** أبعاد القصة كاملة، ولا سبب فعل ذلك، اعتاد على هذا الأمر، فَهُم بالعادة لا يعطونه أية تفاصيل، بل يطلبون منه تنفيذ مهامَّ محددة، ودقيقة، لا غير.

«**وليكنْ! أنا لا يهمني ذلك، المهم ألا أفقد وظيفتي، وأصبح مشرداً من جديد!**»، قال وليام.

يحس وليام بالملل داخل أروقة هذا المجمع، أوقات عمله مرهقة للغاية، ولا يجد متنفساً للترفيه أو للرياضة، لا يحب الذهاب إلى الأسواق، ولا حتى الكورنيش، ولماذا يذهب هناك؟! فلن يجد

بُغيته، بات يكره المكوث في هذه المنطقة، كل أبواب «المتعة» مغلقة في وجهه، وإن وُجدت فهي مكلفة جداً، ومسلكها وعر.

بات النحس يلاحقه، ويقتفي أثره، رغم أنه غيّر «عنوانه» مراراً، سأل نفسه: «**هل كُتب علي الشقاء الأبدي؟!**».

قبل مجيئه لهذا المجمع؛ كانت طبيعة عمله لا تقلّ صعوبة عما هي عليه الآن، لكن على الأقل كان يجدد نشاطه بين الفينة والأخرى، الملاهي الليلية، فتيات الليل، الفودكا.. أغمض عينيه، انتابته رعشةٌ رقيقة، ما أجمل ذكرى تلك الليالي.

## ١٦

«لا تستطيع المرأة السعودية الخروج من منزلها دون ارتداء العباءة، تلك العباءة «السوداء» «القبيحة»، التي يتعين علينا ارتداؤها فوق ملابسنا العادية!»

**وجيهة الحويدر**
**صحيفة واشنطن بوست الأمريكية**

لم يتوقع أحمد الجلال أبداً أن يتجاوب توماس مع رسائله الابتزازية، فضلاً على أن يقوم شخصياً بالرد عليها!

لا بد أنها أوجعته كثيراً، إلى الحد الذي جافاه فيه المنام، كان أحمد مزهواً بنفسه، معتداً بصواب رأيه وهو يحادث صديقه سامح؛ المتخوف دوماً: «**لا بد أن تتعلم من عظمتي وذكائي، لقد جعلته ينهار سريعاً، ووضعت يدي على نقطة ضعفه، ذلك الأسطورة.. الذي يسمونه توماس!**»، ضحك أحمد من قلبه، بدا فرحاً للغاية، خمسمئة ألف دولار، مبلغ جيد، احتار في الطريقة التي سيصرفه فيها، هل سيشتري سيارة فخمة؟! أم سيضعه في سوق العقار؟! أم أنه سيرفِّه عن نفسه في أحد المنتجعات الفاخرة؟!

لم يكن سامح متجاوباً مع أحمد، كان شارد الذهن، واضعاً قبضته على شفتيه، يبدو وكأنه يفكر في مسألة رياضية عويصة، انتبه له أحمد، أمسك بيده، وقال بأسلوب تمثيلي ساخر: «**لا تقلق يا صديقي، سأعطيك نصيبك وافياً، سأعطيك أتعابك، أرجوك لا تحزن، سأدعوك لمرافقتي إلى أرقى المنتجعات العالمية**»، بادله سامح ابتسامة مصطنعة، ولم يردّ عليه، كان مستغرقاً في أفكاره، يبدو أنه لم يستوعب كلام أحمد جيداً.

«**ماذا بك؟!**»، قال أحمد مستفسراً، وقد ظهرت عليه أمارات الاستغراب، والفضول، ليست هذه من عاداته، ماذا به ياترى، هل هي بداية الخلافات؟! هل المال يغيِّر النفوس كما يقال؟!

رفع سامح رأسه، ونظر إلى صديقه قائلاً: «**لا شيء، أرجو المعذرة، لكني كنت أفكر في موضوعنا**»

«**أية موضوع؟**»

**«أقصد رسالة توماس الجوابية، أصارحك.. فأنا لست مرتاحاً أبداً، وأحس بأن خلفها لغزاً قد يكلفنا الكثير!»**

بدا أحمد ممتعضاً من ردة فعله: **«إذاً هذا هو الأمر الذي استغرق عليك تفكيرك؟! أشعر بأنك تضيِّع وقتك بالاشتغال بأمر تافه ومحسوم كهذا!»**

كان سامح أكثر هدوءاً واتزاناً، لا يستجيب لاستفزازات أحمد، يعرفه؛ هذه هي طبيعته، استفزازي من الدرجة الأولى، سرعان ما يغضب وينفعل، إلا أنه في النهاية طيب القلب، سرعان ما ينسى كل شيء، وتعود له روحه المرحة، اعتدل سامح في جلسته، واستقبل صديقه، ثم قال: **«سأسألك سؤالاً واحداً فقط، ألم تخبرني أن توماس يمتلك شخصية عنيدة وتسلطية، وقليلاً ما يتنازل لخصومه؟!»**، أومأ أحمد برأسه موافقاً بصورة غير مبالية.

أضاف سامح: **«كما أنه دقيق، وحذر للغاية، أليس كذلك؟»**

**«وما علاقة ذلك بموضوعنا؟!»**، رد أحمد متأفِّفاً.

**«أرجو أن تحتملني قليلاً يا صديقي، فأنا أحاول جهدي أن أساعدك، لكن.. فكر معي في الموضوع من زاوية أخرى، ألا تعتقد أن توماس مُقدِمٌ على مغامرة غير محسوبة، قد تدينه بالفعل، وتزيد من توريطه.. إن هو سلّم لنا المبلغ؟!»**

رد أحمد ساخطاً: **«ياه، إنك لا تترك وسوستك ومبالغاتك، لديك تخوف زائد عن اللزوم، القصة واضحة للغاية، لقد أخافته تهديداتنا، وخشي الفضيحة، ومن ثم أصبح يُفادينا بالمال، هذا كل شيء!!»**، بدأ الانفعال يتمكن من أحمد بشكل أكبر، لا يرغب أن يكدر أحدٌ صفو إنجازه، سامح يشكك في قدراته، ولن يسمح له بمثل ذلك،

أضاف أحمد قائلاً: «**سأجاريك وسوستك، حسناً.. لنفترض أنه كان يكذب عليّ في رسالته، أو حتى أنها كانت من أجل استدراجي، لقد فكرتُ في ذلك، لست ساذجاً كما تعتقد، سآخذ كل احتياطاتي، وسأشترط عليه شروطاً قاسية؛ تمكنني من استلام المبلغ المالي بشكل آمن وسرّيّ**».

توقف أحمد عن حديثه، أحس بأنه بدأ يفقد أعصابه، وأن صوته بدأ يرتفع بشكل مبالغ فيه، حدّث نفسه بشأن سامح: «**لا يحق لي معاملته بهذه الطريقة، فهو رغم سذاجته.. يحاول مساعدتي، وهو في النهاية صديق مخلص**»، ثم أضاف محدّثاً سامحاً: «**نحن في موطن قوة، وبحوزتنا ما يدينه، وما يمكن أن يتسبب في إسقاطه، اسمع.. لا تنس أنه بضغطة زر واحدة مني أستطيع فضحه في عشرات المواقع الإلكترونية، وفي العديد من الفضائيات، وربما الصحف، وكذلك...**»

كان سامح يريد أن يصل أحمد بحديثه إلى هذه النقطة، هذا هو الوقت المناسب لشرح ما يعتمل في ذهنه، ولم يجد له تفسيراً منطقياً حتى الآن، قاطعه سامح قائلاً: «**بالضبط.. أوافقك على كل ماقلته، لكنني أعتقد أن هذا الأمر بالذات يمثّل نقطة ضعف لنا، نقطة ضعف كبيرة، ربما بشكل لا يمكنك أن تتصوره!**»

لم يفهم أحمد لماذا كان ذلك يمثل نقطة ضعف، فالأمر واضح للغاية، فهو يمتلك زمام القوة، ويقوم بعملية ابتزاز، وتوماس سيقوم بدفع فدية مقابل سكوته!

لم يفهم مُرادَ سامح أبداً.

أكمل سامح حديثه قائلاً: «**الآن.. أنت تقوم بابتزازه بهذه المعلومات، وتمتلك نسخة في جهازك، وكذلك في بريدك الإلكتروني، أليس صحيحاً؟!**»

**«أكمل من فضلك»**، قال أحمد بحزم.

**«ألا ترى أنه يمكنك حفظ مئات النسخ منها، ومن ثم توزيعها على المئات أيضاً؟! وفي الوقت نفسه ستذهب مطمئناً لتأخذ الخمسمئة ألف دولار!»**، توقف سامح قليلاً، كان يتأمل أثر كلامه على أحمد، يبدو أنه نجح في إثارة عدد من الأسئلة في ذهنه، ثم أضاف: **«هل تعتقد أن توماس غبي لهذه الدرجة؟! هل سيعطيك الخمسمئة ألف دولار من دون مقابل؟! خصوصاً وأنه يتعامل مع شبح إلكتروني أطل عليه بشكل فجائي! أخبرني.. كيف تستطيع تقديم ضماناتك لتوماس بأنك لن تبتزه مستقبلاً؟! كيف سيثق بأنك قد حذفت جميع المعلومات التي لديك، ولم تحتفظ بنسخة احتياطية؟! أكرر هو يتعامل مع شبح إلكتروني، فهل تعتقد أن للثقة أي وجود في مثل هذه الحالات؟!»**.

**«ولكن....»**، قال أحمد.

**«لم أنته من حديثي بعد.. تذكَّرْ ياصديقي أنك ستحرص على أن تستلم هذا المبلغ الكبير من دون أن يتعرف أحدٌ إلى شخصيتك الحقيقية، إن استخدامك لاسم: أحمد الجلال.. لن يكون مجدياً في هذه الحالة، وهي مهمة صعبة جداً، إن لم تكن مستحيلة!»**.

بالفعل؛ كانت النقاط التي أثارها سامح جديرة بالتفكير والاهتمام، إلا أن أحمد ما زال يأمل أن تجري الأمور ببساطة أكثر، تمنّى من كل قلبه أن لا يتحقق أي شيء مما قاله صديقه!

بادر أحمد بارتشاف كمية كبيرة من الماء، أصبح شارد الذهن، مشوش التفكير، استلقى على الأريكة، ووضع يده على وجهه، أحس بأن الأمور اختلطت عليه بالكلية، سأل ببرود: **«إذاً أنت تؤمن بذلك؟! حسناً.. كيف تفسر لي إرسال توماس لتلك الرسالة، ووعْده**

**بتسليم المبلغ حالاً، بل إنه ضمنها صورة الوسيط المقترح بيننا؟! أليس ذلك دليل حسن نية؟! لقد أرسلها من بريده الشخصي أيضاً.. ألا يمثل مجرد ذلك إدانة في حقه لو أراد التراجع؟!»**

أحسّ **سامح** بانقباض فُجائي في قلبه، ورعشة مُخيفة انتابته عندما أثار أحمد قضية «**الصورة**» المرفقة في رسالة توماس، فكر سامح؛ ما الداعي لأن يقوم توماس بإرسال تلك الصورة؟! خصوصاً وأن الاتفاق لم يتم بعد بين الطرفين؟! كما إن فكرة مقابلة صاحب هذه الصورة ساذجة للغاية، ولن يرضى بذلك أكثر الناس غباءً، أحس أن خلف ذلك سراً قد يكلفهما الكثير!

قال سامح على الفور، وبلهجة مرتبكة: «**أرجوك.. افتح بريدك، اسمع، أنا أريد أن أقرأ الرسالة مرة أخرى، فقط.. أريد أن أتأكد من شيء ما**».

أحضر أحمد جهازه المحمول، كان يجامل صديقه فقط، ويرغب في إنهاء الحوار ليس إلا، عليه أن يخلد للراحة، فقد بذل مجهوداً مضاعفاً هذا اليوم، صحيح أن سامح أثار فضوله بعض الشيء، وساهم في تنبيهه إلى أسوأ الاحتمالات، إلا أن الاسترسال في ذلك سيكون من إضاعة الوقت والجهد، فما زالت الأحداث في بدايتها، ولم يتورط حتى الآن بشيء، ويمكنه في أي لحظة أن ينسحب من المشهد كله، وكأن شيئاً لم يكن.

قام أحمد بالدخول على الصفحة الرئيسية لبريد **شركة غوغل**، أدخل اسم المستخدم بكَسَل، ثم أردفه بكلمة المرور، وأصبحت الصفحة مكتملةً أمامه.

اتسعت أعينهما من الدهشة، كانت مفاجأة غير سارّة للاثنين، تمتم سامح في خوف: «**لقد.. لقد وقعنا في فخ كبير، كبيرٍ للغاية!**»

نظر سامح مرة أخرى إلى قائمة الرسائل، بحث في كل مكان!

بالفعل. . لم يكن يتوهم، فقد حدث ما كان يخشاه!

نظر سامح إلى أحمد، كانت نظرة خوفٍ ووجل، لم يقو على الحديث!

**. . . ، حيث إنهما لم يجدا أي أثر لرسالة توماس!**

**أبداً.. لم يجدا لها أي أثر!**

## ١٧

«أمْرُ هذا الحصار الذي ضربتْه عليّ الصحف المحلية الصادرة في بلادي، بما يشبه الإجماع، يجعلني استحضر اتصالاً تلقيته قبل خمسة عشر عاماً من الملحق الصحافي لإحدى كبريات السفارات الغربية في الرياض، دعاني إلى زيارته في السفارة (فرفضت، ثم زارني في منزلي).

وكان يدعو بألا تتناول كتاباتي المواضيع التي لا يرغبون فيها، بل المواضيع التي يريد هو أن يقترحها هو عليّ لتكون هي مادة كتاباتي!

وفجأة وبلا مقدمات، نهض واقفاً ماداً يده للمصافحة والوداع قائلا: **«إن تجاوبك معنا ومع أفكارنا، هو ما سيؤهلك للرقي في عملك الصحافي، وإلّا ستجد نفسك فجأة «وحيداً» و «خلف الركب»»!**

تذكّرتُ ذلك الحوار بيني وبين الملحق الصحافي الأجنبي، وأنا أرى رأي العين، كلّ ما تنبّأ لي به قد وقع لي بحذافيره!»

**عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، بتصرف**
**مستشار إعلامي**

كانت يد أحمد ترتجف وهي تبحث جاهدة عن تلك الرسالة المشؤومة: «**أُقسم لك؛ أنا متأكد أنها كانت هنا، هذا الصباح رأيتها مرة أخرى، أنا فقط من يعرف الرمز السري، ولا أحد غيري، ما الذي يحدث؟! أرجوك.. أريد أن أفهم!**»

كان سامح يحدّق ببلاهة في وجه صديقه وهو يحادثه بانفعال، كان غارقاً في بحر من الأفكار المتزاحمة، والتي تطرح عليه عدة خيارات للخروج من هذا المأزق، أيقن أنه مُقدمٌ على خطوة خطرة للغاية، فهل يستمر في هذا الطريق الوعر، والذي لا يدري كم سيبلغ ثمنه؟! أم يختار درب السلامة، وينسحب من هذه المواجهة غير المتكافئة؟! خصوصاً وأن أحمد قد تورّط بالفعل، ولا أحد يعلم حدود تورُّطه حتى الآن!

إلا أن ضميره لم يسمح له بذلك، إضافة إلى أنه ليس من الشهامة التخلي عن صديقه في مثل هذا الوقت، وهو الذي قد وعده بتقديم الدعم له!

أقنع نفسه بأن هذا هو السبب الحقيقي، وحاول تجاهل «النداء الداخلي» الذي يتّهمه بضعف الشخصية، وضعف القدرة على اتخاذ القرار، أحس بتضاؤل نفسه، فهو يراها تنساق بسهولة خلف أحمد، لا رأيَ ولا وزن لها!

انتبه إلى أن أحمد يسأله، نظر إليه بطريقة محبطة، ومن ثم بادره بالرد قائلاً: «**أرجو ألا يكون الأوان قد فاتنا بالفعل، لكن الأمر المؤكد أنهم ربحوا هذه الجولة، وأرجو أن أتمكن من مساعدتك للخروج بأقل الخسائر!**»

«**أرجوك.. أنا لا أفهم شيئاً!**»، قال أحمد.

**«اسمع.. كتدبير احترازي، يجب عليك ألا تتصل بالإنترنت في الوقت الحالي، وألا تفتح بريدك الالكتروني، كن حذراً في جميع تعاملاتك الإلكترونية! فهمت؟!»**

قطع حديثهما وصول «زوجة» أحمد إلى المنزل، دخلت من الباب الخلفي.. حينما علمت بوجود سامح، **كانت متحجبة بالكامل**، ولا ترضى بمجالسة أصدقاء زوجها، رغم محاولاته المتكررة، لم تكن متدينة بالمعنى المتعارف عليه، إلا أنها كانت من جُملة النساء المحافظات، اللاتي يُحببن الدين وأهله، كان سامح يتعجب من هذا التناقض المرير تحت سقف واحد، فإذا كان أحمد يتبجح دوماً بانفتاحه المطلق، ودعوته المحمومة لخلع التقاليد «المتخلفة»، وسجالاته شهيرةٌ في هذا الشأن.. فكيف يمكن تفسير هذا التناقض السلوكي الصارخ؟! وكيف له أن يسعى إلى تغيير المجتمع بأفكاره التي يؤمن بها، وهو لم يستطع إقناع أولي القربى؟!

تذكر سامح ذلك الموقف الذي جمعه بأحمد في البحرين، كان على هامش إحدى الدورات التدريبية في أحد الفنادق الشهيرة، عندما مرت فتاةٌ بارعة الجمال، تستميل الأنظار، تذكّر ردة فعل أحمد العفوية بكل تفاصيلها، حينما تنهّد حسرةً وألماً، وقال بالنص: «**آه يا قلبي.. يا ما أنت شايف وساكت!**»، حتى غدت هذه العبارة حصراً عليه وعليها، ثم تذكّر حينما صارحه بتشوّفه لسكرتيرة جميلة، تحمل مواصفات هذه الفتاة، تؤنسه في صبحه ومسائه، وتجعل يومه أحلى وأجمل، ولا بد أن تكون من فتيات البلد، فهو يستطيب نغماتهن كثيراً، يحس أن لها وقعاً مُطرباً، وترانيمَ عَزَّ مثيلها؛ عوضاً عن سكرتيره الحالي «المقرف»!

بل صارحه أكثر؛ بأنه اعتاد على ترك زوجته وأولادها في المنزل،

ويستمتع دوماً بقضاء إجازاته مع إحدى خليلاته في أحد المنتجعات الآسيوية الشهيرة!

كان سامح يَرقب أحمد وهو يجاهد لإسكات ابنته الصغيرة، وإخراجها من غرفة الضيوف، تناثرت أمامه عدة استفهامات محيِّرة، فأحمد اشتهر بمناصرته المحمومة لقضايا المرأة، والدعوة لإيفائها حقوقها، ومع ذلك فهو يخون ويتقرف من زوجته بطريقة بربرية، يسلبها الكثير من الحقوق، ويتمنى أن يعيش بين أحضان تلك الغانية، ويتشوف لتغيير سكرتيره القبيح، في حين أنه يكاد يجزم أنه لن يرضى أن تصبح «ابنته» حينما تكبر سكرتيرةً لمدير مثله، ليفعل وليلعب بها مثلما أراد فعله ببنات الناس!

«**تناقضٌ ما لنا إلا السكوت عليه!**»، حدّث نفسه.

قام سامح من مجلسه، وقال لأحمد بصوت خفيض: «**أظن أنني سأغادر الآن، وسنكمل حديثنا لاحقاً، لكن.. أريد أن أتأكد قبل ذلك.. إن كان لديك في جهازك أي ملف أو أي معلومة قد تدل على شخصيتك الحقيقية؟**».

«**لا أظن ذلك، فهذا الجهاز قد اشتريته هذا الشهر، ومعظم ملفاتي ما زالت في جهازي القديم**»، قالها مستبشراً، وكأنه أحس بشيء من الارتياح.

«**جيد، ولكن.. هل تدخل على مواقع قد تستخدم فيها اسمك الصريح؟**»

«**من وقت لآخر أدخل بعض المنتديات، وكذلك لحساباتي في البنوك، ولكن لماذا تسأل؟!**»

«**إذاً.. فما زلنا تحت دائرة الخطر!**»، قال سامح.

**«أرجوك.. أرجوك! أخبرني بالتفاصيل، فأسلوبك يستفزني كثيراً!»**

**«إنها تلك الصورة اللعينة التي أرسلها لك توماس، كانت طُعماً ذكياً منه، جعلتك تسقط في فخه، لدي تفسير مبدئي، وستثبت الأيام مدى صحته من عدمه، أنا أعتقد أنها لم تكن صورة عادية!»**

كان أحمد مشدوداً لحديث صديقه، يحلل كل كلمة يقولها، انزعج كثيراً عندما توقف عن تتمة حديثه، يريد حل اللغز بأقصى سرعة، أومأ له بأن يواصل حديثه.

أردف سامح: **«بل كانت قنبلة ملغومة، أصابت جهازك في مقتل، وغالبُ الظن أنها كانت صورةً مشفّرة، تحتوي على برنامجٍ للتجسس!»**

**«لم أفهم ما تقول.. أقصد.. هل تعتقد أن صورة الوسيط كانت فخاً لي؟!»**، قال أحمد مرتبكاً.

**«نعم.. تلك الصورة المزعومة ربما كانت متضمنة لبرنامج يتم تسريبه إلى جهازك، حيث سيشتغل بمجرد فتحك الصورة المرفقة، أنت تراها مجرد صورة فقط، بينما هي طُعم خبيث!»**

**«وماذا يعني ذلك؟!»**

**«يعني أن هذا البرنامج الذي تمّ تنصيبه على جهازك يعمل مثل الجاسوس، فيقوم بنقل المعلومات والملفات الخاصة بك إلى جهاز المستفيد، ويمكنه كذلك معرفة طريقة اتصالك، والمواقع التي تدخلها، وقد يتمكن من الدخول إلى كل حساباتك الإلكترونية، ببساطة.. هو يتحكم في جهازك وكأنه بين يديه!»**

كان أحمد في أسوأ حالاته، تخيّل نهايته الكارثية، أحس بانهيار كبير في قواه، أصبحت يده ترتجف بشكل أكبر، حاول أن يتعلق بقشةٍ

نجاة، بأملٍ باهت، قال لسامح: «**هل.. هل تعني أنه قد انتهى أمري الآن، وعرفَ توماس كل شيء عني؟!**»

كان يتوق إلى سماع شيء يجعله يشعر بالحياة من جديد، فقد بدأ يشم رائحة النهاية المحتومة!

هو يعرف توماس حق المعرفة، رجل أرعن ومتهوِّر، لا يمكن أن يقف في وجهه أحد، وبمقدوره أن يكتب نهايته بإشارة واحدة، وما الذي يمنعه من ذلك؟!

كرر أحمد سؤاله المستجدي، كان ينظر في عيني سامح، يطلب منهما المعونة بكل مهانة، احترقت كل أوراقه، أصبح عارياً من كل شيء: «**هل يعني هذا.. أنه.. انتهى أمري؟!**».

«**ليس بهذه البساطة التي تعتقد**».

فتحت هذه العبارة آفاقَ حياةٍ جديدة لأحمد، ما زال غارقاً في لُجَّةِ قنوطه، إلا أن المضطر لا يفتأ يستشرف خيالات الأمل.

أضاف سامح بعد لحظات تأمل: «**حصولهم على جميع معلومات جهازك يعتمد على عدة أمور، منها على سبيل المثال المدة التي مكثتها متصلاً بالإنترنت بعد الاختراق، ومدى صلابة برنامج الحماية لديك، وأشياء أخرى**».

بادر بالتأكد من تحديثات برنامج مكافحة التجسس، كان آخر تحديث قبل ثلاثة أيام، وهذا جيد نسبياً، إلا أنه لا يكفي وحده، فربما استخدموا ملف تجسس لا يتعرف عليه برنامج الحماية، ولم تقم الشركة «الأم» بإدراجه في تحديثاتها بعد، سباقٌ شرسٌ مثير، لا يعلم أحد إلى أين سينتهي!

«**وما هي المعلومات التي وصلوا إليها في جهازي؟!**»

**«لا أحد يعلم، إلا أنني أعتقد أنه الوقت المناسب للاستعانة بصديقك..مستر راجي، فالصديق عند الضيق، ولا أظن بأنك ستعارض فكرة السخاء عليه هذه المرة، أليس كذلك؟!»**

استأذن سامح بالانصراف، واعداً إياه بأن يزوره لاحقاً حينما يأتيه جواب من صديقه مستر راجي، ابتسم في وجهه وهو يهم بمغادرة غرفة الضيوف، كانت ابتسامته مصطنعة، خرجت بشكل باهت، وهل يمكنه فعل غير ذلك في مثل هذه الظروف؟!

## ١٨

«مرّت امرأة جميلة بينما كنا جالسين في ردهة إحدى فنادق البحرين، فتنهد صديقي الليبرالي، وقال: «**ياقلبي يا كتاكت، يا ما أنت شايف وساكت!!**»

لاحظتُ من حديثه أنه يقول إنه «نصير للمرأة»، إنما ليس لديه مانع في ما يلي:

١ ـ أن تكون له سكرتيرة مواطنة جميلة، بدل السكرتير الهندي القبيح الذي أقرفه عيشته.

٢ ـ أن يترك زوجته قابعة في المنزل مع الأولاد، ويذهب ليقضي إجازته في (..) حيث يستمتع بالنساء كما يقول.

**سؤالي**: كيف تكون ـ ياصديقي الليبرالي ـ نصيراً للمرأة، بينما أنت تقرف وتخون زوجتك إلى هذا الحد؟ وهل ترضى أن تكون ابنتك السكرتيرة الجميلة لمدير آخر لكي يفعل بها ماتريد أنت أن تفعله ببنات الناس؟!»

**د.كمال الصبحي ـ**
**مجموعة عبد العزيز قاسم**

انتشر الخبر سريعاً، لم يعد يشغل رواد المجمع الثقافي سوى شيء واحد، الكل صار يهمس بما جرى في منزل توماس هول.. أثناء الحفلة الخاصة، بعضهم زاد وأنقص، إلا أن معظم الروايات تكاد تتفق على شيء واحد:

**«منزل الرجل القوي تعرَّض للسرقة، وتم السطو على عدد من أشيائه المهمة، بعض المقربين منه يؤكدون أنها مهمة للغاية، وتوماس في حالة مزاجية متوترة»**

أصابع الاتهام مشهرة في كل اتجاه، كل من حضر الحفلة متّهم، الشكوك تتزايد على **تركي الصالح**، الزائر الجديد، فقد اختفى سريعاً، واختفت كل آثاره، وما زال البحث عنه جارياً، علّق أحدهم بأنه يعرف تركي الصالح حق المعرفة، كان يقسم أن له علاقة ببعض «المتطرفين الأصوليين»، رآه قبل الحفلة بيوم واحد يدخل منزل أحد رموزهم «الحركيين»!

استنفر المجمّع الثقافي عن بكرة أبيه، تم إرسال طلب مستعجل لجلب فرقة تحرٍ خاصة.. من إحدى القواعد في دولة مجاورة، ستصل بعد ساعات، كما تم التحفظ على كاميرات المراقبة الخارجية، وإغلاق المنزل بالكامل، تمهيداً لتفتيشه.

كانت تلك مجرد شكليات، ربما لا تنفع كثيراً!

فالمشتبه الرئيس؛ **تركي الصالح**، أصبح بعيداً عن مجريات الأحداث، لا أحد يدري أين هي وجهته، إلا أن المؤكد أنه قد حجز طائرته، وغادر سريعاً.

## ١٩

«هناك نكتة قديمة ومستمرة حتى الآن بين الشباب السعودي وهي أن **جريدة الرياضية** اليومية، ذات اللون البرتقالي.. تتمتع بأكبر شعبية، وتوزع أكبر كمية.. لأنها الجريدة السعودية الوحيدة التي تنشر الحقيقة، وأخبارها صحيحة ١٠٠٪!!»

**جون برادلي ـ تعرية العربية السعودية**
**ترجمة: حمد العيسى**

وصل الفريق الأمني المكلف بالتحري عن سرقة منزل توماس هول سريعاً، جاءت الأوامر أن يعمل تحت تصرف توماس مباشرة، ويرسل التقارير إلى القيادة باستمرار، كان الفريق مكوناً من أربعة أشخاص، أحدهم خبير تقني، لديه خبرة واسعة في مجال الحاسب الآلي، شرعوا في ربط أجزاء القضية ببعض، والاستماع لجميع التفاصيل، ومن ثم شاهدوا تسجيل كاميرات المراقبة، وتتبعوا البصمات في كل مكان في المنزل.

اتفقوا على تطبيق نظرية «**تضييق الخناق**»، وذلك بطرح كل الاحتمالات الواردة، أياً كانت نسبتها، ومنطقيتها، ومن ثم استبعاد ما يتبين بُعدها عن الهدف، وذلك في ضوء الأدلة التي تتوفر بين أيديهم.

بعد تأكيدات من توماس بأنه نام ليلتها أكثر مما هو معتاد عليه، وأنه أحس بثقل وخمول في جسمه لعدة ساعات.. قاموا بتحليل عيّنة من دمه، فاكتشفوا أنه يحتوي على **عقار منوِّم**، ولكن بنسبة مخففة، بما يكفي لجعله نائماً لعدة ساعات فقط.

أصدر توماس أوامره بتحليل كل من حضر الحفلة، فكانت المفاجأة، أن جميع العينات كانت نتيجتها إيجابية، وظهرت آثار العقار المنوم فيهم جميعاً، من دون استثناء!

بقي شخص واحد لم يشمله التحليل!

«**تركي الصالح.. فقط**»، تمتم توماس.

جعل توماس يتأمل، كان منفرداً في مكتبه، أمر سكرتيره بعدم السماح لأحد بزيارته، كان مكتبه فوضوياً على غير العادة، الأوراق مبعثرة هنا وهناك، الملفات لم تُرجع إلى مكانها، أكواب الشاي

مبعثرة في كل مكان، أطرق توماس برأسه، عيناه لا تملّان الحركة، اشتبهت الأشياء أمامه، فما صار يستطيع التركيز: «**هل يمكن أن تفعلها يا تركي؟! ولماذا؟!**»، حدّث نفسه.

لم يستطع أن يجد دافعاً واحداً يجعله يُقدم على مثل ذلك، هل تربطه صلات بالأصوليين كما يشاع الآن؟! أم إن له ارتباطاً بجهاز المباحث؟! أم إن هذه التهمة أُلصقت فيه إلصاقاً، وهو منها براء؟!

لم يستطع أن يرجّح أحدها، فلا يملك حتى الآن أي دليل محسوس، وهو لا يعوِّل كثيراً على الإشاعات التي تُنثر في الهواء! إضافة إلى أنه يثق كثيراً في تركي، فقد كان مثالاً للمستنير (العصري)، وذلك بكتاباته التي أزعجت التيار الأصولي كثيراً، كما إنه قد أغدق عليه المال والهبات، وبوأه منصباً إعلامياً مرموقاً لمن هو في مثل سنه، فهل يتصور بعد هذا أن يخونه بهذه السهولة؟!

«**هل استعجلتُ في تقديمه للجمهور؟**»

تذكر توماس خطوات استدراج تركي لعالمه، كان يتابعها بالتفصيل، حيث أوكل المهمة لإحداهن، وأمرها باتخاذ «اللازم» لاستمالته.

لم يكن لدى تركي توجهٌ فكري معيَّن في بداية الأمر، بل كان كاتباً حراً، يكتب من وحي ضميره، وثقافته، حتى شرعتْ **فتاة توماس** بالتحدث معه عبر «الماسنجر»، كانت تناقشه ابتداءً في العديد من القضايا الثقافية المشتركة، ثم تطوّر الأمر بها إلى بث بعض همومها ومشاكلها، واستمر الأمر على هذا النحو حتى نجحت باقتدار في «المهمة الخاصة» الموكلة إليها، وأتت به إلى مملكة توماس من أوسع الأبواب!

«**لا يمكن أن يفعلها تركي!**»، حدّث توماس نفسه.

إلا أن هذه الثقة المفرطة تهاوت سريعاً . . حينما دخل عليه **رئيس فرقة التحري**، وأخبره بشهادات موثقة:

لقد ثبت عن طريق أكثر من مصدر أن **تركي الصالح** قام بزيارة خاصة لمنزل **الشيخ عبد الله الساعي**، زاره في منزله بالدمام، كانت الزيارة في الليلة التي سبقت موعد الحفلة بالضبط!

ليس هذا فحسب!

بل إن كاميرات المراقبة أثبت أن لتركي شريكاً في العملية، أو بالأحرى **شريكة متنكرة**، كان دخولها للمنزل متأخراً، بعد عدة ساعات من بداية الحفلة، ويُرجَّح أن يكون ذلك وقت تخدير جميع الحاضرين، بفعل العقار المنوم، الذي تم دسّه في جميع الكؤوس!

إلا أنه لم يتم التعرف حتى الآن على ملامح المرأة في التسجيل، فقد كانت متحجبة بالكامل، ولا يُرى منها شيء!

«**خطةٌ محكمة، أليس كذلك؟!**»، قال توماس في إحباط بعد أن شاهد لقطات من التسجيل، كان ينظر إلى وجه رئيس فرقة التحري، الذي خمّن أنه يستعدّ للبوح بمعلومات حساسة!

«**في الحقيقة، ربما تكون خطة ذكية، ولكنها غير محكمة على الإطلاق!**»

«**وكيف يكون ذلك؟!**»، رد توماس.

«**دخول هذه الشريكة ما زال يمثل لغزاً بالنسبة إلينا، وقد فتح لنا عدة احتمالات، ما زلنا ندرسها بالتفصيل، فقد أحصينا عدد الضيوف الذين قمتَ بدعوتهم، فوجدناهم (ثمانية) أشخاص بالضبط، والمرأة المتحجبة ستكون (التاسعة)، تذكر.. ستكون التاسعة، وتأكدنا من عددهم بواسطة التسجيل المرئي أكثر من مرة..**

**ولكننا.. وجدنا أن عدد الخارجين من منزلك.. (ثمانية) أشخاص فقط!**

**استطعنا التعرف عليهم جميعاً، بمن فيهم تركي الصالح، إلا أن تلك المرأة.. لم تخرج إطلاقاً، فلم تُظهِر الكاميرات صورتها ضمن الخارجين.. على الإطلاق!»**

أخرج توماس هاتفه النقال، بحث عن اسمه في انفعال..

«**نعم سيدي**»

«**وليام.. اسمع كلامي جيداً، أريد تركي الصالح حالاً، مهما كلفك الأمر، اعتبر ذلك أكبر مهمة أكلفك بها في حياتك، مفهوم؟**»

لم يسبق لوليام أن يسمع مثل هذه النبرة المحبَطَة من توماس، إلا أنه يبدو أن الأمر خطير جداً: «**أمرك سيدي، سيكون عندك بشكل أسرع مما تتصور**»

«**اسمع.. أريده حياً، يجب ألا يُصاب بأي مكروه، تذكر ذلك جيداً!**»، ثم أغلق الهاتف.

## ٢٠

«الذين يسمون أنفسهم الليبراليين في السعودية، الذين يتمسحون بالليبرالية وهم أبعد ما يكون عنها،...، إنهم ينظرون إلى المرأة باعتبارها ماكينة تفريخ، أو إنها وسيلة للترفيه والمتعة والجنس فقط، وينظرون لها نظرة لا أخلاقية!»

**سمر المقرن، بتصرف**
**صحيفة الصوت الكويتية**

ابتسَم قلب عبير، وتورّد.. زهواً وبهجة..

وضعت هاتفها النقال بجوارها، وأَشرقَ كل شيء حولها، حتى استحالَ جنة النعيم، فما زال صوت «صاحب المعالي» يطرق أذنها، لقد حادثها بشكل شخصي، ناداها باسمها، وزاد حينما لاطفها: «**ما أحلى عبيرك يا عبير، أعجبتني قصائدك، وما أصدق من سماك.. (عبير)**»

ما ألطفه، وما أحلى حديثه، له أثر على قلوب محبيه: «**على جلالة قدره، وازدحام شغله، إلا أنه يقرأ لي، ويجد متسعاً من الوقت لمهاتفتي**».

فزعت إلى المرآة، حدّقت في تفاصيلها، جسدها يُبهج الناظرين، دوماً ما تفعل ذلك، حتى قبيل المنام.

تفعلُ ذلك.. كمن يتفحص كنزه المخبوء، فهو مهوى قلوب الرجال، ومحطّ أنظارهم.

«**هل بالفعل قرأ لي بمحض الصدفة، وأُعجب بما أكتب؟ أم إن جمالي له دور في ذلك؟**».

«**أم إن أحدهم أوصل كتاباتي وأشعاري إليه؟**».

«**ولكن كيف حصل على رقم جوّالي؟!**».

«**وهل تنتهي القصة عند هذا الاتصال؟! أم إن له دلائل ورسائل أخرى؟!**».

«**هل ينتظر مني شيئاً استثنائياً؟!**».

«**هل يعوِّل عليَّ للعب دور ما؟!**».

تتابعتْ موجات من الخطَرات التحليلية، تراخت عبير معها،

فسافرت بصحبتها بعيداً، قضت فيها أوقاتاً مضطربة.. بين البهجة، والتساؤل، بين الاعتداد بالنفس.. وسؤالات الريبة والغموض، إلا أن الشيء الذي استقر في ذهنها، ولم ينفكّ عنه، والذي قررت أن تنقّب عنه بشكل شخصي، هو تساؤلها الملحّ: هل اتصال «معاليه» من باب الصدفة والتشجيع البريء؟! أم إن المسألة أوسع من ذلك بكثير، فهي تتخذ طابع **«التنظيم»**، وخدمة أهداف معيّنة؟!

بدأت بالتفكير في حقيقة بعض المحيطين بها، هل فعلاً هم أعضاء في هذا التنظيم؟ وبشكل منظَّم أكثر مما كانت تتصور؟ أم إن الأمر لا يحتمل كل ذلك؟!

لم تكن لتتحرج من العمل تحت تنظيم معين، ولا حتى شعار مُعلن، إلا أن شعلة الفضول التي بداخلها فجّرت هذه الأسئلة، وألحّت عليها لكشف هذه الغشاوة، وتجلية حقيقتها.

ما زالت عبير تحدّق في المرآة، تأملت ملامحها بشكل فاحص، أعجبها حُسنها، ونضارتها، لاتستطيع أن تلوم اللاهثين خلفها، إلا أنها لا تؤمن بمبدأ «إشاعة» جسدها للجميع، لا عن تدينٍ أو استحياء، بل لأنها ترى أن «الحِمى» إذا رتعتْ فيه كل الهوام، وتمكنت منه، فسيتجرّد من كل بريق، وسيفقد وهجه وقيمته، لذا قيّدت «حرث» جسدها لعِلية القوم فقط، وبقدرٍ معلوم.

دققت في المرآة أكثر، لكأنّها تبصر شيئاً مختلفاً، شيئاً يجعلها تحس بتلك الذكريات القديمة، رأت صورة طفلةٍ تملأ عينيها، تلك الطفلة التي بداخلها، أحست بالحنين والألم، أحست بهما معاً، لم تكن تتخيل يوماً ما أن تَجْرفها الأقدار إلى مثل هذه الأحوال، تأملت أطياف حياتها، مسيرتها، أفكارها، صداقاتها..

متباينةً كانت!

رنّ هاتفها النقال، معلناً وصول رسالة نصية، كسرتْ نغمتها كل قَداسات الذكرى، تلاشت كل تفاصيلها، وردّتها إلى عالمها السفلي، تناولت الهاتف، رسالةٌ نصية من ياسر الواصلي:

«**عبيري:**

**عشر دقائق فقط، سأكون في الموعد..**

**طاب قلبك**»

انقبض قلبها حينما قرأت اسمه!

استغربت!

هي المرة الأولى التي يحدث فيها مثل هذا الانقباض من حبيبها!

عللت ذلك بسبب تعرّضها لمفارقات متتالية، اتصالُ صاحب المعالي، أسئلتها الملحة، ذكرياتها التي تلاحقها باستمرار؛ كلها مجتمعة.

«**بانتظارك حبيبي..**

**عبيرك**»

هرعت عبيرُ إلى النافذة، كثيراً ما تفعل، خصوصاً إذا ضاقت عليها نفسها، لا تدري لِم ارتبطت الأحزان بتلك النافذة، حَسَرتْ عن ساعديها، جالت ببصرها في السماء، لا تُبصر سوى استدارة القمر، تأملت فيه، أنيقاً كان، استرجعت صورة الطفلة التي بداخلها مرة أخرى، قفزتْ إليها صورة والدتها، لم تبصر سوى وجهها الملائكي، كان محاطاً بنور سماوي، وهالة قدسية.

كم تحبّ أمها، وكم تحمل لها وداً وحنيناً، أريجها ورائحتها تغمران المكان، كلماتها الودودة تحيط الموجودات، كانت تحب أمها أكثر

من أي شيء آخر، صبيحة رحيلها.. أحست بأن قلبها قد شاخ، وروحها، ومستقبلها، وكل ما سيبلغه ناظراها!

**«رحمكِ الله.. يا أمي»**

أيقنت بأنها لو كانت حية لما ارتضت سلوكها، ولساهمت في تغيير وجهتها، فلربما لم تكن لتتعرف على ياسر، ولا لتخرج معه متى شاء، ولا لتتلقى اتصالاً من «معاليه»!

كثيراً ما تعتري عبير مثل هذه اللحظات، تُكثر فيها من التفكُّر، واستمطار تفاصيل الذكريات، أطلالُ دمعةٍ هنا، أشرعةُ ذكرى هناك، يؤنبها ضميرها أحياناً، تحس بالذنب، ما زالت تتلمس شعلةً صغيرة في قلبها، شعلة من إيمان، غرستها فيه أمها الراحلة، وحفظ قلبها ذلك الغرس!

بيئة محافظة.. لم يكن لينبت فيها سوى سنابل الفطرة.

إلا أن تلك السنابل قد ذبلت، واصفرت؛ حينما اقتُلعت من مكانها، وغُرست في موضع آخر!

**في بداية تحوّلها**.. تلقت عدة صدمات من حياة المنتسبين إلى «الحرية» الذين تعرّفت عليهم.. لم تكن لتتنازل عن الصلاة أبداً، ولم تذكر أنها أضاعتها يوماً، كانت تؤمن بأنها حبل الصلة الأخير مع الله، وإذا انقطع.. انقطعت تلك الصلة، إلا أنها صُدمت من تهاون كثير من «الأحرار» بأمر الصلاة، ولمزهم لها بالمتشددة أول الأمر، لم تكن لتتخيل وجود مسلم لا يصلّي!

ومن ثم صدمتها حقيقة أخرى، كانت أمرَّ من الأولى، وأشد وقعاً، كانت تؤمن أنها من «**الخطوط الحمراء**» التي لا يجتازها سوى سفلة القوم ووضعاؤه، كانت تلك الحقيقة هي «الانحطاط الأخلاقي» لكثير

من الأحرار، وشيوع العلاقات المحرمة بينهم، كانت تجد أول الأمر نفوراً كبيراً من ذلك، حتى أنها امتنعت عن قبول دعواتهم فترة من الزمن، وصُعقت عند علمها بوجود استراحات مفتوحة، تضم عدداً من الكتاب والكاتبات المشهورين، تدار فيها الكؤوس، و«الرؤوس»!

ما زالت تتذكر قصة تلك «المرأة» الشهيرة.. التي هربت إلى دولة مجاورة، بعد تلك الحفلة الشهيرة!

...، معارض الكتاب الخارجية من أشهر لقاءاتهم، وأكثرها إثارة!

«المرأة».. حينما تخلع قلبها، وتضعه على طبق فاخر، ومن ثم تسلّمه إلى «رجل» غريب؛ فإنها.. تخلع معه كل شيء!

ولا تستطيع بعدها.. التمنع من «أي شيء»!

هم كذلك؛ كل الرجال، وكل النساء.. ولا استثناء!

أما الموقف الذي لم تستطع عبير نسيانه أبداً، وأصابها فعلاً بذهول كبير، فهو موقف التضايق عند سماع **القرآن الكريم!**

حدث ذلك عند مرافقتها لوفد من «الأحرار» في سيارتهم الخاصة، المتجهة إلى **مدينة الأحساء**، لحضور فعالية ثقافية، وأثناء البحث عن قناة إذاعية مناسبة، صدح صوت أحد القراء المعروفين بآيات شريفة، حينها لحظت تصرفاً غريباً من أحد «الأحرار»، المتحول مع موضة المتحولين من تيار الاشتراكية إلى الرأسمالية، لحظتْ تأففه من سماع هذه الآيات، ومسارعته لتغيير القناة الإذاعية فوراً!

عبير؛ أحست بغليانٍ يعتري جسدها عند رؤية هذا التصرف، لماذا يتضايق من سماع القرآن؟! لم تكن لتتخيل وجود مسلم يفعل مثل ذلك!

صحيح أن هذا «الفاعل» ليس من الأحرار «المحليين»، بل ينتسب إلى إحدى الدول العربية، وهو يمثل طيفاً متطرفاً داخل تيار «الحرية»، إلا أن وجوده بينهم، وحفاوتهم به، وتقديمهم إياه، كل ذلك جعل عبير تتلقى هذه الصدمة بكثير من الممانعة، والنفور!

وهذا «الطيف» المتطرف لايجد حرجاً في تسفيه كل ماهو إلهي منزَّه، أو حتى سبّ كل ما هو مقدس، إلى درجة دعوتهم بـ «جرح السماء». . لاستثارة الجماهير!

استرجعتْ عبير في أول كلمة تعلمتها من توماس، تقبلتها أول الأمر، إلا أنها حينما فكرت فيها. . وجدت أنها تحمل مآلات خطيرة للغاية!

كان يُحادثها بطريقة مهذبة، ما زالت تتذكر كل التفاصيل، قال لها: **«عبير.. مارسي الشك المنهجي، واسألي عن كل شيء، لا بد أن تنفي كل شيء، ولو كان في كتابكم المقدس، حتى تصلي إلى الذات الشكاكة! وبغير ذلك فإن نجاحك لن يحصل أبداً»**

رن هاتفها رنة واحدة، ياسر ينتظرها عند الباب!

ألقت نظرة أخيرة على المرآة، تأكدت من خلو وجهها من أية أحزان، أو بقايا ألم. .

. . .، وسارعت للّحاق بياسر!

## ٢١

«المشروع الليبرالي عند المتلبرلين السعوديين الذين اقتحموا صفوف الليبرالية واحتلوا مقاعدها الأولى. . ليس أكثر من مشروع أنثوي يبدأ بالمرأة، وينتهي بالمرأة، مروراً بالمرأة!!»

**خالد السليمان**

**عكاظ، العدد: ٢١٦٩**

بدأت التحريات بشكل موسع للبحث عن **تركي الصالح**، تم جمع المعلومات من كل شخص له صلة به، قصّوا أثره في الفندق الذي كان يسكن فيه، لم يحصلوا على شيء، لم يدع خلفه أي إشارة تدل على وجهته الجديدة.

كان تقرير التحري عن تركي الصالح بين يدي توماس، لم تكن النتيجة مشجعة، لم يحصلوا سوى على رقم هاتفه النقال، لم يكن يردّ على اتصالاتهم المتكررة، تبادل هذا الرقم مع الفتاة التي أغرته بالشراب أثناء الحفلة، وعدها أن يتصل بها لاحقاً، لكنه لم يفعل، كان توماس يتمعن في التقرير، قرأه للمرة الثالثة، يبدو منهمكاً في أفكاره، وهي من اللحظات التي لا يتجرأ فيها أحد على مقاطعته، ولا حتى التفكير في مفاتحته بأي موضوع.

وضع التقرير جانباً، انقدحت فكرة في رأسه، أحس بموجة نشاط تعتريه: «**لقد حان الوقت للاستفادة منه**»، حدّث نفسه.

«. . .، **هذه هي القصة كاملة، ونريد مساعدتك.. العاجلة**»، قال توماس هول.

كان يُحادث أحد أصدقائه المتنفذين، له علاقاته الواسعة في قطاع الاتصالات، وعده بتقديم تسهيلات كبيرة في سبيل تحديد موقع تركي الصالح، ثلاث ساعات كحد أقصى، وسيصله موقعه بالتفصيل، سيعتمد على رقم جوّاله الذي أعطاه، مهمة سهلة للغاية، بشرط أن تكون **شريحة الاتصال** ما زالت بحوزة تركي، ولم يقم بالتخلص منها!

«**اسمع يا وليام.. سيتصل أحدهم بك قريباً، وسيخبرك بمكان تركي**

الصالح، كن جاهزاً للتوجه إليه حيث كان، ولو كان في النصف الآخر من الكرة الأرضية»

«حسناً سيدي»

«اسمع.. نسيتُ أن أخبرك بأمر هام: هذه المهمة لا تحتمل الأخطاء.. لأي سبب كان، وإذا أخفقتَ فيها، فأمامك خياران فقط، لا ثالث لهما.. إما أن تَقتل نفسك، أو أن أقتلك بيدي!»

## ٢٢

«هؤلاء.. لا ينطلقون في كتاباتهم من صُدف! هذا عمل منظم، له قيادة، وله تمويل، وميزانيات، ويُدفع له!

وليست القضية.. هذه الأجرة التي يأخذها الكاتب من الصحيفة، بل هناك من يُعيْنه، بل بعضهم له علاقة واضحة ببعض السفارات والجهات الأخرى!»

**د. سعد البريك ـ محاضرة مسجلة**

بقي أربعون كيلومتراً بالضبط عن **الرياض**، هكذا تشير اللوحة الإرشادية..

سيارة «فان» مظللة بالكامل، اجتازت نقطة التفتيش الأخيرة، كانت متجهة إلى هدف محدد، ولمهمة محددة، يقود السيارة سائق (هندي)، يَعرف مداخل الرياض ومخارجها جيداً، ربما أفضل من كثير من سكانها، ويقبع بجواره **وليام بول**، كان منهمكاً في تفحص هاتفٍ جديد أعطي له، يتيح له إمكانية تحديد مكانه على الخريطة، وكذلك الوصول إلى الهدف المطلوب، باستخدام نظام الـ GPS.

تلقى **وليام** معلومات عن مكان وجود تركي الصالح من شخصية مجهولة، أخبره بأنه في الرياض، زوده بإحداثيات المكان: ٢٤,٦٥٤٣٥٦° و ٤٦,٦٥٧٨٥٠°، وهي لأحد الفنادق الشهيرة على شارع الملك فهد، هَبَّ متجهاً نحو الهدف المطلوب، كان يحتاج أن يستقل سيارةً لا يَظهر من بداخلها، وقع اختياره على سيارة «فان» خاصة بالمجمّع، تزوّد ببعض الأسلحة الخفيفة، لا يظن أن المهمة تستدعي مواجهةً مسلحة، خاصةً في مجتمع لم يألف رؤية ذلك في الشارع، إلا إنْ حصلت مفاجآت لم تكن في الحسبان!

ومن يدري؟! فكّر وليام.

«**من فضلك.. أريد جناحاً فاخراً في أعلى طابق، أريده عاجلاً.. لو سمحت**»، قال وليام، كان يحادث موظف الاستقبال في الفندق، ثم أردف في حوار سريع معه: «**أريد التأكد من وصول صديقي، لست متأكداً هل عليّ أن أحجز له جناحاً آخر أم أنه قد حجز لنفسه؟**»

«**يسرنا خدمتك سيدي، اسمه.. لو تكرمت؟**»

«**تركي الصالح**»

ابتسم موظف الاستقبال بعد دقيقةٍ بحث: «**وصل البارحة، غرفة ٤١٤، هل تريد محادثته**»

«**لا شكراً، سأزوره بعد قليل**»، رد وليام.

كان **وليام** يسترق السمع بالقرب من غرفة ٤١٤، سمع أحدهم يتحدث، لا بد أنه تركي، تمنى من كل قلبه أن تتم الأحداث وفق ما خطط لها، سمع ضحكات ناعمة، وأصوات هامسة، لا بد أن تركي يلهو الآن مع إحداهن، لا يهمه ذلك، سيأخذهما جميعاً في رحلة قصيرة!

طرق الباب بكل هدوء..

لاحظ توقف الضحكات والأصوات الهامسة، يبدو أنه سيفسد عليهم متعتهم هذه الليلة!

نظر **تركي الصالح** من عدسة الباب.

استغرب!

ماذا يريد هذا الشخص في مثل هذا الوقت المتأخر؟!

الساعة الواحدة فجراً!

خمّن بأنه من جنسية هندية، تردد في فتح الباب له، لايريد أن يضيع أي وقت، فَتاته تنتظره، لكن.. لا بأس، سينظر ماذا يريد هذا الغريب، ومن ثم سيعود لإكمال سهرته.

فَتح الباب، وسأله ماذا يريد.

استغرب أكثر!

لم يكن يتحدث! ولم تظهر على وجهه أية مشاعر، كان يحدق فيه

بصلف، تنبه تركي لوجود شخص عملاق على يمينه، يحمل تفاصيل مرعبة، وضحكة بلهاء في غير محلها، أمسك هذا الشخص المرعب بمقبض الباب، ودفع تركي إلى الداخل، وقال: «**شكراً على استضافتنا.. أنا ممتن لك كثيراً يا سيد تركي**».

تأكد أنه تركي الصالح، ملامحه تكاد تتطابق مع الصور التي زودوه بها، أخرج **وليام** مسدساً من جيبه، واقترب من تركي، ضحكته البلهاء لم تفارقه، ونشوة الانتصار تغريه بالبطش، إلا أنه لا يريد أن يثير أي انتباه قد يسبّب له متاعب هو في غنى عنها.

قام بتفتيشه بدقه، تفحص كل أرجاء الغرفة، جمع كل حاجياته، وأمره بالاستعداد للمغادرة، ومن دون أي اعتراض، أمر الفتاة أن تفعل ما يأمرها به، وأن تكون مطيعة لأوامره.

وجد **حاسبَين محمولين**، استبشر وليام، لا بد أن أحدهما ضالة توماس، ستكون صفقة العمر، ونجاحاً غير مسبوق.

«**اسمع كلامي جيداً يا تركي**»، اقترب وليام من تركي حتى لاصق وجهُه وجهَه، كانت يداه الغليظتان تمسكان رأس تركي، وتضغطان في شدة، تعمّد أن يُغرقه ببعض لعابه، رائحته كفيلةٌ بتصديع رأس تركي: «**أُقسم بأني سأحولك إلى رماد.. إذا حصلت منك أية متاعب، نفذ ما أقوله لك حرفياً، ولن أمسّك بسوء، مفهوم؟**»

لم يستطع تركي التعبير بأي شيء، فَقَدَ قدرته على الحديث، أومأ برأسه موافقاً، كانت عيناه تتحدثان رعباً، أراد أن يبكي، أن يصرخ، أن يستنجد.. ماتت الكلمات على شفتيه.

أرسله وليام من بين يديه، فسقط على الأرض: «**دقيقة واحدة أمامك.. دقيقة واحدة فقط**»

ثم أردف: «**أُقسم إن حصل منك ما يثير الانتباه في بهو الفندق.. فستكون نهايتك أمام الجميع، ولن تجد في هذا العالم من يتمكن من الوقوف في صفك، سأجعل دماءك تتناثر في كل مكان!**»

عاد **وليام** بهما سريعاً إلى المنطقة الشرقية، لم يعترض طريقهم أحد، ولم تواجههم أية صعوبات.

. . ، ومن ثم توجهوا سريعاً إلى حيث المجمع الثقافي.

فتوماس، والبقية.. على جمر الانتظار!

## ٢٣

**يقول يحيى الأمير معلقاً على الحديث النبوي الشريف والثابت في البخاري ومسلم: (ما تركتُ بعدي فتنةً أضر على الرجال من النساء):**

«الأحاديث التي في جانب من خطابها.. تحس أنه (متوحش)..

إما أن نشك في صحتها!

أو أشك في سياقاتها!

أو لا أرى أنه هناك خطاب نبوي على الأرض يستعين بالسماء عبر الوحي.. لا أتصور أن يكون خطابه بهذه «الوحشية» المفرغة من سياقاتها!»

**يحيى الأمير ـ برنامج فضائي**

**«أُقسم لك بأني لا أعرف.. لا أعرف شيئاً، أرجوك.. أنا..»**

اختلط بكاء تركي بحديثه، تعرض لعدة صفعاتٍ مُوجعة، أدخلوه غرفةً شبه مظلمة، بحيث لا تظهر ملامح أي أحد منهم، تولاه ثلاثة رجال، كل واحد منهم قد تصخّر قلبه، ولا يهزه دمع أو توسل.

**«اعترِفْ بكل شيء أيها الحقير، سوف نُخلي سبيلك بعدها».**

**«لا تراوغ أيها اللعين، سأقتلع عينيك من مكانها!»**

لم يحتمل توماس هول تطورات التحقيق، قرابة الساعة.. ولم يحصلوا من تركي على شيء، كان يتابع التحقيق بشكل مستمر، تَرِده تقارير شفهية كل خمس دقائق، كانت مخيبة للآمال، قرر أن يتولى الأمر بنفسه، أخذ مسدسه معه، كان صوت الحكمة غائباً تماماً!

دخل غرفة التحقيق، كان بكاء تركي يملأ المكان، لم يلتفت توماس إلى خطورة توليه (شخصياً) عملية التحقيق، فربما يجر ذلك عليه عدداً من المتاعب المستقبلية، أمسك بتلابيب تركي، وجره إليه بعنف، تنبه إلى وجود الفتاة في زاوية الغرفة، كانت تبكي في ذهول، متكوِّرة على نفسها، لم يعرها أي اهتمام، فلم يحن دورها بعد، صرخ توماس بأعلى صوته.. آمراً تركي بأن يتوقف عن النحيب والعويل!

**«اصمت.. قلت لك اصمت.. ألا تفهم»**

رعباً.. توقف تركي!

أمر توماس بإنارة المكان، أخرج مسدسه، لا شيء يخسره بعد الآن، كانت يداه ترتجفان من الغضب، وجهه استحال بقعة حمراء، الكل تحاشى الاقتراب منه: **«سأحطم جمجمتك أيها الخائن الوضيع»**

**«أخبرني بكل شيء.. ليس لدي الوقت الكافي للَّعب معك، سأقتلك.. سأجزّ رقبتك بيديّ هاتين، ولن يستطيع أحد محاسبتي»**

**«سيدي.. أقسم لك يا سيدي.. أنا لم أفعل شيئاً، أنا كنت..»**، رد تركي.

دوّت صرخة مجلجلة من توماس، كانت صرخةَ غيظٍ مكتومة في داخله، تراجع الجميع خطوة إلى الوراء، توماس يحمل مسدساً محشواً بالرصاص، وقد يفعل فعلته.

**«تباً لك.. كيف يمكنني تصديقك؟! أنت بريء؟! عليك اللعنة! إذاً أخبرني لماذا سافرت متخفياً إلى الرياض؟!»**

شد توماس من قبضته، ودّ لو يخنقه، لو يسحق رأسه، لو يدوس عليه بقدميه!

**«سيدي.. أقسم لك بأني لم أخرج، أقصد.. أنا لم أسافر متخفياً»**، كان يحاول تركي تضمين أكبر عدد من الكلمات في رده، خشي ألا يتمكن من إكمال جملته، سيعلو صراخ توماس بالتأكيد، أردف قائلاً: **«بل سافرتُ بإذن مسبق من المجمع»**

**«تكذب.. أنت تكذب»**، صرخ توماس.

**«سيدي، أنا موفد من قبلكم لحضور مؤتمر إعلامي بالرياض، سيدي.. أنا.. استلمت تذكرة سفري من المجمع، لم أخرج متخفياً، أرجوك صدقني»**

توقف توماس عن إيذائه، اعترته تيارات ذهول فجائية، كمن استعاد ذاكرته بعد طول فقدان، بالفعل، هو من رشح تركي لحضور المؤتمر، كيف فاته ذلك؟ يبدو أن صدمة السرقة أفقدته توازنه، وخلطت الأوراق بين يديه!

هنا.. تدخل رئيس فريق التحري، لم يقتنع بإجابته، رغم تراجع توماس الملفت للنظر، علق قائلاً: «**حسناً.. ما علاقتك بهذه الفتاة؟!**»

«**مجرد صديقة، كنت ألهو معها، لا شيء.. لا شيء غير ذلك، صدقني**»

«**وأين قابلتها؟!**»

«**في الرياض، حيث تسكن، مجرد صديقة عابرة**»

«**هل تقصد أنها لم تصحبك من هنا؟!**»

لم يفهم تركي مغزى السؤال، ولا أهمية هذه النقطة، إلا أنه سارع بالرد: «**بالتأكيد لم يحدث، ويمكنني إثبات ذلك**»

كان المحقق يتمنى أن يحل لغز الشخصية «التاسعة» في التسجيل، فقد راوده شك منذ البداية أنها هي التي شاهدوها متحجبة في التسجيل، إلا أنه تذكر سريعاً أن قصة الفتاة ما زالت تمثل لغزاً حتى الآن، حيث إنهم لم يجدوا في التسجيل ما يؤكد خروجها من المنزل حتى الآن!

تحيّن المحقق الفرصة السانحة لمباغتته بسؤال مهم جداً، وهو أحد دلائل الاشتباه الرئيسية ضده، سأله: «**إذاً كيف تفسر لي ذهابك لمنزل الشيخ الأصولي عبد الله الساعي، وبقاءك عدة ساعات في منزله؟!**»

هنا..

ارتبك تركي بشكل ملحوظ، ولم يستطع إخفاء ذلك!

## ٢٤

«مللنا من رؤساء تحرير أصحاب «**أجندات خفية**»، لا يفقهون في الإعلام ولا الصحافة، يتربعون على عروش صحفنا كأنها قصور دائمة لهم، ويحاولون أن يفتّوا في عضد المجتمع، ويخربوا ثقافته، ويوجهوا سلوكه!»

**د. مالك الأحمد ـ موقع المسلم**

قرر تركي أن يكون أكثر صراحة معهم، فيبدو أن لديهم معلومات تفصيلية عن تحركاته، وقد تمت مراقبته بدقة..

لايدري لماذا يحصل كل هذا؟!

رد تركي قائلاً: «**بالفعل.. زرته في منزله، سيدي.. أرجو أن تسمح لي بتوضيح وجهة نظري كاملة**»، بدأ توازن تركي يعود إليه تدريجياً، خصوصاً بعد شعوره بتصديقهم له، كان توماس يراقب الحوار بصمت مطبق، حدسه مضطرب هذه المرة، تتجاذبه عوامل عديدة، لم يستطع معها السيطرة على مشاعره وتصرفاته!

أردف تركي قائلاً: «**سيدي.. كانت زيارةَ مجاملةٍ لا غير، فكما تعلم بأن أخي شخص متدين، وقد أصرّ على أن أتناول الطعام مع هذا الشيخ، كنتُ معه في سيارته، وقبلتُ طلبه بعد إلحاح، إضافة إلى أنني في ضيافة أخي، ومنذ مدة طويلة لم أره، فلم أستطع رد طلبه**»

أُسقط في يدي توماس مرتين!

**الأولى**.. حينما أراه وليام بول الجهازين المحمولين اللذين غنمهما من مداهمته لغرفة تركي، لم يكن جهاز توماس بينهما، يبدو أن الآخر يخص الفتاة!

**والثانية**.. بسبب ما آل إليه التحقيق مع تركي الصالح، فقد أيقن أن تركي وقع ضحيةً للصدفة لا غير، فسفره كان في وقت حرج للغاية، إضافة إلى غفلته التامة عن موعد المؤتمر!

إلا أن الأكثر خطورة من ذلك كله..

هو أنهم عادوا لنقطة الصفر في قضية تحري السرقة!

وما زال السارق حراً حتى هذه اللحظة، ولا يعلم أحد حقيقة المعلومات التي استطاع السطو عليها حتى الآن!

## ٢٥

«من الغرابة أن يخرج ناقد بعد **صمت طويل** ليكتب عن رواية أولى «**لإحداهن**» !

ويدبج أحدهم دراسة طويلة لمجموعة شعرية «لإحداهن»!

هل يكتبون بقصدٍ عن أسماء دون غيرها ؟!

أم هي العلاقات الغامضة؟!

أم هي الذائقة مثلا؟!»

**يوسف المحيميد**
**صحيفة اليوم، العدد: ١٣١٥١**

«**من فضلك.. أحتاج مساعدتك، مساعدة خاصة منك** »، قال أحمد الجلال.

استغرب سامح من نبرة صديقه المبالغ في لطفها، وتهذيبها، لم يعهد منه ليناً واستجداءً كهذا، إضافة إلى أنه دعاه لتناول وجبة عشاء في مطعم فرايديز بواجهة الخبر البحرية، فعل ذلك من دون مناسبة، اختار مطعماً فاخراً وهادئاً، ربما في محاولة للتمهيد لما هو أكبر: «**أرجو ألا تكون متاعب جديدة، كم صرت أكره هذا الموضوع، وكل لقاءاتنا من أجله!**»، حدّث سامح نفسه، لم يكد ينفضُّ لقاؤهما السابق.. حتى طلبه أحمد في موعد جديد، ولأجل مسألة حساسة للغاية، كما يدّعي!

تعجب سامح من ارتباك صديقه! حيث كان يحرك يديه بطريقه عشوائية مستمرة، يحك ذقنه بقوة، ويدخلهما جيبيه باستمرار: «**سأكون مَديناً لك ما حييت**»، أضاف أحمد.

تأهّب سامح لسماع كارثة جديدة.. تزيد الأمر سوءاً وتعقيداً!

أضاف أحمد: «**أنا.. أنا لا أدري كيف أخبرك، لكن.. لا بد أن أصارحك، ولن أخفي عنك شيئاً، لقد.. لقد، الحقيقة أنني..،**» كانت نبضات قلب أحمد تتسارع عندما تذكّر الموقف، وتذكر ورطته الجديدة، والتي لا يمكنه التراجع بعدها مطلقاً، لم يُخبر سامحاً بعزمه على فعل ذلك، ولم يستشره في الأمر، كما إنه لم يدرس عواقب فعلته، وما قد تجرّ عليه من متاعب!

إلا أنه أدرك شيئاً واحداً فقط، وذلك بعد تتابع التطورات الأخيرة، وردة فعل المجمع الجادة.. بإحضار الفريق الأمني من الخارج،

وإصرارهم على النيل من المشاغبين له، أدرك حقاً؛ أن العواقب.. حتماً ستكون وخيمة.

**«لقد.. لقد.. أرجو أن تفهمني، لقد.. قمت بـ.. بسرقة جهاز توماس المحمول، نـ.. نعم سرقته من غرفة نومه، وسرقت كذلك عدداً من الوثائق التي كانت ستدينني يوماً ما!»**

## ٢٦

**تركي الدخيل**: لماذا اخترتَ **فسوق** كعنوان لروايتك؟

**عبده خال**: في أوقات كثيرة. . الاسم يكون وليد «أمنية سابقة»!

**تركي الدخيل** «مبتسماً»: ماهي الأمنية اللي جعلتك تسمّي **فسوق** الأمنية السابقة؟

**عبده خال**: ليست «أمنية سابقة»، لكن هي نتاج لهذا العمل (!!)

**برنامج إضاءات**

**«توماس..**

**هبي كريسماس!**

**أرجو ألا نكون قد أفسدنا عليك متعة الاحتفالات الصاخبة هذا العام، لذا نعتذر عن أي متاعب قد سببناها لك.**

**نود لفت انتباهك إلى خطورة العمل الذي أَقدمتَ عليه، وذلك بمحاولة خداعنا بصورة ذلك الوغد القبيح، والعمل على تتبع أنظمتنا، واختراق بريدنا الإلكتروني!**

**نحن نعتبر ذلك قدْحاً في «حسن النيات» الذي تزعم، ومحاولة ملتوية لخداعنا!**

**لذا نعتبر بأن عرضنا الأول قد أصبح لاغياً، وسيرتفع المبلغ إلى خمسة ملايين دولار، سنخبرك لاحقاً بالطريقة المناسبة لتسلّمها!**

**وللمعلومية، فقد بدأنا بالتواصل مع عدد من المراسلين الطموحين، لتسريب ما نراه مناسباً من المعلومات، ليكون ذلك «خبطة العمر» بالنسبة إليهم!**

**قبل أن ننسى، نود طمأنتك أن «جهازك المحمول» في أمان، ويبدو أنه يحتوي على العديد من المعلومات السرية.. فوق ما كنا نتصور!**

**احتفالات ماتعة!**

**المخلص جداً: أحمد الجلال»**

بعد تخطّي حاجز «صدمة» السرقة.. تباحث أحمد وسامح طويلاً في كيفية إدارة المواجهة مع المجمع الثقافي، ومن ثم خلصَا إلى تبنّي خطة **الهجوم الذكي**، وذلك بمحاولة لسع توماس والبقية من عدة جهات، لتشتيت انتباههم، واللعب بأعصابهم، فهم يمتلكون عدداً من الأسلحة المهمة، يمثل الحاسب المحمول أهمها وأخطرها،

خصوصاً بعد تأكد أحمد من أمرين مهمين، سرّبهما له صديقه المهم جداً. . مستر راجي.

وهما. . عدم حصول المجمع على معلومات كافية من جراء محاولتهم اختراق جهاز أحمد، بل استطاعوا الحصول على معلومات قد لا تفيد في الدلالة على هويته.

إلا أن الأمر الأهم، هو تأكيدات مستر راجي باستدعاء وفد أمني من الخارج، للقيام بمهمة تحري السرقة الشهيرة، وكذلك استنفار توماس بشكل لم يسبق له مثيل، والقبض على تركي الصالح، مما يدل على وجود معلومات «حساسة جداً» في الجهاز المسروق!

واتفقًا على أن يواصل أحمد مهامه داخل المجمع بشكل طبيعي، وألا يحاول إثارة أي انتباه، مع أخذ الحيطة والحذر، خصوصاً مع توقُّع تشديد المراقبة داخل أروقة المجمع!

**«سامح.. ما رأيك؟! لا بد أن تكون تحركاتنا أكثر دقة وتركيزاً، لا بد أن نباغتهم من الزاوية التي لا يمكنهم توقعها!»**، قال أحمد.

«...»، لم يكن لدى سامح أية إجابة!

أضاف أحمد بتكلّف: **«أظن أنه قد حان الوقت لتوسيع دائرة الابتزاز، لا بد أن نستهدف عدداً من الشخصيات الأخرى في المجمع، طبعاً بالإضافة إلى توماس، وذلك من أجل التشويش عليهم، ومضاعفة آلامهم، وجراحهم، فما رأيك؟»**، كان لزاماً عليه أن يشاوره، ويُشركه في التفاصيل كافة منذ الآن، فلم يعد مساعداً تقنياً فحسب، بل أصبح شريكاً مهماً للغاية، وخسارته تعني انكشافه أمام الجميع؛ هكذا فكّر أحمد.

اِلتمعتْ فكرةٌ في ذهن سامح، وردّ مبتسماً: **«من دون شك على**

**الإطلاق، أؤيد توسيع دائرة ابتزازنا، وأقترح أن نبدأ بإسقاط أهم شخص في المجمّع بعد توماس، لا بد من إسقاطه، والتشهير به على أعين الناس، أقصد السيد الكبير.. ياسر الواصلي!!»**، بادر سامح بالنهوض من مجلسه، وشرع في تقمص شخصية ياسر، ومحاكاة صوته، وحركاته أثناء الحديث، ثم أردف: «**لنبدأ به، فهو ساذج، وقليل الملاحظة، وبسيط التفكير، كما.. إن تحركاته مكشوفة أمامنا**»

ضَحِكا سوياً، ضَحِكا من القلب، وطردا السآمة والملل، فالسخرية تطردهما، وتخفف من وطأة العمل، خصوصاً إذا كان هذا العمل خطيراً، وحساساً، قد تتوقف عليه حياتهما.

اتفقا على التفاصيل كافة، وعزما على تنفيذ **خطة جديدة**، ربما ستمثّل منعطفاً أكثر خطورة في مجريات الأحداث.

# ٢٧

**«صديقي الليبرالي/ العلماني/ المتأمرك (أكثر من دونالد رامسفلد):**

تكتب، فيختلط عليّ الأمر، لا أدري هل كنتُ أقرأ لك أم أنني أستمع إلى المتحدث الرسمي لوزارة الخارجية الأمريكية؟!

حسناً يا صديقي..

تُطالب بالقضاء على التطرف؟ أتفق معك.

إذاً، هيّا لنقضي على «التطرف» بكل أشكاله وصوره.

لذلك أقترح أن نبدأ بك أولاً!!»

**محمد الرطيان ـ موقعه الشخصي**

**«إلا أنك لم تخبرني عن الطريقة التي استطعت فيها الوصول إلى غرفة توماس؟»**

**«بل كيف عرفت أن الوثائق في ذلك المكان؟!»**

**«وكيف استطعت تهريبها إلى الخارج من دون أن يحسّ أحدهم بذلك؟»**.

**«وكيف استطعت اجتياز كاميرات التصوير بسلام؟!»**

استمر سامح في إمطار أحمد بوابل من الأسئلة، يدفعه فضوله لمعرفة التفاصيل، وكشف هذا السر المثير، إضافة إلى أنه أصبح شريكاً لأحمد في القضية، فلا بد أن يكون ملمّاً بأدق التفاصيل.

رد أحمد محاولاً إخباره بأقلّ قدر من المعلومات، لأنه موقنٌ بضرورة التكتم الشديد في مثل هذه المواضيع، حتى مع من يثق بهم: **«يبدو أن لديك حساً أمنياً رفيع المستوى يا صديقي، أخبرني.. هل رشحوك من قبل للعمل في هيئة التحقيق أو حتى في جهاز المباحث؟»**، ضحكَا سوياً، ثم أردف أحمد قائلاً: **«لو دخلنا في التفاصيل لما انتهينا أبداً، سأخبرك بملخص الموضوع، ولكن ليس قبل أن تشاركني شرب الشاي»**.

**«طبعاً.. تم ذلك بطريقتي الخاصة، حيث تم وضع عقار منوم في جميع الكؤوس، ولا تنس أنني سلمت مبلغاً جيداً لمستر راجي.. ذلك الجشع النذل، والذي عانيت معه كثيراً، حيث امتنع عن مساعدتي بشكل مباشر، بل وافق على تقديم تسهيلات من بعيد.. فقط»**، كان أحمد يلحظ أثر حديثه على سامح، لم ينتبه إلى أنه انتقل به إلى موضوع جزئي، وتهرب عن الإجابة، يعلم منه ذلك، فهو شخصية سهلة القياد، سريعة الاقتناع، أضاف قائلاً: **«كما إنه.. هو الذي أكد لي وجود الوثائق في غرفته، وهو من قام بتحديد أماكن الكاميرات**

**بالضبط، حتى لا يتم تصويري وأنا أحمل الوثائق، بل قمت بتهريبها من إحدى النوافذ المطلة على فناء بيته».**

**«معذرة.. لكن هل يمكنني معرفة حقيقة هذه الوثائق التي وجدتها بالضبط؟»**، قال سامح.

**«بالطبع.. ليس لديّ ما أخفيه عنك، ولو أنني لم أبادر بحرقها لعرضتها أمامك الآن، مجرد بعض التوثيقات الكيدية ضدي، كان بإمكانهم استخدامها يوماً ما»**، لايدري أحمد لِم قام بخفض صوته بشكل لا إرادي، رغم خلوّ المكان من أي أحد: **«يعني.. صورُ بعض الحفلات، لقاءات في بعض الاستراحات، صورٌ خاصة جداً، إضافة إلى بعض المستندات المالية التي قمت بتوقيعها!»**

محاولاً تغيير مجرى الحديث؛ قال أحمد: **«ما رأيك أن نبدأ في اكتشاف محتويات جهاز توماس؟ إنني متشوق لمعرفة التفاصيل، يبدو أنها تحتوي على معلومات مثيرة؟»**

**«بالفعل.. الفضول يدفعني كذلك، خصوصاً بعدما أخبرتني باستنفار المجمع بأكمله للبحث عنه، إلا أنني أحذرك من مجرد التفكير بتوصيل جهازه بالإنترنت!»**

**«أظن أنه ليس من العقل تكرار الأخطاء الفادحة، خصوصاً في مثل هذه الأحوال»**، رد أحمد مبتسماً.

تمكّن سامح بسهولة.. من كسر كلمة المرور السرية لجهاز توماس، لم يأخذ منه ذلك سوى بضع دقائق، يتقن طرقاً عدة لفعل ذلك، ومن ثم شرع في تفتيش ملفات جهاز توماس، ونسخ المهم منها في «هارد دسك» خارجي.

استغرق البحث قرابة ثلاث ساعات، استوقفتهم أمورٌ كثيرة، أهمها

مجموعة صور خاصة بإحدى الحفلات التي أقيمت مؤخراً في البحرين، ويظهر فيها عدد من الكُتاب المحليين بصحبة فتيات شقراوات، ويظهر أنهم كرعوا من الكؤوس.. حتى لم يجدوا مانعاً من التقاط الصور معهن في أوضاع قد تسبب لهم حرجاً مع مجتمعهم، وتفقد أية صدقية لأقلامهم!

فكر أحمد؛ ربما يكون لدى توماس العديد من الأفكار التي يمكن من خلالها الاستفادة من هذه الصورة، كجعلها وسيلة ضغط لجرِّ هؤلاء الكتاب للحديث عما يريد هو، وبالطريقة التي يراها، أو حتى كورقة ضغط أخيرة.. لإسكات أي متمرد أو متراجع!

ربما.. من يدري؟!

إلا أنه أدرك أن توماس لم يكن بالغباء ليفعل ذلك بطريقة مباشرة، لا يحب استخدام أسلوب التهديد مع المثقفين، وخصوصاً العرب منهم، فهو يدرك أن العِرق العربي لا يُقاد - عادة - بالقوة، ولا بالتهديد، بل يمكن في أحايين كثيرة الاستغناء عن ذلك بطرق مختلفة، مع إمكانية استخدام هذه الورقة كحلٍّ أخير.

«**أين ذهبتَ؟! يبدو أنك سرحت بعيداً جداً!**»، قال سامح.

«**ليس بعيداً.. مجرد خطَرات تافهة**»، رد أحمد مبتسماً.

«**انظر.. ألا ترى معي جَمال هذه الصور؟**»، كان يُشير سامح إلى عدد كبير من الصور الطبيعية، جُمعت في ملف واحد، تحت تصنيف: «**عام**».

قطّب أحمد حاجبيه، وقال: «**وماذا لفت نظرك في هذه الصور؟! صور خلفيات طبيعية، عادية المستوى، ما الجديد؟! أنا أستطيع تزويدك بصور أجمل منها بمراحل**»

رد سامح بطريقة ساخرة: «**ولكن.. هل فكرت لماذا لديه نسختان من كل صورة؟! انظر معي إلى هذا الملف الآخر، هنا جميع الصور الأصلية، في حين.. أن هذا الملف الآخر يحتوي على نسخة مكررة من هذه الصور!**»

«**الحقيقة.. لم يُثر ذلك فضولي، وما المانع في أن يقوم بعمل نسختين.. أو حتى عشرين نسخة ؟!**»

«**حسناً.. ألم يلفت انتباهك عدم وجود أي ملف نصي في جهازه.. يتحدث عن نشاطات المجمع الثقافي الحساسة؟! أليس ذلك غريباً ؟!**»

«**لم أفهم، إن عالمكم معقد جداً، هي المرة الثانية التي تحدثني عن استخدام التشفير في الصور، أرجوك.. أريد شرحاً مبسّطاً، من دون تعقيدات!**»، قال أحمد متذمراً.

«**حسناً.. سأحاول تبسيط المسألة لك، أولاً.. لا بد أن تعرف أن الصورة الإلكترونية.. تتكون من عدد كبير جداً من المربعات الصغيرة، المعبأة بالألوان، مثلاً.. انظر إلى هذه الصورة**»، أشار إلى إحدى الصور في جهاز توماس، وقام بفتحها، ومن ثم تكبيرها باستمرار، حتى ظهرت مربعات صغيرة، كانت دقة الصورة ضعيفة، كأنها مموهة بلون فاتح: «**انظر إلى هذه المربعات، كل مربع يحمل لوناً معيناً**»

فكّر سامح في طريقة أسهل ليوضّح له، فخطرت له فكرة شعبية، سأله: «**ربما تلاحظ تفاوتاً في دقة كاميرات الأجهزة النقالة، أو حتى كاميرات التصوير، فتجد أن دقة بعضها ٥ ميغابيكسل وبعضها عشرة!**»

رد أحمد بسرعة: «**بالفعل؛ كاميرا جوالي ٨ ميغابيكسل**»

«**جميل.. ذلك يعني أنك إذا التقطت صورة بجوالك.. فإن هذه الصورة تحتوي على ٨ ملايين مربع!** »

أخرج أحمد صفيراً أظهر فيه استغرابه من كل هذا التعقيد!

«**وكل مربع.. يحتوي على درجة لون خاص، قد لاتدركه بالعين المجردة، وكلما زاد عدد هذه المربعات.. زادت دقة الصورة، تخيل يا صديقي أنه يوجد الآن أكثر من ١٦ مليون لون معرّف إلكترونياً! معلومة جميلة.. أليس كذلك؟**»، قال سامح.

«**بالفعل.. ولكن ما علاقة كل ذلك بموضوعنا؟!**»، قال أحمد.

«**إذا فهمت النقطة السابقة.. فأنت اقتربت بشكل كبير من فهم النظرية بأكملها، بقي أن تعرف أن لغة الحاسوب تقوم على رقمين: صفر، وواحد، سأتجاوز هذه النقطة لأنها تحتاج وقتاً لشرحها، لكن.. المهم أن تعرف أن لكل مربع من المربعات التي شاهدتها.. رقماً محدداً**»

أومأ أحمد موافقاً، فأضاف سامح: «**وهنا يكمن السر.. أقصد يكمن في هذه الأرقام، بحيث يتم التلاعب بها، وتغييرها في الصورة الرديفة لهذا المنظر الطبيعي، فيقوم بتحويل النص المراد تشفيره إلى لغة الأرقام، ومن ثم إدراج هذه الأرقام إلى الصورة**»

«**أُحسُّ بأنني بدأت أفقد تركيزي، وأن رأسي سينفجر.. أرجوك اختصر قدر الإمكان!**»

قال سامح ضاحكاً: «**أنت من أصر على الدخول في التفاصيل، عموماً.. قد لايهمك كل ذلك، الذي يهمك معرفته أن تغيير هذه الأرقام ينتج عنه تغيير طفيف في ألوان الصورة الرديفة، أكرر.. تغيير في ألوان الصورة الرديفة، قد لا تتمكن العين المجردة من ملاحظته،**

**ومن ثم.. يتم تبادل هذه الصور بشكل عفوي بين أي جهتين، على أنها صور طبيعية!»**

أكمل أحمد حديث صديقه: «**...، وهي في الحقيقة صورة مشفرة، تحتوي على نصوص مخفية بداخلها**».

«**جميل.. أنت تلميذ نجيب فعلاً**»، قال سامح ضاحكاً، ومن ثم أردف قائلاً: «**بحيث إن المربعات التي تغيّر لونها هي التي تحمل الأحرف، إلا أن الأجمل.. أن تعرف أن هذه العملية برمتها تسمى عِلمياً بـ Steganography**»

«**أووه.. عظيمة.. هذه التقنية!**»

«**عظيمة جداً، تخيل فقط: أنه يمكنك تشفير أكثر من عشر صفحات نصية.. في صورة واحدة فقط! وإخفاؤها داخلها! ولن يخطر ببال أحد أنها صورة ملغومة.. أبداً!**».

## ٢٨

«ما حصل معي مؤخراً في صحيفة الوطن. . هو أكبر دليل على محاولة وأد فكري وقلمي، بعد أن تغيرت إدارة الصحيفة وحاولتُ التعايش مع الإدارة الجديدة التي كانت تَظهر على الملأ لترديد العبارات الإنشائية حول حقوق المرأة، وهم أول من يهضم المرأة حقها، لذا فضلت الانسحاب وعدم الاشتراك في مسرحية هزيلة، فقدمت استقالتي في أكتوبر الماضي!»

**سمر المقرن ـ دنيا الوطن**

كانت أوامره واضحة لسكرتيره **كريست**.. بمنع دخول أي أحد عليه، عدا فريق التحري الخاص بموضوع السرقة، ومن له صلة بهذا الأمر، فقط.

أوقف توماس جميع أعماله، ولقاءاته، لم يعد يُكثر من الظهور العلني، بل هيأ نفسه لجميع الاحتمالات، بما فيها احتمال «**الطوارئ**»، فحجز على الدرجة الأولى باستخدام جواز بديل، ستكون وجهته إلى دبي إذا استدعى الأمر ذلك، ومن ثم سيفكر حينها إلى أين المصير!

لم يُفق بعد من صدمة الرسالة الابتزازية «الأخيرة»، أيقن أنه يواجه جماعة منظمة، ولها أهداف بعيدة المدى، تخوّف من تسرب المعلومات التي في حاسبه، ستكون كارثة بلا شك، رغم أنه اتبع نظاماً معقداً للغاية في إخفاءِ وتشفير المعلومات، وحرص كل الحرص على الحذر في جميع تعاملاته!

**إلا أن فكرة**: سرقة حاسبه من غرفة نومه.. لم تخطر له على بال أبداً!

إذاً فتنظيمه مخترَق، ويعيش في غابة من الخونة؛ فكر توماس!

«**سيدي.. فريق التحري بالباب**»، قال كريست.

«**إذاً فالمصدر واحد، مُرسِل الرسائل العبثية، وسارق جهازي المحمول!**»، قال توماس.

«**وهذا مما يدقُّ ناقوس الخطر، ويجعلنا نُعيد تدقيق جميع الأحداث السابقة**»، رد رئيس فرقة التحري.

«**صحيح.. إلا أنه على الأقل اختصر أمامنا الطريق، وأخبرنا أنهم جهة**

**واحدة فقط، مما يساعدنا في توحيد الجهود، ومراجعة جميع التحقيقات السابقة»**، قال توماس.

كان يَظهر على الجميع آثار الحيرة، وخيبة الأمل، أما كريست فكان منهمكاً في تدوين المهام المطلوب إنجازها، ستكون مهمته التواصل مع جميع الأطراف للتأكد من إتمامها على الوجه الأمثل، أصبح يختنق من كثرة هذه الاجتماعات، بعضها يكون ساخناً درجة الغليان، الجو صار مشحوناً أكثر مما ينبغي، خصوصاً مع توالي النتائج المحبطة.

**«كريست.. أين التقرير؟ !»**، قال توماس.

طلب من سكرتيره أن يوافيه بتقرير التحري الأول. . الخاص بمحاولة اختراق أنظمة المبتزين، حينما أرسل توماس رسالة جوابية لهم، تحتوي على صورة ملغمة ببرنامج تجسس.

**«تفضل سيدي»**

تصفح توماس التقرير مرة أخرى، تمكنوا من معرفة عنوان الـ **(IP Address)** الخاص بالمبتزين، كما تمكنوا من الحصول على بعض المعلومات التي قد تساعد في الوصول إليهم.

استعرض توماس قائمة المعلومات الأولية التي حصلوا عليها بواسطة برنامج التجسس:

فقد استعمل المبتز شريحة بيانات مسبقة الدفع، ويعيش في مدينة الخبر، كما إنه يستخدم حاسباً محمولاً من نوع **(DELL E6400)**، وعرّف نفسه في جهازه باسم **(Layla01)**، وهو اسم أنثوي كما يظهر، إضافة إلى العديد من المعلومات الأخرى: كنوع المتصفح، والويندوز، وغير ذلك.

**«إلا أن هذه المعلومات لم تكن كافية لمعرفة هويته، إذْ إنه لم يقم باستخدام الإنترنت مرة أخرى، حيث إنه على الأرجح قد تنبه للطُّعم!»**، قال توماس.

وهنا..

دخل عليهم الخادم (أفتاب).. مستفسراً عن أي مشروب يرغبون فيه.

توقف توماس عن الحديث، لم يكن يرتاح لهذا الخادم على الإطلاق، حدسه يُخبره، وحركاته مثيرة للشك، خصوصاً في الفترة الأخيرة!

هل سيصْدُق حدسه هذه المرة؟ سأل توماس نفسه.

أضاف توماس بعد خروج الخادم: **«إنه لمن الغباء.. أن نقوم بحذف الرسالة من بريد هذا المبتز اللعين، وكأننا قدمنا خدمة مجانية له!»**.

إلا أنه كان مجبراً لفعل مثل ذلك، فقد أرسلها من بريده الشخصي، ولا بد من محو كل آثارها، فقد كان طُعماً لاصطياد أحمد الجلال لا غير، إلا أنه ثمنه كان أكبر بكثير من جدواه!

٢٩

«إن هذا التيار الذي يُمسك بالإعلام ليست قضيته «أسلوب الدعوة».. ولا شعارات المواطنة والتسامح وعدم الإقصاء.. هذه باختصار «عصابة» لديها مشروع واضح في «تهتيك البنية الأخلاقية للفتاة السعودية» لتكون كتلك الفتاة التي يشاهدونها كل سنة في مصائفهم!»

**إبراهيم السكران**

**«انظري إلى التخلف يا عبيري، كم أتقزز من رؤية هذا المنظر، إلى متى سنظل متقيدين بهذه الأغلال؟!»**، قال ياسر متذمراً.

كان **ياسر** يتجول بسيارته الفخمة على كورنيش الخُبَر، وبصحبته **عبير**، وصديقه **فهد البدري**، لفت نظرهم منظر شاب متدين، يمشي بجوار زوجته المتحجبة بالكامل، لا يُرى منها شيء، حتى أنامل يديها.. يرجع البصر خائباً وهو حسير.

**«ولكن.. ألا ترى أن لهم الحرية في فعل ما يشاؤون، من مبدأ إشاعة الحرية، وذلك المبدأ نفسه الذي تؤمن به؟!»**، قال فهد.

نظر إليه ياسر نظرةً حيرى، كيف يستطيع أن يوصل إليه الحقيقة التي يؤمن بها؟ لا يحب أن يدخل في معارك جانبية.

فهد.. صديقُ طفولة، ولا يمكن أن يُصنفه تحت أي تيار، ولولا علاقته الوطيدة به.. لكان قد لفظه منذ زمن، فما زال تأثير المجتمع «المتخلف» طاغياً على فكره، وسيواصل محاولاته المستميتة في سبيل مساعدته على نزع جلده القديم!

**«فهد.. أقدِّر وجهة نظرك، لكنني مؤمن بأن هذا الحجاب استعبادٌ مقيت، وتخلُّف كبير، لا ترتديه إلا المغفلات، والحمقاوات»**، قال ياسر، كان يكره الحجاب من كل قلبه، ويبغض كل من ترتديه، ويتمنى اليوم الذي يرى فيه كل النساء من حوله حاسرات!

حاسرات؟! بل أكثر، كأولئك اللاتي يراهن ويستمتع بهن كل صيف!

تمنى لو يحدث ذلك الآن؛ بين غمضة عينٍ وانتباهتها!

**«ألا ترى أنك بالغت قليلاً في إصدار هذا الحكم العام؟!»**، قال فهد مستغرباً، ثم أضاف: **«يبدو أنكم صنعتم ليبرالية جديدة، مختلفةً**

**بالكلية، تدعو إلى تكميم الأفواه، ومصادرة الحريات، والكبت على الناس! واستعداء السلطة على الخصوم!»**

أردف فهد ساخراً: «**أقوياء على الضعيف فقط، أنتم.. لستم سوى: «ليبروجامية»»**

«**ماذا تقصد؟!**»، قال ياسر.

«**لا شيء.. على الإطلاق**»، رد فهد ضاحكاً.

كانت عبير تراقب الحوار بشيء من اللامبالاة، ملّت هذه الحوارات، هي تحب حياة هذا التيار المتحررة من كل قيد، وافق شيئاً في هواها، كما أوصلها إلى طموحها الذي كانت تحلم به، وأصبح يشار إليها في كل محفل، إلا أن مسألة اللمز من شعائر الدين بشكلٍ مباشر.. ما زالت تسبب لها حرجاً في داخلها، لم تتعود عليه كما تعود الآخرون!

وهو آخر الحواجز التي لم تُسحق بعد!

طال حوارهما، وتشعب في تفاصيل مملة، قالت عبير محاولة تغيير مجريات الحديث: «**فهد.. أظنك قرأت مقال ياسر الأخير، لقد كان حديث المجالس الأيام الماضية**».

كان ياسر ينظر إلى عبيره بغبطة، يحبها أكثر عندما تتحدث عنه، وتتغنى بأمجاده ومعاركه، كثيراً ما يخصها بمقالاته قبل نشرها، ويثق فيها أكثر من أي شخص آخر.

«**بالفعل.. كان مقالاً قوياً، لكن هل يمكنني أن أسألك بصراحة يا ياسر: هل هذه الواقعة حدثت لك بالفعل؟! أم إنها من وحي الخيال؟!**»، قال فهد.

«اسمع يا صديقي، لا بد أن تعرف أن فن المقالة الثورية.. يعتمد على الكثير من التهويل، واستغلال الأحداث لنشر الأفكار»، قال ياسر.

«إذاً فالقصة التي كانت حديث المجالس.. ليست إلا أكاذيب؟!»، قال فهد متعجباً، ثم أضاف: «ألا تخشى من زوال صدقية قلمك؟!»

«صديقي العزيز، أنا صاحب صنعة، وأعي ما أقوم به جيداً»، رد ياسر!

«لم أفهم!»

«حسناً.. أنا أعتمد أحياناً على نظرية تعلمتها من أساتذتي الكبار، تفيد هذه النظرية بأن الخبر «المختلق» يمكن أن يعيش ويؤثر إذا كانت وسائل نشره أقوى من وسائل تكذيبه، بحيث إن هذا الخبر المختلق يبقى حديث المجالس لمدة زمنية طويلة، وحتى لو جاء خبر تكذيبه، فسيأتي متأخراً، وبلا تأثير، إضافة إلى أن نسبة قليلة من القراء.. هي من تهتم بقراءة أخبار النفي والتكذيب، وستضيع حتماً وسط الضوضاء»، تفحّص ياسر ردة فعل صديقه، كانت غير متفهمة لوجهة نظره، ثم أضاف ضاحكاً: «وبهذه الطريقة.. يمكن تشويه سمعة الخصوم، وزعزعة ثقة المجتمع بهم»

«لم أفهم لماذا تفعل كل هذا.. ولكن يبدو أن لديكم أجندة خفية، مرتبطة بأيد مشبوهة، تماماً كما يقول بعض خصومكم!»، قال فهد.

ضحك ياسر بطريقة متكلّفة، وهو يسمع هذا الاتهام من أحد أصدقائه المقربين، نظر إلى عبيره، كعادتها لا تهتم بمثل هذه المواضيع: «يبدو أنك انتقلت من الحياد إلى التطرف يا صديقي، أو ربما أن أحد الوعاظ قد تلاعب بعواطفك الرقيقة، إنني أشفق على أبناء هذا المجتمع بحق، فإلى متى يستمر هذا التيار الإسلاموي

**المتطرف يبث أفكاره السوداء في المجتمع البريء ؟!»**

أومأ فهد إليه، وكأنه ينتظر إجابة عن سؤاله.

أضاف ياسر: «**حسناً.. ليس لدي أجندة خفية ولا هم يحزنون، هذا جزء من تكتيكات الحرب، والحرب كما يقولون خدعة!**»

كان يتمنى ياسر أن يكون صريحاً أكثر، لديه العديد من الآراء التي لم يستطع أن يذيعها بحرية، فالمجتمع بحاجة إلى «تربية» خاصة، ليكون أكثر تقبلاً لمثل هذه الأفكار.

تأمل ياسر الفروقات بين مجتمعنا، ومجتمع **مارتن لوثر** الأول، يعتقد أن ثورته على الكنيسة كانت فتحاً، وفي الزمن المناسب، فـ «**الكنيسة**» هنا وهناك كانتا سببَ التخلف والانحطاط، وأساس كل تأخر وسوداوية!

يُؤمن أنه لولا دماء مناضلي «طلائع التنوير» في الثورة الفرنسية.. لما كان هناك شيءٌ اسمه «حرية»، ولا «كرامة»، كما يؤمن بأفكار أكثر حساسية، وجرأة، و «وقاحة»، لكن.. لا يستطيع إشاعتها ولا التبشير بها في هذا الوقت، فتكتيك الحرب يُملي عليه ذلك!

حدّث نفسه: «**مارتن.. رحمك الله، وأعاد بعثك**».

التفتَ إلى عبيره: «**عبير.. قولي: رحمه الله**».

«**رحمه الله**».

## ٣٠

«إن مشروع الإسلام السياسي قائم على صناعة «ماضٍ موهوم»، ماض مجيد يُمكن الالتجاء إليه والاحتماء به.

لم أر في الماضي ما يجب استعادته، لم أر المستقبل في الماضي، لم أعد أحلم، كما يحلم **الشيخ**: **محمد قطب** إلى درجة الهوس، بـ «**الجيل الفريد**» الذي لن يتكرر، لأنني أدركت من خلال قراءاتي لكتب التاريخ ولكتب التراجم أن «الجيل الفريد» لا وجود له، بل هو نتيجة النزوع الطبيعي للإنسان البدائي إلى أسطرة الرموز، النزوع إلى خلق بشر فوق مستوى البشر، أي أنه كان وهماً كبيراً أيضاً.

الإسلام السياسي، يؤكد لمُريديه أن ثمة حضارة رائعة كانت له/لنا في الماضي الغابر، وأنها تراجعت نتيجة «تآمر!» الأعداء من الداخل والخارج. وبما أننا أحفاد الصيِّد الأشاوس، وقد كانت لنا ذات يوم حضارة مجيدة صنعها هؤلاء! بل كانت حضارة مثالية لا مثيل لها.

اكتشفتُ بعد فترة خداع لم تطل، أن «بؤس حاضرنا» ليس إلا امتداداً طبيعياً لـ «بؤس ماضينا»!

إن أسلافنا كانوا رجالاً مثلنا، بل أقلّ منا في كثير من الأحيان..»

**محمد المحمود ـ متحدثاً عن جيل الصحابة الكرام**

**صحيفة الرياض، بتصرف ـ العدد ١٥٠٩٥**

فزع ياسر إلى توماس، اقتحم عليه مكتبه، لم يستأذن سكرتيره كالمعتاد، كانت أمارات الخوف والذهول بادية عليه، كان يحمل بين يديه عدداً من الأوراق، طبعها من بريده الإلكتروني الخاص، استغرب توماس من هيئته المبتذلة، وطريقته المرتبكة في الحديث، تلعثم مراراً، بالكاد أفصح: «**توماس.. أرجوك، أنقذني من ورطتي**»، قال ياسر.

تفحّصه توماس جيداً، طلب منه الجلوس، والإفصاح عن سر كل هذه الجلبة.

«**توماس.. أنا في ورطة كبيرة، أرجوك، أريد مساعدةً عاجلةً منك.. انظر إلى هذه الأوراق!**»، ناوله إياها، كانت رسالة موجهة إلى ياسر، وصلت بريده الإلكتروني هذا الصباح، أرسلها شخص مجهول، رمز لاسمه بـ **أحمد الجلال**، كان يهدد بنشر العديد من أسراره الشخصية، اتهمه فيها بالخيانة والجاسوسية، كما إنه أرفق عدداً من صوره الخاصة، ومغامراته الحمراء، كانت إحدى الصور تُظهره وهو في وضع مخلّ مع عبير، في إحدى الحفلات التي أقيمت حديثاً، وقوارير الخمر كانت واضحة في الصورة.

«**أرجوك يا توماس أريد حلاً عاجلاً منك، بالتأكيد.. أنت تعرف مجتمعنا جيداً، فيمكن أن يتغاضى عن أي أمر، ويتناسى كل شيء، إلا ما كان يتعلق بمثل هذه الأمور الحساسة**»

لم يتمكن توماس من التعليق، وكأنه أصيب بحالة شرود قسرية، أحس بحاجته إلى التنفس بعمق، ونسيان هذا الواقع المزعج، تتابعت عليه الصدمات من كل جهة، حتى فقد قدرته على التركيز، فَقَدَ أهم ما كان يميزه.. موهبته في تقدير وتوقُّع الأمور!

«**توماس أرجوك.. ليس لدي سواك، ستتحول حياتي جحيماً، سأفقد أسرتي، وأصدقائي، سأصبح منبوذاً بين الجميع، أرجوك**»

**«كريست.. اسمعني جيداً، أريد اجتماعاً عاجلاً مع فريق التحري، بعد دقيقة واحدة، أريدهم هنا.. في مكتبي»**، قال توماس.

توماس.. لا يعلم ماذا سيطلب منهم بالتحديد، فليس لديهم ما يمكن أن يبشر بالخير حتى الآن.

كان اجتماعاً مشحوناً بحق، تبادل توماس الاتهامات مع رئيس فريق التحري، تعالت الأصوات بشكل مربك، أصبح من الصعوبة كبح لجام الغضب، كانت لغتهم متشنجة لأبعد حد، ياسر كان يراقب الموقف بحذر، لم يكن ليتحدث إلا إذا طُلب منه ذلك، شرح لهم قصته باختصار، ورجاهم مساعدته.

**وفي تلك الأثناء، لفت انتباهَ الجميع**.. صرخةُ فزعٍ أطلقها ياسر، وهو يقرأ رسالة نصية للتو وصلت هاتفه النقال، ومن ثم أتبعها بنداء استجداء ذليل لتوماس!

هرع إلى توماس.. وأطلعه على نص الرسالة.

قرأ توماس نص الرسالة الموجهة إلى ياسر، كانت مُرسلةً من جوالٍ شخصي:

**«صديقي العزيز ياسر:**

**يبدو أن تفاعل المجمع الثقافي أضعف مما ينبغي، لذا قررنا أن التقرير الخاص بخفايا حياتك.. سيكون فاتحة لعبتنا المثيرة!**

**مساء الغد، وفي تمام الساعة التاسعة، استمتع برؤية صورك الجميلة في (مكان) سيفرح قلبك للأبد.**

**المخلص جداً**

**أحمد الجلال»**

ذُهل الجميع..

وذهلوا أكثر؛ عندما اكتشفوا أن نص الرسالة أُرسل كذلك إلى معظم الحاضرين في الاجتماع (المغلق)، أُرسل إلى أجهزتهم النقالة، وكتب أسفل نص الرسالة: «**نسخة مع التحية**».

تفاجأ الجميع.. بما فيهم ياسر، وتوماس، ورئيس فريق التحري، وكذلك.. السكرتير الهادئ دوماً؛ كريست!

# ٣١

«علينا أن لا نبالغ في الحديث عن نفوذ هؤلاء الكتّاب أو في تجاهلهم.

وعلينا أن نعي أنهم هناك، وأن الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) شجعهم على الظهور.

تمنوا لهم التوفيق فهم أفضل ما يمكن أن نعلق عليه الآمال بشأن إحداث تغيير من الداخل، وهو التغيير الوحيد الذي يهم الجميع»

**توماس فريدمان**

**نيويورك تايمز، صحيفة الشرق الأوسط، العدد: ٨٧٨٤**

تلقى توماس اتصالاً **مهماً للغاية**، ربما كان أهم اتصال تلقاه في حياته، جاء في موقفٍ هو أحوج إليه من أي شيء آخر، أدرك بأنه سيقلب الطاولة برمتها على أولئك الأوغاد..

معلومة تساوي أطناناً من المجوهرات؛ في عيني توماس!

أخبره محدِّثه بمعلومة كانت مُغيبّة عنه، لم يجد سبباً مقنعاً لذلك التغييب، وإلا لكانت المسألة قد حُلت منذ زمن، ربما لم يوجد وقت مناسب لإخبارهم بها؟! إلا أن كل ذلك لا يهم الآن، فقد أصبح حل هذا اللغز في متناول يديه، استبشر توماس، وفرح، كما لم يفعل من قبل!

كان المتصل **أحد خبراء التقنية** المرتبطين بالشبكة العالمية، في إدارتها المركزية، أخبره بأنهم استخدموا نظاماً متطوراً لتتبع أجهزة الموظفين حال فقدانها أو سرقتها، طبقوا هذا النظام على الأجهزة الجديدة فقط، والتي تم شراؤها خلال الأشهر التسعة الأخيرة، وهناك توجُّهٌ لتغطية جميع الأجهزة قريباً، وما زال المشروع في بدايته، كان ذلك النظام عبارة عن شرائح تتبع، مخفية داخل الأجهزة المحمولة، تمكّنهم من رصد مكانه بالضبط.

أصبحت فكرة «التتبع» أكثر سهولة، وأقل تكلفة من ذي قبل، انتهجها العديد من الشركات العالمية في أنشطة مختلفة، كخدمة تتبع المركبات الخاصة، وخدمات الشحن، وقطاع الاتصالات، وغيرها.

...، أكد له الخبير؛ بأنه سيتم إرسال جهاز التحكم والرصد خلال أقل من ٢٤ ساعة، سيتم شحنه في أقرب طائرة متجهة لمطار **الدمام!**

أغلق توماس هاتفه، كاد أن يطير من الفرحة، استشعر حلاوة النصر

قبل أوانه، بدأ يتخيل التسلسل المنطقي لنهاية هذه اللعبة السخيفة!

قرر ألا يثق في أحد أبداً، وألا يفشي هذه المعلومة لأي شخص كان، فقد أصبح يشكّ في كل من حوله، حتى أقرب المقربين منه!

سيرى الجميع.. كيد توماس وبطشه!

تلقى **وليام بول**، القاتل الشرس.. أوامره بالاستعداد لنزهة سريعة!

وعده توماس بأنها ستكون الأكثر متعة، والأجزل عطاءً.. في حياته كلها!

وفي هذه اللحظات.. دخل الخادم (أفتاب) على توماس مكتبه، كان يحمل كوباً من الشاي بين يديه، وضعه على يسار توماس في هدوء وسكون، ثم سارع بالانسحاب من دون أن يقطع على سيده حبل أفكاره.

ألقى توماس عليه نظرة خاطفة..

لم يأبه بدخوله كثيراً، ولم ينتبه إلى الشاي الذي أحضره، كان منتشياً بالخبر الذي ورده قبل قليل.

إلا أن توماس لم يعلم أن **الخادم الغامض (أفتاب)** كان يسترق السمع في الخارج، حتى ألمّ بمعظم أطراف القضية.

## ٣٢

«قال لي أحد المثقفين الكبار حرفياً: «**أنا أستطيع أن أجعل من الإنسانة العادية كاتبة كبيرة!**»

فقلت له وأنا في دهشة مما أسمع: الكتابة موهبة لا تُصنع ولا تمنح!

فقال لي بكل ثقه: أنا جعلتُ من إنسانة عادية كاتبة كبيرة، وقد أصبحت الآن مشهورة، لكنها تنكرت لي عندما اشتُهرت. وعرفتُ من خلال حديثه أنه كان يريد «ثمناً» لذلك التوجيه الذي يقول إنه قدّمه لتلك الكاتبة، وطبعاً عرض عليّ المساعدة «بشرط» أن يكون هناك ثمن لهذه المساعدة التي لم أطلبها منه أساساً، ومن دون أن أدخل معه في تفاصيل وقبل أن أنهي معه مكالمتي سألته: **هل هناك مثقفات يتعاملن معه ويتقبلن هذا الأسلوب في التعامل؟**

قال وبصوت عال جداً: «**طبعاً**»!!

وأريد أن أُشير فقط بأن هذا الرجل كان يتحدث بكل ثقة وكأن نساء العالم كلهن «ساقطات!!» والشيء المؤكد أن هذا المثقف ليس واحداً، وهذا الحالة ليست واحدة، والوسط الثقافي مليء بالحشرات الضارة المؤذية!»

**أميرة القحطاني ـ صحيفة الجزيرة (المجلة الثقافية)**
**بتصرف، العدد ٢٥٩**

بعد خروجه من أحد الاجتماعات؛ جلس **أحمد الجلال** في بهو المجمّع الثقافي، كان يُنقِّل بصره في كل اتجاه، وبالأخص أماكن تجمّع الفتيات، له شعبية خاصة بينهن، يعلم ذلك، إلا أنه لم يكن مهتماً بالمتعة هذه المرة، بل ركّز كل حواسه لمحاولة اصطياد أي (معلومة) قد تفيده، فمعظم الأخبار التي يتم تسريبها تتم عن طريقهن.. بطريقة أو «بأخرى»!

...، شاهده مبتهجاً أكثر مما ينبغي، لَكأنه تخلّص من كابوسه الذي صنعه له، إنه توماس هول، رآه أحمد بصحبة إحدى الفتيات الجميلات، كانت ضحكاته تملأ المكان، استغرب أحمد من ذلك، فقد مَلأ المجمّع كآبةً وضيقاً في الأيام الماضية، ولم يعد يجرؤ أحد على الاقتراب منه، إلا أنه يراه الآن في حالة مزاجية جيدة، وكأن شيئاً لم يكن!

أيقن أحمد بأن ذلك لا يعدو أن يكون إلّا تمثيلاً منه، ليظهر قوياً وصلباً كعادته، فهو يجيد هذا الفن، أو ربما كان ذلك مصيدة دُبرت للإيقاع به وبسامح.. لم يهتم كثيراً لهذا الأمر!

قام أحمد من مجلسه، فكر في خدعة جديدة، تزيد الموقف التهاباً، فقد أعجبته اللعبة، وراقت له كثيراً، لام نفسه على تضخيمه لقدرات توماس، وخوفه الزائد من ردة فعله، ومواهبه التي كانت تُعد بأنها أسطورية!

شاهد أحمدُ عبير، همَّ أن يناديها، يرغب في التحدث معها قليلاً، وكسر جمود صمته، إلا أنه تراجع أخيراً، فيبدو من مشيتها أنها مستعجلة للغاية، كانت متجهة صوب مكتب توماس، يا ترى ماذا تريد منه؟! سأل أحمد نفسه.

**رن هاتفه النقال،** أخرجه من جيبه بتكاسل، لا بأس في الثرثرة مع أي أحد الآن، فهو يقضي وقتاً مملاً..

استغرب أحمد!

واتسعت عيناه حينما شاهد رقم المتصل؛ يحفظه عن ظهر قلب!

لماذا يتصل به على هاتفه الشخصي، وهو يعلم يقيناً أنه داخل المجمع في هذا الوقت بالتحديد؟!

اتفقا على أن يتم تواصلهما باستخدام هاتف آخر، وخارج أوقات وجوده بالمجمع.. فقط! وبشرائح مؤقتة، يتم تغييرها بشكل مستمر، والتي لا تحمل أية أسماء صريحة!

لا يعلم سر هذا الإهمال الفجائي منه، وسر هذا التراخي في حذره الشديد، وهو الذي أنّبه كثيراً حينما وقع في خطأ أصغر من ذلك بكثير!

**«أهلاً مستر راجي»**، قال أحمد الجلال بصوت خفيض.

لم يفهم شيئاً من كلامه، كان مضطرباً بشكل كبير!

كان يتحدث بطريقة سريعة للغاية، تداخلت كلماته في أذن أحمد، طلب منه الهدوء، والتحدث بطريقة أوضح!

**«ماذا.. ماذا تقول ؟! كـ.. كيف حدث ذلك»**، قال أحمد.

اجْتاحت أحمد موجة تعرق رهيبة، أحس بأن قدميه لا تقويان على حمله، وأن السماء قد اقتربت أكثر مما ينبغي، كان يرى كل شيء يتماوج أمام ناظريه، بعض الأشياء تضخمت بشكل أدخل الرعب في قلبه.

سقط هاتفه النقال من بين يديه، تحسسه على الأرض، بالكاد

التقطه، كانت عيناه ترقبان كل شيء، هب مسرعاً إلى سيارته، لا بد أن ينجو بجلده، فقد بات يتذوق طعم الموت بشكل حقيقي!

لم يفهم «**أحمد الجلال**» من حديث صديقه «مستر راجي» إلا جملة واحدة..

جملة واحدة فقط.. إلا أن معناها كبيرٌ جداً:

**««ياسر».. «ياسر».. لقد تمكنوا من كشف شخصيتك الحقيقية، لا.. لا أدري كيف!»**.

## ٣٣

«أصدرت وزارة الثقافة والإعلام السعودية **تعميماً سرياً** إلى صحف البلاد الرسمية يقضي بمنع صحافييها من تغطية نشاطات **السفارات الأجنبية** حسب معلومات (إيلاف) التي استقتها من مصادر رسمية، وذلك في ظل تصاعد الاتهامات بين تيارات فكرية متصارعة على الساحة الداخلية حول التعاون مع الغرب أو الحصول على تمويل منه.»

**صحيفة إيلاف الإلكترونية**

أحس **ياسر الواصلي** (أو أحمد الجلال) بحاجة ملحّة للبكاء، امتزج ذلك بصراخ مكتوم في صدره، كان يركض بشكل هستيري تجاه سيارته، لا بد أن يخرج من وسط هذا المجمع، هذا البركان الذي قد يثور عليه، لا بد أن يفر بجلده، ويخرج بأي ثمن.

وصل سيارته، لم يلحظ ما يريبه، الكل ما زال يسير في دربه، ولا ينظر إليه أحد، حَمِد الله، تمنى من قلبه أن ينجيه هذه المرة، بدأ ضميره ينتفض، ويُصارع ليصحو، سيعود رجلاً صالحاً، أقسم في نفسه، وأغلظ في القسم.

أدخل يده في جيبه.. بحثاً عن مفتاح سيارته، بحث في جيبه الآخر، في جيبه العلوي.. زاد تعرقه، واضطرابه! تمنى من كل قلبه أن يختفي من هذا الوجود: «**يا رب.. يا رب**»، تمتم ياسر، لقد نسي مفتاحه على الطاولة، هناك في البهو، بالقرب من المقصلة، ماذا سيعمل؟ هل يعود لحتفه؟ أم هل يهرب خارج المجمع على قدميه؟

سيخرج من البوابة مباشرة، سيدّعي بأن أحدهم ينتظره بالخارج.

لكن ماذا لو علموا بخبره؟!

حتماً.. سيكبّلونه أمام الجميع، سيدوسون على رقبته، يعرف قسوتهم، وغباءهم!

قرر بأن يعود للبهو، سيأخذ مفتاحه، لا حل سواه: «**يا رب سترك، أنقذني يا رب**»، على الأقل يمكنه اقتحام البوابة، سيهرب ويسلم نفسه لأقرب مركز للشرطة، سيتفهمون وجهة نظره، فهم على الأقل من بني جلدته، وسيكونون أرحم من توماس بلا ريب؛ فكّر ياسر!

حملته قدماه نحو البهو، هل كل الناس توقفوا عن المشي، وجعلوا يحدّقون فيه بدهشة!

هل فعلوا ذلك، أم أنه خُيِّل إليه؟

صادف في طريقه أحد مساعدي توماس، ارتبك ياسر، كاد أن يسقط.

هل لوّح إليه بيديه؟ هل رآه يتناول هاتفه النقال؟! سيبلغ عنه بلا شك!

أخذ مفتاحه، كانت ساعته اليدوية بجواره، تجاهلها من دون سبب، قفل عائداً نحو سيارته، لم يلحظه أحد، هكذا طَمأن نفسه..

إلا أنه سمع شخصاً ينادي بصوتٍ عال، اِلتفت إلى الخلف، إنه.. إنه أحد موظفي الأمن، إنه يناديه باسمه، يصرخ فيه أن يتوقف، ويسلم نفسه، أَخرَج ياسر صرخة متحشرجة، ركض بأقصى سرعته، سيارته.. عشرة أمتار فقط، وصل إليها، اِلتفت خلفه..

لا يوجد أحد!

هل كان يتخيل، هل توهم بأن المنادي يقصده؟!

«**أُقسم بأنني سمعته!**»، حدّث نفسه.

إلا أنه لا يوجد أحد على الإطلاق! والمكان خلفه مفتوح بشكل كامل، بدأ يشك في قواه العقلية، سيفقدها بلا شك.

اقترب بسيارته من بوابة الخروج الأولى، كان يعلوها مظلة ضخمة، تقي الحر والقيظ، ويحيط بها أسوار حديدية عالية من الجانبين، بالإضافة إلى الحواجز الخرسانية التي تملأ المكان، ثلاث سيارات

تفصله عن مصيره، كان يحدق في كل شيء يتحرك من حوله، ويشك فيه، فلعله مُخبرٌ أو رجل أمن!

جاء دوره للمرور أمام موظف الأمن، **طلب منه التوقف، وإظهار هويته.**

لا يعلم لماذا!

فَهُم في العادة لا يفعلون ذلك معه، لاحظ أن نظرات موظف الأمن تفحصه بدقة، وتتأمل داخل سيارته، تناول هاتفه اللاسلكي، وبلغ عنه توماس، أخبره بأنه ياسر الواصلي، المبتز اللعين!

لا لم يفعل ذلك، بل مجرد تخيلات في رأس ياسر.. لا غير!

«**هل أكثرتَ من الشراب؟!**»، قال موظف الأمن.

«**لا.. لا، على الإطلاق، أنا فقط.. أنا متعب، لا غير، لا عليك**»، ابتسم ياسر بارتباك، كان في حالة يُرثى لها.

«**نحن نخلي مسؤوليتنا عن أي أضرار قد تلحق بك**»

«**بالتأكيد.. بالتأكيد.. أنتم تخلون مسؤوليتكم عن كل أضرار قد تلحق بي**»، رد ياسر.

أَذن له بالانصراف، وهو يتعجب لحاله، تخطى ياسر بوابة الخروج الأولى، كان يحرسها طاقم خاص بالمجمع الثقافي، بقيت البوابة الثانية، إلا أنها أسهل بكثير، حيث إنها لا تتبعُ إدارةَ المجمع، بل يقوم عليها حراس من الشرطة المحلية، تجاوزها بسهولة، أيقن أنه تخطى أصعب عقبة في حياته، وسيفكر الآن كيف يخلص نفسه من بقية الكابوس المزعج!

خطف المجمع بنظرة سريعة، يبدو هادئاً كعادته، والأشجار الكثيفة

التي تغطي أسواره.. ما زالت على حالها، انعطف جهة اليمين، سيغمس نفسه وسط الزحام، ليطمس آثاره عن أي شخص قد يتبعه!

ابتهج لِخَلاصه سالماً: «**لقد خرجتُ من عنق الزجاجة**»، تمتم ياسر، غير مصدّقٍ لما يحدث!

إلا أن ابتهاجه هذا لن يدوم طويلاً..

فالرجل الصلب، توماس هول، قارب على الانتهاء من إعداد مصيدةٍ مُحكمة له، سيسعى جاهداً لأن يُوقع به بطريقة لن ينساها كل رواد المجمع الثقافي.. أبداً!

## ٣٤

«المخابرات الأمريكية (CIA) كانت تموّل أنشطة ثقافية مختلفة، ومتباينة أحياناً، ومن بينها مدارس الحداثة المختلفة، في دول عديدة من العالم!

«**لم نكن نعرف!**».. سوف يسارع الحداثيون العرب إلى القول!

لكن الواقع أن الإنسان الذي يعطي نفسه مسؤولية قيادة فكر أمة في فترة تاريخية حاسمة.. واجبه أن يعرف!

فقد كانت الشواهد موجودة ومعلنة في الجامعات الأمريكية منذ أواخر الستينيات!»

**د. عبد العزيز حمودة ـ المرايا المقعّرة**

أوقف ياسر سيارته بعيداً عن منزله، بعد أن سلك طريقاً معقدة للغاية، ليتأكد أنه غير مراقب، هاتفَ زوجته، لم تكن بالمنزل، حمد الله، طلب منها أن تذهب لمنزل والدها، سيسافر مضطراً، وعدها بالاتصال بها قريباً لإخبارها بكل التفاصيل.

**اقترب من باب منزله**، يتخيل بداخله أشباحاً مخيفة، قلبه يضطرب بشدة، تتابعت عليه خَطراتٌ مرعبة: «**ماذا لو...؟!**».

اتسعت عيناه حينما رأى شيئاً «أبيض اللون» بالقرب من مقبض الباب، توقف مباشرة، ركّز ناظريه، أجهدَهما ليكتشف كُنه ذلك الشيء، خُطاه تتقدم في وجل.

كانت....!

كانت ورقة صغيرة، ربما رسالة من شخص ما: «**ولكن.. من يكون؟!**»

«**وهل له علاقة بـ.....** »

تناولها بيد ترتجف، فتحها سريعاً، بالكاد يبتلع ريقه، قرأها بعين لا ترمش: «**صديقي ياسر.. هذا أنا مرة أخرى، أرجو أنك لا تزال تتذكرني؟!**

**كما أرجو أن تكون قد توصّلتَ إلى طريقةٍ خاصة.. كي تعرف كيف يموت المرء واقفاً؟!**»

ما إن أتم ياسر قراءة هذه الجملة؛ حتى أطلق سيلاً عنيفاً من شتائمه التي وزعها بالتساوي على مُرسل الرسالة، وأمه، وأبيه، وأصله، وفصله!

لم يكن الوقت مناسباً على الإطلاق لأن يقرأ نص الرسالة، غير أنه ـ

بعد أن أغلق الباب خلفه ـ تصفحها سريعاً، ليعرف محتواها، ومستوى أهميتها، وهل لها علاقة به شخصياً، أو بمطاردة المجمع له:

**«. . . ، حبيبي ياسر؛ البارحة كنتُ برفقة أحد أصدقائك الليبراليين، وأخبرني بقصة مثيرة عن إحدى الإعلاميات الشهيرات، أظنك ستعرفها من ثنايا القصة، ومن ترميزي لاسمها، وربما سأخبرك صراحةً باسمها إن قُدِّر لنا أن نلتقي يوماً ما، قال لي صديقي الليبرالي: «كانت تُطاردني الكاتبة الشهيرة «ي.م» باتصالاتها المستمرة، تدعوني لإقامة علاقة «خاصة» معها، من أجل استثمار موقعي الصحافي لنشر أخبارها ومشاريعها، وهذا حوارٌ قصير دار بيننا:**

**ـ لماذا أرسلتِ صورتكِ لي؟!**

**ـ أنت مو فاهمني يا (ع.ع)!!**

**ـ لكن.. الهيئة بالمرصاد!**

**ـ طيّب.. وش رايك تزورني في بيتي؟**

**ـ لا.. صعبة.**

**ـ طيب.. وش رايك نروح البحرين، ليلة أو ليلتين؟**

**انقطعتْ علاقتي بها، ولم أعد أهتم بأخبارها التي لا تكاد تنقطع عن الساحة الثقافية، لكنني علمتُ مؤخراً أنها ذهبتْ إلى «البحرين» برفقة «صحافيّ» آخر!!**

**حبيبي ياسر.. انتهى حديث صاحبي، ولكن لم تنته الحقيقة بعد، وأود أن أضيف بأنه.....»**

طوى ياسر الرسالة عند هذا الحد، وعزم على إكمالها في وقت آخر، دخل غرفة نومه سريعاً، لاحظ أن بعض أشيائه في غير محلها!

ملابسه.. ملقاة هنا وهناك!

كتبه، ملفاته، حاجياته: «**أحدهم دخل غرفتي، وعبث بها!**»

هل كان يتوهم ذلك؟

على الفور.. تذكره! جهاز توماس المحمول!

فزع إلى مكتبته، لقد خبأه هناك، لم يرض أن يحتفظ به سامح، بل طلب منه نسخ ما يريد من الملفات، وسيبقى «الكنز» بين يديه..

وجده في مكانه!

حمداً لله!

لم يمسه أحد بسوء، عاد قلبه إلى موضعه، وكف عن الهيجان، وأصبح بإمكانه التفكير بطريقة أفضل.

تناول جهاز توماس المحمول سريعاً، كما بادر بأخذ بعض أشيائه الخاصة، وهمّ بالخروج من منزله.

إلا أنه لم يكن يعلم أن **وليام بول**، البشع جداً، والمتعطش لأعطيات توماس الجزيلة..

لا يعلم.. أنه بات قريباً جداً من منزله!

خرج ياسر من منزله مسرعاً، مسح الشارع بعينيه بدقة، لم يلحظ ما يريبه، خمس دقائق تفصله عن مكان سيارته، ستكون أطول رحلة في حياته، غيّر من هيئته، لبس ثوباً، وتلثم بشماغه، ولم ينس نظارته الشمسية، لن يعرفه أحد بالتأكيد، رغم ذلك.. كان يكثر من التلفت للوراء، فهو يحس بأن كل شيء يراقبه!

ركب سيارته، توجّه مسرعاً صوب منزل صديقه سامح، ليس له بدٌ

من ذلك، سيخبره، وسيطلب مشورته، فهو الوحيد في هذا العالم الذي يمكن أن يقدم له يد العون!

كان **وليام بول** يراقب كل حركة يقوم بها ياسر، ويحفظها في ذاكرته، لا بد أن يركز على التفاصيل الصغيرة، فقد تنفعه في لحظة حرجة!

استغرب **وليام** كثيراً! لماذا يتخفّى ياسر بهذه الطريقة؟! وهل علم بأنه مراقب؟! كيف حدث ذلك؟! لقد أكد له توماس أنه الوحيد الذي يعلم الخبر، وأن ياسر حتى الآن ما زال يقوم بتمثيل الدورين!

حكّ ذقنه بشراسه، هل يقبض عليه الآن؟ سيلوي رقبته، بل سيكسرها، ويقدمها لتوماس.. قرباناً في ليلة ميلاده، سيحتسي الشراب لحظتها، ويُريق بعضه على رأس ياسر، لكنه تذكر.. توماس يريده حياً، ليقتلع كل ما في رأسه من معلومات، ومن ثم سيمكّنه من العبث به، بالطريقة التي تحلو له!

قرر أن يتبعه قليلاً، فربما سيدلّه على أسرار جديدة، أو ربما سيقوده إلى رأس الخلية المدبرة، فمن المؤكد أن خلفه عدد من المتعاونين، فكّر وليام.

رآه يدخل بيتاً آخر، لم يعترض طريقه، ما زال ينتظر اللحظة المناسبة لالتهامه، ستكون مباغتة له، سيحرص على عدم لفت انتباه أفراد الشرطة، أو أحد المارة.

ولو حدث.. فستتعقد المسألة كثيراً؛ فكّر وليام.

تحرّج سامح عندما علم أن ياسر بالباب، توقيته سيئ للغاية، لو تأخر عشر دقائق فقط!

لا يريده أن يكتشف وجود **عبير** في منزله، كانت وحيدة معه، للتو

قدِمتْ إليه في زيارة مفاجئة، أخبرته أنها لن تبقى طويلاً، مجرد زيارة عابرة، لاستشارته في موضوع تقني، إلا أنه رغم ذلك لا يستطيع أن يبرر لياسر وجودها وجيدة معه!

الجميع يعلم أنها **فتاة ياسر فقط**، ومن الموبقات أن يخون الصديق صديقه، إلا في لحظات السُّكْر المطبق، وكثيراً ما تحدث، فلن يسأل أحدٌ حينها عن أحد، فلكل امرئ منهم يومئذ «شأن» يغنيه؛ فكر سامح.

تلاشى حرج سامح، واستحال استغراباً حين شاهد هيئة ياسر، فلم يَشرع في فك لثامه إلا داخل المنزل، وبحذر بالغ!

أخبره الخبر، كان وقعه شديداً عليه، فقد أصبح موقفهما حرجاً للغاية، فمن سينقذهما من بطش توماس؟!

إذاً.. اكتشف المجمع أن الوغد «**أحمد الجلال**» ليس إلا ياسر الواصلي، المترع غباءً وتهوّراً؛ فكّر سامح!!

بكت عبير من هول الصدمة، وعلا نشيجها، كانت تسترق السمع من خلف الباب، لم تتخيل أنها كانت تقضي أرق أوقاتها مع شخصية خطرة للغاية، قد تكلفها حياتها، أو على الأقل تفقدها بريقها، وحظوتها لدى توماس، فياسر.. قد أثار المجمع بأكمله، واستنفر الجميع للإيقاع به، خشيتْ على نفسها، فقربها الحميمي من ياسر.. لا بد أن يسبب لها الكثير من المتاعب، وربما النكبات!

تنبه ياسر لصوت النشيج..

استغرب!

فسامح أكد له أنه بمفرده في المنزل!

أُسقط في يديه عندما رأى عبير، تعجب من وجودها بمعية سامح! تقافزت خطراتٌ ميتة في رأسه، تحاول استمطار غيرته على فتاته، لم يتجاوب مع تلك الخطرات، بل تجاهلها بالكلية، سيجد لذلك متسعاً من الوقت؛ فكر ياسر.

ماذا سيفعل ياسر مع هذه المصيبة الجديدة؟!

فعبير علمتْ بالقصة كاملة، وستتخلى عنه لا محالة، بل ربما ستكون عوناً للمجمع عليه، ربما ستتصل بهم الآن، وتخبرهم بمكانه، أو على الأقل ستثرثر بهذا الخبر في كل مكان، وهو الذي يسعى جاهداً لإخماد نيرانه؛ بطريقة لم يهتدِ إليها حتى اللحظة!

**«عبير.. سنهرب الآن، لا بد أن ترافقينا، سأحميك من كيد توماس، لقد أخبروني..»**، توقف قليلاً، وتفحّص جسدها الحزين، انطفأت روعته في لحظات، تأمل بنطالها الجلدي، ذا اللون الأحمر اللماع، كانت متأهبة لسماع قوله، لا تملك من أمرها شيئاً، أضاف ياسر: **«أخبروني يا عبير أن توماس أصدر أوامره باعتقالكِ أيضاً، فأنتِ متّهمة بتهمتنا نفسها، وسوف يقوم بنشر صورك الخاصة في الإنترنت، سيفعلها يا عبير، صدقيني»**.

كان يكذب، سيجعلها تهرب معه، ستكون تحت ناظريه، ولعله يجد حلاً مناسباً لقضيتها، فلم يعد يقوى على التفكير الآن!

**«أنا خائفة، أنا أريد البيت.. أريد العودة للبيت»**، قالت باكية.

**«سنهرب سوياً يا عبير.. أعدك بأن أحميك، ولن أسمح له بإيذائك أبداً»**

# ٣٥

«يختفي وراء شعار الليبرالية طائفة من بقايا عبيد المحافظين الجدد، طائفة تتظاهر بالليبرالية أو «التحرر»، وهم واجهة أو دعاة للإرهاب الصهيوني المسيحي، وأعداء للحرية مبشّرون بالعبودية، لا يرقبوا في مسلم ولا وطني إلاّ ولا ذمّة.

وبيننا ورثة لابن سلول أو للرغاليين، تقود للعورات وتنشر الإعجاب بألوان الغزاة، أحباشاً كانوا أو صليبيين يستبيحون حمانا.

وعلى المواطنين المتحررين أن يعلموا أن الاحتلال لا يقبل بهم مواطنين شرفاء، بل يريد منهم خدماً وعملاء وعبيداً، ومصادر طاقة، ومنافقين فقط، وأنه وإن تظاهر بالمودة لهم، فليستخدمهم مؤقتاً ليضرب المشروعية الإسلامية المنافسة، وسوف يتركهم غداً في العراء بعد تحقيق حاجته»

«ولا يليق بحرٍ عاقل أن يستمد مشروعية وطنه من قوة غازٍ عابر!»

**د. محمد الأحمري،**
**بتصرف ـ مجلة العصر**

اتسعت عينَا ياسر وهو يقرأ طرفاً من الوثائق التي تم فك تشفيرها، لفت نظره أسماء العديد من الشخصيات الهامة، وأسماء بعض المؤسسات الشهيرة، والاستراحات، والفنادق..

وضع يديه على خديه، لم يكن يصدق أن «أخطبوط» توماس متأصل إلى هذه الدرجة، وهذا النفوذ!

تلك أسرارُ ملفٍ واحد تم فك تشفيره.. فقط!

ماذا عن البقية؟! سأل نفسه.

لقد غيبوا عنه الكثير من الحقائق، لم يكن يدرك سوى أخبار حلقته التي يدور فيها، لكنه الآن.. يرى المشهد من علوّ، ويشاهد ما لا قِبل له بتصديقه!

«**وما هي حدود الخطر الذي قد يلحقنا لو قُبض علينا؟ السجن؟ التعذيب؟**»، قال سامح.

«**يا ليت!**»، رد ياسر، كان يستعرض الوثائق في اندهاش.

«**الموت؟!**»، قال سامح.

«**ياليت! ستموت، ولن يَعرف أو يسمع بقصتك أي أحد!**»، قال ياسر.

اقشعرّ جسد سامح، واهتز كل شيء فيه، طبيعته تخشى من التعريض، فكيف لو كان التخويف تصريحاً؟!

سأل سامح: «**هل الأمر حساس ومرعب إلى هذه الدرجة؟!**»

«**جداً..**»، قال ياسر، ومن ثم وجّه ناظريه نحو سامح، كانتا زائغتين من وقع المفاجأة، لم يفهم سر تورط بعض «الجهات» في المسألة!

أضاف ياسر: «**حساسٌ جداً.. إلى الحد الذي قد تتأزم فيه كثير من العلاقات**»

«**ماذا تقصد؟!**»

«**لا أقصد سوى الحقيقة، لكن.. لا بد أن تدرك أن ثمن الحفاظ على هذه الأسرار قد يتجاوز ثمن رقبتي ورقبتك!**»، رد ياسر.

«**أريد.. أن أفهم أكثر!**»

«**بل أغلى من ثمنهما بـ مـ ر ا حـ ـل.. كثيرة.. جداً**»، قال ياسر.

«...»

«**نحن بحاجة ماسّة لكسر تشفير المجمع.. أقصد الملفات المتبقية، أرجوك.. ابذل ما تستطيع، فقد حصلنا على كنز هائل!**»، قال ياسر.

«**ولكن أنت تعلم..**»، رد سامح.

ختم ياسر حديثه: «**سنهرب الآن، وسنقوم بتغيير أماكننا باستمرار، لا بد من الحصول على السر كاملاً.. لا بد**».

وفي هذه اللحظات.. كان توماس هول يستمع إلى تقريرٍ استخباراتي مفصَّل عن ياسر، قدمه رئيس فرقة التحري، حشد فيه كل تفاصيل حياته، كل مواقفه، كل شطحاته..

كان **توماس** يعتقد أنه هو الذي «صنع» ياسر، هو الذي أطال قامته، لم يكن سوى «قزم» حقير، لا يبلغ حتى المناكب، فرفع ذكره، وأعلى مكانته!

ثم.. اشتاق القزم لأصل تكوينه، اشتاق لأن تدوسه الأقدام الكبيرة، وتلعنه كل الأقدار؛ فكر توماس.

«**سأسحقك.. أيها الخائن.. قسماً سأسحقك!**»، قال توماس.

لم يعلِّق توماس عند انتهاء التقرير سوى بكلمتين، لم يكن مقتنعاً أن ياسر سيفعل كل هذا بمفرده، فطاقته أقل من ذلك بكثير: «**لقد فهمنا قصة ياسر كاملة، ولكنك.. لم تخبرني من هو ذراعه الأيمن داخل المجمع؟! كيف حصل على كل هذه التسهيلات؟! لا بد أن هناك من يخوننا من الداخل، حدسي لا يخطئ أبداً! يجب ألا نثق في أي أحد!**»، قال توماس.

## ٣٦

«بعض الليبراليين العرب ينتظرون الولايات المتحدة كي تسلّمهم «مفاتيح» بلدانهم بنفسها!

ويعتبر العديد من الليبراليين أن مهمتهم أُنجزت عندما ينتهون من كتابة مقال أو عندما يتحدثون أمام مؤتمر أجنبي!»

**جون بي آلترمان (مدير برنامج الشرق الأوسط**
**في معهد الدراسات الاستراتيجية والدولية الأمريكي)**
**فايننشال تايمز ـ خدمة صحيفة النهار**

خرج سامح أولاً من بيته، اتفق مع ياسر أن يستقل كل شخص سيارته، سيذهب سامح إلى مكان آمن، لم يحدده بعد، عليه أن يتدبر أمر الملفات، لا بد أن يكسر تشفيرها في أسرع فرصة، ومن ثم يخبر ياسر بالنتائج، ركب سامح سيارته، تبعه ياسر وعبير، كان الشارع شبه خالٍ من المارة، تمام الثانية بعد الظهر، حر المنطقة الشرقية كفيل بتشتيت الجموع.

نظر إلى فندق **مريديان**، بأضلاعه الثلاثة، هل يمكن أن يكون ملاذاً آمناً ولو للحظات؟!

كانت مجرد خاطرة سريعة.. سرعان ما تبخرت، انعطف ياسر جهة الشارع الرئيس، الموازي **للواجهة البحرية**، شارعٌ مزدحمٌ بالمجسّمات، والأشجار، واللوحات الدعائية، شاهد «المبنى الأبيض» على يمينه، كم حدثوه عنه، ورووا عنه الأساطير، كانت أنواره مطفأة بالكامل، عدا الدور السادس، وفوق المبنى يرتكز برجٌ طويلٌ للاتصالات.

شرع ياسر في تقليب الموقف الذي سيتخذه، فكر في تسليم نفسه للشرطة، سيخبرهم بالحقيقة، سيزيح هذا الهم الكبير عن صدره، سيدّعي أن «وطنيته» هي التي حملته على تسليم نفسه، وكشْف هذا السر الحساس.

فكَّر ملياً.. خشي أن يُتّهم بالخيانة، والعمالة، فماضيه قد لا يشفع له، والعديد من الوثائق ستدينه بلا شك!

سينهار أثناء التحقيق، سيخبرهم بكل شيء.. لن يستطيع الصمود!

هل يُسلّم نفسه؟ أم يمضي هارباً نحو المجهول؟

مصيران.. أحلاهما مر؛ فكّر ياسر!

وحدهما؛ المطارد والسجين.. من يغرق في تأمل ماضيه، ومراجعة فِعاله، يُقلِّبها صفحةً صفحة، يتألم لبعضها، ويبكي لبعضها الآخر، وينتشي لبعضها الثالث، وأما من يملك بين جنبيه نفساً (شجاعة)، تأتمر بأمره، وتنقاد لرأيه؛ فإنها ستجنح به إلى «التغيير الكبير»، فتتحول من حال إلى حال، ومركب إلى مركب، ودرب.. إلى آخر!

بدّد رنينُ هاتفه كلَّ سكون، زوجته تتصل به، ماذا تريد في هذا الوقت؟ ليس وقتاً مناسباً لسماع أي شكوى، أو سخافة: «**نعم.. ماذا تريدين؟**»، قال ياسر بفظاظة.

فُجع.. وهو يسمع صوت صراخٍ واستنجاد، وبكاء مرير!

«**أين.. أين أنتِ الآن.. تحدثي..!**»

«**ألو.. ألو..!**»، قال ياسر، ثم.. سمع نغمة قطع الاتصال.

توقف جانباً، كاد أن يصطدم بسيارةٍ تجاوزته، وَرَدَه اتصالٌ آخر من زوجته، رد على الفور، ما زال يسمع الصراخ الباكي، رد عليه أحدهم بطريقة فجة: «**لا تكثر معي الحديث، توجه إلى المجمع الثقافي الآن، أمامك ساعة واحد فقط، زوجتك وطفلتك بحوزتنا، توجه إلى المجمع بكل هدوء، طبعاً.. إن كنت تريدهما!**»

ثم.. قُطع الاتصال.

كان توماس متعطشاً لوصول ياسر بأسرعِ وقت، أُعجب بخطة **وليام بول** الأخيرة، أخبروه أن ياسر توجه فعلاً نحو المجمع الثقافي، وهو الآن يقود سيارته في شارع الظهران، لقد أصبح محاذياً لمجمع الراشد، ولم يبق سوى خمس دقائق كأقصى تقدير.

رائع.. أنْ يسلِّم ياسر نفسه من دون متاعب، كم هي ذكية أفكار وليام؛ فكّر توماس.

«**ماذا عن بوابة الدخول؟**»، قال توماس.

«**الأوامر واضحة، سيدخل فوراً، ثم تتبعه ثلاث سيارات.. تأخذه نحو القبو**»، قال رئيس فرقة التحري.

ما زال توماس يشعر بشيء من القلق، لا بد أن يرى ياسر بين يديه حتى يسكن ويستقر، سيُذيقه عواقب أفعالة الحمقاء، كان يفكر في الطريقة المناسبة للتعامل معه، وإنهاء قضيته من دون إثارة أي أحد، لديه عدة خيارات، ومجريات التحقيق هي من ستحدد الخيار الأفضل.

كان توماس يفكر في طريقةِ تحايلِ ياسر عليه، طريقةٌ احترافية بالفعل، لم يكن يتوقع أن ياسر يمتلك كل هذه القدرات ليفعل ما فعل، فقد استطاع خداعه طوال الفترة الماضية، تذكره حينما أتاه باكياً، يطلب حمايته العاجلة ممن ابتزه! كان مظهره مثيراً للشفقة!

لقد صدّقه في كل ما قاله..!

صدّقه.. من دون أدنى شك!

شعر بألم، حدسه يخونه باستمرار، خصوصاً في الأوقات العصيبة!

«**خطته ذكية بالتأكيد، فلا وجود للشخص التاسع أثناء الحفلة، لم يكونوا سوى ثمانية، فياسر هو من ارتدى الزي النسائي، ودخل منزلي متنكراً، محاولاً ــ ربما ــ تشتيت انتباهنا!**»، قال توماس، فقد رأى أن هذا هو التفسير المنطقي الوحيد لحل هذا اللغز، ولا يمكن أن يوجد حل سواه!

بادله رئيس فرقة التحري الابتسامة، ثم قال: «**خطة ذكية، إلا أنها دنيئة، ونهايتها باتت وشيكة.. إلا أنني..**»، حك رأسه بتردد، كان يقلب فكرة متعارضة في رأسه، ثم أردف: «**ولكن كيف يمكن أن**

**يدخل ياسر إلى منزلك مرتين؟! فقد أظهرته الكاميرات يدخل بهيئته الحقيقية، فكيف يكون نفسه هو المرأة التي دخلت بعده بساعات؟!».**

ضحك توماس بشماتة، كان يعتقد أن فرقة التحري ليست سوى عبء عليه، ولم تقدم له أي خدمة تذكر: «**سأخبرك، لا تقلق، وسأسمح لك بأن تكتبها ضمن إنجازات فريقك**»، علت ضحكاته، ثم أردف: «**عندما تم كشف حقيقة ياسر، عدتُ إلى مشاهدة التسجيل عدة مرات، واكتشفتُ أن المرأة المحجبة ليست سوى ياسر، تسألني كيف؟ لنعد إلى بداية القصة، فياسر قد دخل إلى منزلي في بداية الحفلة، وقام هو على الأرجح بوضع المنوم في كل الكؤوس، ثم خرج متخفياً داخل عربة الطعام، وقام بتهريب جهازي المحمول إلى سيارته، ومن ثم قام بتبديل ملابسه، ودخل متنكراً**».

عندما وصل توماس إلى هذه النقطة، اتسعت عينا رئيس فرقة التحري، لا يعلم لِمَ غاب عن ذهنه إمكانية تخفّي أحد المدعوين داخل هذه العربة، لقد كانت كبيرة ومغطاة بما يكفي لجلوس شخص بداخلها بطريقة مريحة، أحس بتضاؤله، وإخفاقه في مهمته التي انتُدب لأجلها!

أضاف توماس: «**إلا أنه ينبغي لك أيها الذكي أن تسألني سؤالاً ذكياً مثلك.. خمِّن ما هو؟**»

نظر إليه رئيس فرقة التحري في حيرة، لقد كان توماس يتعمد إذلاله، وإهانته، احمرّ وجهه، وهمّ بالخروج، فلم يعد يحتمل البقاء أكثر!

«**سأخبرك بنفسي.. لا تقلق، كان ينبغي أن تسأل.. ما مدى تورُّط نادل المطعم الذي كان يدفع عربة الطعام للخارج، وهل كان له علاقة بياسر؟!**»، تعالت ضحكات توماس، أشار إلى مكتب سكرتيره

كريست، ثم قال: «**لن أخبرك بالإجابة، اذهب إلى سكرتيري، واسأله عن التفاصيل، فأنا مشغول الآن!**»

لم يقتنع توماس كثيراً بقدرات فرقة التحري، فقرر أن يتقصّى الأمور بطريقته الخاصة، ليعمل بشكل موازٍ مع جهود فرقة التحري، شك أول الأمر في الخادم (أفتاب)، إلا أنه لم يجد دليلاً يدينه حتى الآن، قام باستدعاء جميع عمّال المطعم الذين حضروا تلك الليلة، وتم إخضاعهم لتحقيقات قاسية، أظهرت براءتهم حتى الآن، وما زال التحقيق جارياً معهم، مما جعل توماس يطرح **فرضيته المنطقية**: والتي تقول بأن الذي كان يدفع العربة ليس أحد عمال المطعم، إنما هو شخص على علاقة بياسر، وهو على الأرجح أحد المدعوّين، خصوصاً أن التسجيل لم يستطع إظهار ملامح وجهه بشكل واضح، إذ إنه كان يدفع العربة بطريقة توحي بأنه متعب، حيث نكس رأسه نحوها، وكان يضع قطعة قماش على ظهره، وتغطي رأسه، فيما يبدو أنها تعود لديكور المطعم، إضافة إلى ذلك.. فمدة هذا المقطع لا تتجاوز خمس ثوان، مما صعّب من مهمة التدقيق!

إلا أن تحديد من هو هذا الشخص ما زال يمثل لغزاً لدى توماس، فلديه سبعة احتمالات، وهم بقية المدعوّين، إضافة إلى عمال المطعم، فسيدرجهم ضمن خياراته!

أمر توماس أن تشدد الرقابة على هؤلاء جميعاً، وإن لزم الأمر.. فسيصدر أوامره باعتقالهم، أو حتى تفتيش منازلهم بالقوة!

**فكر توماس**؛ لماذا يحتاج ياسر لعمل كل هذا التحايل؟!

أليس من المنطقي أن يأمر الشخص الذي قام بدفع العربة أن يقوم بتهريب الجهاز المحمول إلى سيارته مباشرة؟!

ولماذا يضطر إلى المخاطرة، والمشاركة بنفسه؟!

هل كان لا يثق به؟ أم إنه استغفله؟

أم إنه كان يُخفي عنه شيئاً ما؟!

أسئلةٌ باتت تلحّ على توماس، وتراوده لإيجاد إجابة مقنعة.

وفي هذه اللحظات الحرجة..

توجّه **تركي الصالح** نحو مركز الشرطة، يحمل أحقاده وضغائنه معه، سيفضح توماس والبقية، يريد أن ينتقم من المجمع بأسره، لقد أحس بالمهانة والذل، اعتقلوه وضربوه من دون سبب، لم يعرف التهمة حتى الآن، ومن ثم.. اعتذروا له اعتذاراً بارداً، قبل أن يُخلوا سبيله!

لقد كان يتفانى في خدمتهم، ويعمل جاهداً لنشر «حريتهم»، وأفكارهم!

إلا أنه كاد أن يفقد حياته.. من أجل اشتباه خاطئ لا غير!

**قرر تركي**: سيقوم بالإبلاغ عن كل ما يعرفه عن المجمع الثقافي، عن أي معلومة ولو كانت غير مهمة، حتى تلك الإشاعات التي تُردّد في الجلسات الخاصة، سيخبرهم بالأمر كله، فليس للمرء ما يخسره بعد كرامته!

...، وليكن ما يكون!

## ٣٧

«أمَا لهذا التخلف من نهاية؟!

كان اقتراح أحد أعضاء اللجنة (التعليمية) المختصة.. إلغاء حصص الموسيقى والنشاط، واستبدالها بحصص تحفيظ القرآن!!

أرى أن الموسيقى وتنمية الذوق الفني أهم من تحفيظ القرآن، ودروس الدين! ولا أرغب في إهدار فلوسي على تدريس الدين!

ولا أقول سوى اللهم العن أعضاء هذه اللجنة على هذا التخلف الفكري دنيا وآخرة!»

**د. أحمد البغدادي ـ صحيفة السياسة الكويتية،**
**بتصرف، العدد: ١٢٧٦٧**

**«إنهم يكذبون عليك يا ياسر، لا تصدقهم، زوجتك في أمان، وكل ما يفعلونه مجرد تمثيلية، فقد قاموا بسرقة جوالها فقط، أكرر أنها في مأمن، ولن يتجرأ أحد على إيذائها، لقد سمعتُ توماس قبل قليل يأمر رجاله بعدم التعرض لها إن لم تستجب لهم..**

**ياسر.. اسمعني جيداً.. لا بد أن تتخلص من كل هواتفك النقالة، أنت الآن مراقب، أحدهم يتبعك، إنه الشخص الأسمر نفسه الذي رأيت صورته في بريدك الإلكتروني»**، قال راجي، ذراع ياسر في المجمع، عابد المال.. كما يسميه الكثيرون، أرسل هذه الرسالة الصوتية إلى جوال ياسر الشخصي، كان يستخدم شريحة مسبقة الدفع، لا تحتوي أية معلومات، حاول تغيير صوته قدر المستطاع، ومن ثم قام بإتلاف هذه الشريحة، بالغ في سحقها، حتى أخفى معالمها!

أحس راجي أنه تورط الآن مع ياسر، ولا مفرّ بأن يقدم له دعمه الكامل، في سبيل ألا يعتقلوه، أو على الأقل في سبيل تأخير مدة اعتقاله، قرر أن يغادر البلاد متخفياً، لا يدري إلى أين، ربما إلى إحدى الدول المكتظة بالسكان، سيفقد وظيفته، وربما عائلته، والكثير من أمواله.. إلا أن ذلك أهون من فقدان رقبته؛ فكّر راجي!

لم يكن يتوقع أن تؤول الأمور إلى هذا الحد، طمع في أعطيات ياسر أول الأمر، سهّل له الكثير من الترتيبات، كان يأخذ نصيبه وافياً على كلٍ منها، هو الذي أخبره عن مكان وجود الوثائق، وأماكن كاميرات التصوير في منزل توماس، وسرّب الكثير من المعلومات التي لم يكن لياسر الصمود بدونها.

إلا أنه يدفع ثمن ذلك كله الآن، فقد أدرك أنهم سيقبضون على ياسر عاجلاً أم آجلاً، وسيعترف بكل شيء!

نعم.. بكل شيء!

...، حتى قصة (مستر راجي) السخيفة!

## ٣٨

قدمت الباحثة البريطانية **فرانسيس سونديرز** في كتابها المهم **من دفع أجرة الزمار** كشفاً لوثائق خطيرة، توضح اختراق الـ CIA للكتّاب والمفكرين في أنحاء متعددة من العالم، معتمدةً على وثائق رسمية، أفرجت عنها الإدارة الأمريكية بسبب التقادم، كما عقدت عدة لقاءات مع أطراف مختلفة. . اعترفت بدور المخابرات الأمريكية والبريطانية في تمويل الأنشطة الثقافية في شتى أنحاء العالم، بما في ذلك الأنشطة الحداثية، وتم إنشاء منظمة تحمل اسم «**منظمة الحرية الثقافية**»، وكان لها مكاتب في ٣٥ دولة، وأصدرت أكثر من ٢٠ مجلة، وأقامت معارض فنية، وامتلكت مؤسسات إعلامية وسينمائية، ونظمت مؤتمرات دولية ضخمة، وكافأت الموسيقيين والفنانين بجوائز وحفلات جماهيرية.

وكان أول مكتب أمريكي يدعم التوجه الحداثي العربي. . تم فتحُه في لبنان، ثم فتح مكتب آخر في القاهرة، كما تم افتتاح عدد من المجلات والدوريات بتمويل كامل من المخابرات الغربية، ومنها مجلة **حوار** التي افتتحت في القاهرة، ثم اضطرت إلى إغلاق أبوابها بعد افتضاح أمرها، إضافة إلى ارتباط عدد من المجلات والشخصيات الشهيرة بهذه المنظمة، بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

كما ظهر كتاب جديد تحت عنوان **الوثائق السرية** للإيرلندي البروفيسور

آدمز فيلدمان، وقد اعتمد الكتاب على الوثائق السرية التي أفرجت عنها **أجهزة الاستخبارات الفرنسية**، والتي تتناول الدور الذي لعبه بعض (المثقفين) العرب والأجانب في العمالة والتجسس لصالح أوروبا، وذكر منهم الدكتور (طه حسين) وآخرين.

وقد كُشف عن وثيقة من هذه الوثائق السرية، جاءت تحت عنوان: «أمين الريحاني.. جاسوس أمريكي!»

**فرانسيس سونديرز ـ من دفع أجرة الزمار**
**د. عبد العزيز حمودة ـ المرايا المقعّرة**
**محمد القوصي ـ الصفحات السود لمدرسة التغريب والحداثة والتنوير**

تعجب وليام بول!

لماذا غيّر ياسر وجهته؟!

لقد كانت الأمور تسير على مايرام، كان يتجه نحو المجمع الثقافي؛ وفق تفاصيل خطته الدقيقة، كان يجب عليه أن يلزم الجهة اليمنى، ومن ثم ينعطف يساراً، متجهاً نحو المجمع الثقافي..

إلا أنه لم يفعل!

لقد أكمل طريقه للأمام، نحو مدينة الظهران، وبسرعة متهورة!

«**تباً لك أيها اللعين.. ماذا تحاول أن تفعل؟!**»، تمتم وليام بول غاضباً.

لم يجد بُداً من أن يتبعه، تحسس مسدسه، ربما يحتاجه هذه المرة.. تذكر توماس، ماذا سيفعل له إن أخفق؟ ستكون نهايته إلى الأبد، أقسم أن ينجح في هذه المهمة مهما كلفه الأمر!

كان ياسر يقود سيارته بسرعة جنونية، ممسكاً المقود بكلتا يديه، لم يأبه لصرخات عبير الباكية، ولا بأبواق من أفزعهم على الطريق بسيارته، لم يكن يفكر سوى بشيءٍ واحد، أشغل عليه عقله، وشلّ تركيز، إلى أين يمكن أن يذهب؟! ما هي الوجهة الآمنة التي يمكن أن يأوي إليها، رمى بهاتفه النقال على عبير: «**عبير.. عبير.. أخرجي الشريحة، أخرجيها بسرعة، وألقيها من النافذة، هيا.. الآن**»، قال ياسر، لا بد أن يتخلص منها، أكد له مستر راجي أنه مراقب، لا يهم كيف ذلك، لديه شريحة أخرى، سيستخدمها عند الحاجة.

بالكاد فعلت عبير، كانت أناملها لا تقوى على فعل شيء، أرادت أن تبكي، أن تقذف بنفسها من السيارة، أن تبتلع أي شيء، تفضل أن تموت وتتخلص من هذا العذاب، أرادت أن تضع حداً لهذا

الكابوس المخيف، لقد ازدادت الأمور تعقيداً، بدأت تفكر في أمور كثيرة: القتل، السجن، التعذيب، الفضيحة،..!

«**شريحة جوالي.. انتهى أمرها، أين سأذهب؟ هل يتبعني أحد؟ لن أذهب إلى منزلي، مراقب بالتأكيد! لن أثق في أي أحد، هل أسلّم نفسي؟ لن أفعل!**»، تزاحمت أفكار ياسر وخطراته، لقد كانت حياته هادئة جداً، لم تحدث له أي مفارقات، حياةٌ رتيبة للغاية، خالية من أية أحداث جوهرية، إلا أن ذلك تغير فجأة، وأصبح التكهن بنهاية قصته صعباً للغاية!

قفزت فكرةٌ إلى رأس ياسر، ستكون فكرة عبقرية بلا شك، أقنع نفسه بجدواها، إلا أن عيبها الوحيد أنها فكرة مؤقتة، وليست حلاً جذرياً، لا يهمّ، سيلتقط أنفاسه أولاً، ثم سيرى ماذا سيفعل.

زاد من سرعة سيارته، تمتم ياسر: «**المستشفى.. المستشفى**»

كان يكثر الالتفات في كل اتجاه، يتفحص كل سيارة يتجاوزها، يمر بحذر بالغ رغم تهوّره، فلعل مخبراً بداخلها، فأتباع توماس في كل مكان، وعليه التنبه لكل المفاجآت.

«**عبير.. المستشفى، سنذهب سوياً إلى...**»، توقفت الكلمات في فمه، واستحال وجهه أحمر، ضغط على مكابح السيارة بشكل فجائي، مالت السيارة جهة اليمين، كاد أن يفقد سيطرته، ويصطدم بسيارةٍ أمامه، تجاوزها من الجهة اليمنى بصعوبة، تمنى من كل قلبه ألا يثير انتباه رجال المرور بتهوره، ليس وقتاً مناسباً للتحدث عن السلامة المرورية الآن!

إطلاقاً.. ليس وقتاً مناسباً!

كاد أن يصطدم بسيارة عائلية محملة بالركاب، حمد الله كثيراً أنه

نجا بأعجوبة، لاحظ نفسه أنه يكثر من اللجوء إلى الله في هذه الأوقات العصيبة! أحس بتضاؤل نفسه، كيف يلجأ إليه الآن، وهو الذي جاهد لتشويه دينه، أحس بالتناقض، والخجل!

ماتت هذه الخاطرة سريعاً..

أكمل جملته الميتة: «**عبير.. سنذهب سوياً إلى المستشفى، سأخبرك لماذا لاحقاً.. فقط.. افعلي ما آمرك به**»

اشتعلت أعصاب **توماس هول**، كانت تحترق فعلاً هذه المرة، فالأخبار لا تبشّر بخير أبداً، لماذا تغيّر كل شيء فجأة؟! ظن الجميع أن الأمر قد انتهى!

كان يستمع من هاتفه إلى تبريرات **وليام** الغبية، أمره أن يلحق بياسر، ويأتي به بأي طريقة، ولو استدعى الأمر أن يقتله فليفعل، لم يعد يهم معرفة تفاصيل قضيته ولا دوافعه، فيبدو أن الأمور بدأت تخرج عن السيطرة!

إلا أن توماس أيقن.. أن ياسر لن يذهب بعيداً، فالشريحة المغروسة في جهازه المحمول ستدلّهم على مكانه، حتى ولو خرج من جلده، أو اختفى تحت الأرض!

إلا أن الأمر الذي فاجأ توماس فعلاً، ولم يتوقع حدوثه.. هو وجود عبير.. برفقة ياسر!

لماذا كانت معه، وهل لها علاقةٌ بسرقة المحمول؟!

فكر توماس ملياً!

## ٣٩

«لم يعد الأمر بحاجة لأن يصبح المرء مشتغلاً بالمهنة الإعلامية، لكي يعرف من يمثل «**حزب أمريكا**» في الإعلام العربي!

ناهيك بأنه في حالات عدة، أصبح نفر من عناصر ذلك «الحزب» أصبحوا يتباهون بانتمائهم، ويبعثون برسائل المحبة والشكر للدبلوماسيين الأمريكيين على صفحات الصحف السيارة!

ومنهم من أصبحوا يصرحون في المجالس والمحافل من دون مواربة: «**إحنا بتوع أمريكا**»!»

**فهمي هويدي**
**صحيفة اليوم، العدد: ١١٠١٥**

تأكد ياسر أن أحداً لا يتبعه، دخل عدداً من الأحياء، غيّر من وجهته مراراً بطريقة فجائية، أوقف سيارته بعيداً، ومن ثَمّ استقل سيارة أجرة لتوصله إلى المستشفى.

توجّه مباشرة إلى مدير التأمينات بالمستشفى، تربطه به علاقة قديمة، رحّب به، طلب منه أن يوفّر له جناحاً خاصاً في المستشفى على وجه السرعة، تظاهر بألم في بطنه: «**أعلم أنه يلزم زيارة الطبيب أولاً، لكن أرجوك.. سأدفع أية أجور إضافية، أريد أن يكشف عليّ الطبيب في غرفتي، لا أريد أن أخرج منها**»

تعجّب مدير التأمينات من طلبه، إلا أنه سيلبيه طلبه بلا ريب، ما دام أن المستشفى سيقبض نصيبه كاملاً، كان يسمع عن غرائب تصرفات المشاهير، قرأ العديد منها في وسائل الإعلام، ويبدو أن هذه إحداها!

«**أرجوك.. امنع عني الزيارة، لا أريد أن أرى أي أحد**»، أضاف ياسر.

كان توماس يحادث **وليام بول** عبر الهاتف، طلب أن يخبره بجميع التفاصيل، حتى تلك التي يراها تافهة: «**سيدي.. هو في الطابق الرابع، أنا أعمل اللازم لمباغتته، ولكن.. هل تأذن لي بقتله داخل المستشفى؟**»

أذن له توماس.. على ألّا يدع أثراً يمكن الأطباء الاشتباه في مقتله، نهاه أن يستخدم عياراً نارياً، أو آلة حادة، أمره أن يتبع أي طريقة تضمن عدم انكشاف فعلته!

والأهم من ذلك.. أن يُحضر جهازه المحمول حالاً!

انتهى **وليام بول** من لبس زي التمريض؛ بعد أن قام برشوة أحد عمال النظافة بمبلغ خيالي بالنسبة إليه، طلب منه فقط أن يدله على

مستودع الملابس، ارتدى أكبر مقاس متوافر، نظر إلى نفسه في المرآة، بالفعل.. يبدو كممرض حقيقي، اغتبط لذكائه اللماح، وقدرته على التكيف مع الصعاب.

سار في الممر الرئيس، المؤدي إلى غرفة ياسر، كان يركز في كل الأعين التي أمامه، لم يلحظ أحداً يستغرب وجوده، حتى طاقم التمريض؛ كانوا يمرون بجواره في برود شديد!

رأى وليام طفلين جميلين في غرفة الانتظار، كانا يُضاحكان والدهما، ويتسابقان للارتماء في حضنه، وتقبيله، رفّ قلبه القاسي، شعر بشيء يتزحزح من مكانه، شراسةُ وجهه.. غمرتها مسحة حزن بائسة، لم يكن يتوقع أنه يمتلك مثل هذه المشاعر، فقد أخبروه أنها لا تليق بقاتل محترف!

تمنّى.. لو يكفّ عن تتبع الناس وقتلهم، لو يتوقف عن ذلك كله، ويشرع في بناء كوخه الصغير، في أحد الأرياف النائية!

وضع يده على قلبه، هل بالفعل لا يحوي أية مشاعر كما يقولون؟!

أخبروه أن مشاعره قد جفّت منذ أمد بعيد، وأن خزائنها قد حُرقت، وأن نجاحه مرتهن بذلك!

دخل وليام الجناح المخصص لياسر، كان يضع (كمامات) التمريض على وجهه، حتى لا يعرفه أحد، تمنى ألا يلفت ذلك انتباه طاقم التمريض، أقنع نفسه بأن ذلك لن يحدث، فطاقم التمريض في هذا المستشفى الضخم كبير جداً، ولا يعتقد أن دخوله سيثير أي انتباه.

شاهد عبير برفقة ياسر!

نسي كلياً أنها كانت معه!

لم يحسب لذلك حساباً، ربما ستسبب له الكثير من المتاعب، ربما ستصرخ، وتطلب المساعدة!

لم يخطط ماذا سيفعل بها؟! إنها مشكلة حقيقية، ستشك الشرطة في قصة موتهما معاً!

مقتل شخصين في غرفة واحدة! ستكون فعلة حمقاء بلا شك!

لكن؛ هل يمكن أن يجعل القصة.. كأنها قامت بقتله، ومن ثم.. انتحرتْ؟

يبدو خياراً جيداً!

لكن بمن يبدأ؟ خاف أن تقوم بالصراخ إن شرع في قتل ياسر، ستفضحه بلا شك، خصوصاً وأنه لا يمكن أن يستخدم سلاحاً لتنفيذ مهمته، وذلك مما سيبطئ من سرعة التنفيذ!

عليه أن يتخذ قراراً سريعاً، لا مجال للتراجع، فهو الآن في مواجهتهما بشكل مباشر، وأي خطأ.. قد يكلِّفه الكثير.

**قرر وليام**: لا بد.. أن يقتل كل واحد بمفرده، سيطلب منها أن تغادر الآن، سيقتل ياسر أولاً، ومن ثم سيناديها، ويقتلها بكل سهولة، أو ربما سيقوم بخطفها إلى المجمع، فلن تستطيع المقاومة؛ استحسن الفكرة.

تنبّه **ياسر الواصلي** إلى اضطراب الممرضات، نظراتهن كانت غريبة عند دخول هذا الممرض الضخم، استغرب! إلا أنه لم يهتم بالأمر كثيراً، فلم يخطر بباله أن قاتلاً شرساً يقف بقربه الآن، ويفكر بطريقة مناسبة لقتله!

أخبره **الممرض وليام** بأنه سيقوم بتغيير الإبرة المغذية! وطلب

مغادرة كل من في الغرفة سريعاً، بمن فيهم عبير.

استغرب ياسر!

لم يمضِ وقت طويل على حقنه بها، لماذا يتم تغييرها بهذه السرعة؟

«**ولكن.. لماذا تقوم بتغييرها؟!**»، سأل ياسر.

تلعثم الممرض الضخم، ثم قال: «**هذه.. أنا لست أدري بالضبط، هذه أوامر الطبيب، سأستفسر منه لاحقاً**»

لم يقتنع ياسر بإجابته، لاحظ أن ذراعه ليست بذراع ممرض عادي، كانت عضلاته مفتولة، ولكْنته الانكليزية مُتقنة، كما إن بطاقة التمريض لا تظهر على صدره، إضافة إلى أنه يضع كمامات على وجهه، بخلاف بقية الممرضات!

لماذا؟!

بدأت الوساوس تدور في رأسه، هل يمكن أن يكون...!

تذكره، لقد رآه في مكان ما، طرف أنفه المفلطح، وعيناه المصفرّتان!

ارتاع ياسر: «**هل يمكن...؟!**»

هل يمكن أن يكون الشخص نفسه الذي رآه في الصورة؟!

أراد أن يصرخ بأعلى صوته، أن يستنجد بالشرطة، بموظفي الأمن، خشي أن تنفلت مشاعره، ويعجّل بالقضاء على حياته، لا بد أن يسيطر على أعصابه، ويتصرف بحكمة.

استأذن ياسر أن يدخل الحمام قبل أن يقوم بتغيير الإبرة المغذية، لأمرٍ ضروري جداً، ضحك **وليام** في نفسه، لا بأس، أَذِن له، ستكون المرة الأخيرة له؛ فكّر وليام!

حمل جهاز توماس المحمول معه، هو ما تبقى من كنوزه، لا بد أن يحتفظ به.. مهما كلفه الأمر.

سأله وليام ضاحكاً: «**حتى في دورة المياه تأخذ معك جهازك المحمول؟**»

«**اعتدت على فعل ذلك، بالفعل.. غريب أمري، يبدو أنني حريص جداً**»، جاهد ياسر أن يظهر عفويته في الحوار مع وليام.

«**يمكنك الثقة بي، سيكون في مأمن معي**» قال وليام.

«**لا عليك.. سأتكفل بالأمر، شكراً لك**»

عزم على قتله حال خروجه، بقي أن تخرج بقية الممرضات، سيقتله خنقاً، أو ربما بحقن أحد الأدوية في وريده، أو ربما بقطع وريده بالكلية!

هل يمكنه أن يقوم باختطافه حياً؟!

احتار!

الخيارات كثيرة، تراءى له مشهد النصر، سيحتفل في المجمع بملابس التمريض، سيحتفظ بها كذكرى؛ حدث نفسه!

خرجت عبير، والممرضات.

كان ينتظره عند سريره بفارغ الصبر، تمنى ألا يمكث طويلاً في الحمام، فقد اشتاق كثيراً لرائحة القتل اللذيذة!

خلع **ياسر** الإبرة المغذية من يده بعنف، تقاطرت دماؤه، ملأت أرضية الحمام، أحس بآلام رهيبة في وريده..

ضغط على أسنانه بشدة، وأغمض عينيه!

لا . . يجب عليه ألّا يصرخ، في داخله بركانُ آلام، ليس وقتاً مناسباً على الإطلاق، قبض على كفه ليوقف النزيف، لم يكن ليهتم بالألم في مثل هذه الوقت، خرج مسرعاً من غرفته، كان الحمّام بجوار باب الخروج مباشرة، حمد الله أن القاتل لم يكن قريباً منه، أمسك بيد عبير، وجرها إلى الخارج بقوة، عيناه تدوران في كل مكان، يبدو كمجنون حقيقي، لم يهتم ياسر لمنظره الغريب وهو يجري بين الناس بهذه الطريقة، فلم يعد يشغل باله الآن سوى أن يخرج من المستشفى على قيد الحياة، لن يستخدم سيارته، فمؤكدٌ أن أحدهم اكتشف مكانها، سيستقل إحدى **سيارات الأجرة.**

عادة . . يقف بجوار مدخل المستشفى العديد منها، تمنى أن تكون موجودة الآن.

بالفعل . . شاهد ثلاث سيارات أجرة عند البوابة، تفرس في أحدهم، يبدو طيعاً . . سهلَ الخداع.

طلب منه إحضار أمتعته من داخل المستشفى، كانت سيارة الأجرة في وضعية التشغيل، أشار ياسر إلى مدخل المستشفى، توجد عند موظف الأمن حقيبتان، طلب إحضارهما . .

ركبَ وعبير فوراً.

ومن ثم سمع الجميع صوت صرير العجلات!

٤٠

«قفزتْ إلى السطح أسماء جديدة من (الليبراليين الجدد) من أمثال أحمد البغدادي، وشاكر النابلسي، وسيّار الجميل، وغيرهم، والمفارقة أنهم لم ينتجوا خلال خمس عشرة سنة أي بحث محترم معرفياً؛ يفصحون فيه عن فكرهم، بل اقتصر إنتاجهم على تسطير مقالات صحافية خفيفة!

خفيفة حتى في محمولها المعرفي، وشديدة الخواء، وتفتقر إلى أبسط ملامح الجدية، والعمق في التحليل!»

«كما إن الليبرالية في الخطاب (النيوليبرالي) الماثل أمامنا اليوم.. تقدم بوصفها فكرة حمقاء، راكبة دبابة، ومَسنودة بلغة الإملاء والتهديد والاستقواء بالغرب.. لتجسيدها في واقعنا!»

**د. الطيب أبو عزة، نقد الليبرالية، بتصرف**

تعجب ياسر من قدرتهم على تحديد مكانه، كيف أمكنهم ذلك؟

لقد اتبع خطة معقدة للغاية، إضافة إلى أنه تخلص من شريحة جوّاله، لا يمكن أن يحدث ذلك إلا إذا كانوا يمتلكون أسطولاً ضخماً، أو قدرات خارقة!

أو ربما.. أنه وقع في خطأ فادح؟

فكّر ياسر!

اجتهد هذه المرة في التخفي بشكل أكبر، كما قام بالتنقل بين عدد من الأحياء المكتظة بالسكان، إلى أن انتهى به المطاف إلى فندق «الخليج»، وسط مدينة الدمام، فكر أن يبقى فيه هذه الليلة، ومن ثم سيسافر براً إلى الرياض، سيختبئ في منزل أحد أقربائه هناك حتى تهدأ الأمور!

هاتفَ صديقه سامح، كان يستخدم شريحة مسبقة الدفع، لا تحوي بياناته، أخبره بمكانه، وطلب منه الحضور على الفور، سيسجل الغرفة باسم سامح، لا يمكن أن يستخدم بياناته الشخصية، وإلا لكان شديد الغباء، إضافة إلى أنه يريد أن يُنهي معه قضية الملفات المشفّرة، طلب منه أن يقوم بطباعة نسختين من الملفات التي تمكّن من فك تشفيرها، سيخبره لاحقاً عن السبب!

كما طلب منه إحضار عدة شرائح اتصال، سيقوم الآن باستخدام كل شريحة لمرة واحدة فقط، ومن ثم يبادر بإتلافها!

عبير.. كانت لا تكف عن البكاء، واستحضار صورة والدتها الراحلة: «**الخوف يقتلني يا أمي**»، روح عبير تغرق، ونبضها يجنح نحو السكون، ما أوحش الدرب بلا رفيق يستوي على عرش الفؤاد..

كل الطيور.. كانت تنوح على حال عبير، حتى تلك المهاجرة؛ التي لا موطن لها ولا انتماء.

تجاهل ياسر بكاءها، ونشيجها المستمر، تصرّف وكأنها غير موجودة، حاول تهدئتها مراراً، إلا أنه لم يفلح، تركها وبكاءها، فلا مجال للعاطفة الآن، لا بد من التصرف بعقل، وإلا انتهى أمره.

بدأ يشعر بالندم على فعلته الحمقاء، لماذا أوقع نفسه في هذه الورطة الكبيرة؟

لماذا لم يقبل بتنحيته من منصبه، وتهميش دوره القيادي، وماذا سيكون؟

لا شيء!

لن تستطيع الجماهير نسيانه، سيبقى في الذاكرة، إضافة إلى أنه يمكنه العودة إلى الأضواء بطرق أخرى، يمكن أن يُنشئ موقعاً ضخماً على الشبكة العنكبوتية، يمكن أن يساهم في إدارة إحدى المجلات، أو يكتب في إحدى الصحف الخليجية،..، أدرك بأن لديه عدداً من الخيارات الأخرى لو فكر، فما زال لاسمه بريقه، ولن يفقده بمجرد تعنُّت توماس.. ذلك اللعين!

تمنّى لو أنه لم يفعل ما فعل، على الأقل.. لكان الآن في أهدأ حال!

إلا أنه تذكر تلك الوثائق التي تدينه، الصور، الحفلات، المعاملات التي وقعها.. سيقوم توماس لا محالة بفضحه!

فكّر ياسر: «**لن يقوم بذلك لو أنني صَمَتُّ، ورضيت بالأمر الواقع!**»

اِلتفتَ ياسر إلى قلبه، كان ينبض أكثر من المعتاد، أشفق عليه، فقد أضناه السفر، وأتعبه الترحال، لم يعد يحتمل، تمنى لو يعود إلى عشه الصغير، ماذا تفعل زوجته الآن؟ وهل أصابها مكروه؟

لقد أفزعوا قلبها، وقلب صغيرتها!

طالت عليه أزمنة الاغتراب، فهل يمكن قلبه أن يرتاح ويسكن؟!

. . .، قَطَع أثير أفكاره. . وصول سامح، لقد وصل أسرع مما كان يتوقع، استبشر بوصوله، أراد أن يشاطره خوفه، وقلقه، أو على الأقل. . لو يبثّ شيئاً من الأمل في طريقه.

اختار سامح جناح ٦١٨، توجهوا على الفور نحو المصعد، ليس من الحكمة أن يكثروا من الظهور العلني.

شرَعا في استعراض الوثائق التي تَمكن سامح من فك تشفيرها، كان ياسر يُمسك الأوراق بحرص أكثر من اللازم، يبدو كمن يحوي كنزه الوحيد بين يديه، بقي صامتاً في ذهول وهو يقرأها، أحياناً كان يقرأ المعلومة أكثر من مرة، لم يكن يصدق أن المجمع متورط في كل هذا!

كانت هذه الوثيقة تتعلق بـ (الخطط المستقبلية) التي يعتزم أن يقوم بها المجمع، لفت نظره وجود أسماء عدد من لاعبي (كرة القدم) المشهورين، وأحد المغنين ذائعي الصيت، لماذا يستهدف المجمع هذه الطبقة بالذات؟ سأل ياسر نفسه!

لم ينقض اندهاشه إلا عند سماع باب غرفته يُطرق برفق، اهتز خوفاً، من يكونَ هذه الطارق؟ تمنى من كل قلبه أن يكون خيراً، قام بجمع الوثائق، وحشْرها في حقيبة الجهاز المحمول.

نظر من عدسة الباب، إنه أحد موظفي الفندق، يطلب الإذن في إدخال الشاي وبعض المقبلات.

لماذا يقوم بذلك؟!

لم يعهد أنّ الفنادق تقوم بمثل هذه الخدمة، حتى تلك الراقية جداً. . لا تفعل ذلك إلا بطلب!

تأملَ عيني الموظف. . تنبضان شراً، وحقداً.

هل ذلك صحيح؟! أم إنه كان يتوهم؟! هل أصابه الوسواس؟!

«**شكراً لك، لا أرغب في تناوله**»، رد ياسر من خلف الباب.

«**ولكنك سيدي.. من قام بطلب ذلك**»

التفت ياسر إلى سامح وعبير، سألهما، أجاباه بالنفي، فلم يطلب أحدهما شيئاً!

«**يبدو أنك أخطأت العنوان، فلم نطلب شيئاً، شكراً لك**»، قال ياسر.

«**سيدي.. الطلب مسجل باسم ياسر الواصلي، جناح ٦١٨ هل هذا هو العنوان الصحيح؟**»

امتقع لون وجه ياسر، وعلت جسمه الشاحب قشعريرة رهيبة.. أيقن أن مرتزقة المجمع الثقافي أصبحوا بقربه الآن!

فكيف عرف هذا الموظف اسمه؟! مع أنه لم يستخدمه في تسجيل بيانات الفندق!

كيف وصلوا إلى هنا، وتمكنوا من كشف مكانه بهذه السرعة؟!

هل يمكن أن يخونه أحدهما؟!

نظر إلى **سامح وعبير!**

هما الوحيدان في هذا العالم اللذان يعرفان مكانه!

كانا يحدّقان فيه.. لا يعلم فيمَ يفكران؟

هل يمكن بالفعل أن يكون أحدهما خائناً؟!

لماذا أحدهما فقط؟!

**أليس من الممكن أن يخوناه «سوياً»؟!**

# ٤١

«كنا نلتقي في لبنان مع شعراء الحداثة في ليال نلقي فيها أشعارنا، ونسكر فيها، ولا ندري من يموِّل هذه السهرات الباذخة، فاكتشفنا أنه الملحق الثقافي في السفارة الأمريكية، لذلك كان (البكر) يحتفظ بملفات عن شعراء الحداثة في العراق»

**حسن العلوي**

**نقلا عن سليمان العيسى (شاعر سوري) ـ قناة العراقية**

لا يمكن أن يفعلها سامح، فهو صديقه المخلص، وقد سبر أغوار قلبه، لا يمكن أن يقوى على الخيانة، ياسر متأكد من ذلك، إلا إذا كان قد تعرض لضغظ أو تهديد؟!

وعبير؟!

لقد قالت بأنها تحبه، وتعشقه من دون العالمين!

ولكن.. أليس من الحب ما هو سراب، وخداع، وكذب؟!

**«هل شعرتْ عبير بأنني خنتها عندما لم أخبرها بقصتي؟ هل تفاجأت بمدى تورُّطي بالقضية؟»**، فكّر ياسر، فعبير قد هربت معه مرغمة، ليست متورطة معه كسامح، ويمكن أن تبيعه في سبيل تخليص نفسها، وستتبرأ منه أمام توماس بلا شك!

قرر ياسر أن يكتم هذا الأمر، لن يخبرهما بما يعتمل في صدره، فهي لا تزال مجرد شكوك، تفتقد الدليل، إلا أنه عزم على عدم الثقة بأي منهما بعد الآن، وتوخي الحذر الشديد، سيعتمد على نفسه، ولن يفشي أية معلومة لهما!

أدرك ياسر بأنه محاصر، فرجال المجمع بالخارج، ينتظرون خروجه، وهو يُعايش الآن شخصين يشك فيهما!

تكاثرت الأفكار في رأسه، جلس على الأرضية منهكاً، مشوش التفكير، هل يمكن أن يستخدم المجمع حيلته نفسها؟

**«ماذا لو خططوا لوضع منوِّم في ذلك الشاي، سيتم نقلي للمجمع بكل هدوء، خطة متقنة وذكية»**، فكر ياسر.

**«ماذا تفعلين؟!»**، قال ياسر بفظاظة.

لفتت نظره عبير، كانت منزوية في زاوية الغرفة، انتهت للتو من

مهاتفة أحدهم خلسة، بواسطة هاتف الغرفة، اشتعلت الشكوك في رأسه، مع من يمكن أن تتحادث في مثل هذا الوقت الحساس؟!

ولماذا لم تستخدم هاتفها النقال؟!

سألها.. من كانت تحادث في مثل هذا الوقت الحساس؟!

امتنعت عن الحديث!

صرخ في وجهها، وطالب بإخبارها بكل شيء!

«**كنتِ تتحادثين مع من..؟!**»، قال ياسر بغضب.

تلعثمت عبير، واضطربت، ولم تقوَ على الحديث!

«**قلت أخبريني.. أخبريني بسرعة**»

لم تزد عبير، على أنها دخلت في نوبة بكاء جديدة!

أراد ياسر أن يبطش بها، قلبه امتلأ غيظاً وكرهاً، تمنى أن يسحقها تحت قدميه، لقد فتح لها قلبه، لقد وثق بها.. وها هي تخونه بكل سهولة!

«**أيتها الخائنة...!**»

فَهِم القصة إذاً، فَهِم كيف استطاع المجمع كشف اختبائه في المستشفى، وكيف استطاعوا تتبع أثره في كل مرة!

رن هاتفه النقال، فقفز قلبه من مكانه..

رقمٌ غريب، من يكون المتصل؟!

فلا يعرف رقمه أحد، الشريحة جديدة، ومسبقة الدفع، ولا تحوي أية معلومات عنه!

ردّ على الاتصال، فسمع صوت ضحكات مجلجلة: «**يبدو أنك كنت**

**أشجع مما نظن، لم نكن نتوقع أنك سترد**»، قال المتصل، كان يتحدث الإنكليزية بلكنة أهلها، صوته أجش ويبعث على الخوف.

«**من أنت.. وماذا تريد؟**»، قال ياسر.

«**لا أريد شيئاً على الإطلاق..**»، كان يضحك بشماتة، ثم أضاف: «**أريدك فقط أن تتعاون معي، سأصحبك إلى توماس، ونُسوِّي كل الأمور العالقة، ومن ثم..**».

قطع ياسر الاتصال، وقد تملّكه رعبٌ رهيب، لم يشعر به قط في حياته، إلى الحد الذي لم تقوَ قدماه على حمله، ارتمى على الأرض، أحس بموجة إحباط شديدة، هل حانت نهايته؟ هل سيَقضي ما تبقّى من حياته في السجن؟ هل من أملٍ للخلاص؟

حدّث نفسه: «**كيف عرفوا رقمي الجديد؟! لم أستخدمه سوى مرة! مرة واحدة فقط! اتصلتُ بسامح؟! ماذا؟! سامح؟! هل يمكن أن يفعلها؟!**»، أحس برعشة خوف رهيبة.

توالت الاتصالات من الرقم نفسه، إلا أن ياسر لم يتجرأ على الرد.

أجرى ياسر مكالمة هاتفية سريعة، استخدم هاتف الغرفة، وقد عزمَ على أمره!

كان سامح يستمع بفضول إلى مهاتفة ياسر، كان صوته خافتاً، لم يستطع سماع سوى رجاءاته، وتوسلاته، لا يدري لماذا يفعل ذلك، ولا لمن يقدم هذا الرجاء!

إلا أنه أدرك أن القصة لم تنتهِ بعد، وعليه الانتظار، وليس غير الانتظار!

وليس بعيداً عن مدخل الفندق، كان **وليام بول** يُصبّر نفسه العجولة،

لا يريد أن يتخذ قراراً قد يفسد الأمر برمّته، دوماً ما يستحضر أمرين مهمين؛ ألا يشهد العملية أي أحد، وأن لا يثير انتباه الشرطة المحلية. . ستصعِّب هذه الأهداف من مهامه كثيراً، إلا أنها الطريقة المثلى لضمان نجاحه.

استبشر **وليام** وهو يتلقى الخبر السعيد من أحد رجاله، سيسارع بإيصاله إلى توماس، فقد كان مهتماً به بشكل كبير.

حيث. . تمكّن رجاله من تدارك **تركي الصالح** قبل أن يصل إلى الشرطة، ويقوم بالوشاية بهم، فقد كان حدس وليام صائباً. . حين أمر اثنين من رجاله بمراقبته جيداً بعد إطلاق سراحه من المجمع، فما فعلوه به قد يجبره على الانتقام.

تنفّس وليام بعمق، وجال ببصره في السماء، يحس بثقة كبيرة جداً بنفسه، ويوقن أنه لا يمكن أن يخفق أبداً.

اتصل بتوماس. . ليخبره بانتهاء أمر تركي الصالح بالكلية!

## ٤٢

«المضحك في الأمر أن ليبراليّينا ومثقّفينا يَبدون مرتبكين، متشبّثين بالنظرة الإقصائية نفسها، يمارسونها من دون حياء، ويتلذذون في احتكار الرأي، والرغبة في قيادة الأمة في اتجاه واحد.

مشكلتنا أننا نطالب «الإسلاميين» بقبول التنوع والاختلاف، ونصادر حقهم في أن يختلفوا عنا!

يؤلمني هذا التسطيح والتطبيل والنفاق الممجوج (من قبل الليبراليين)!»

**عبد العزيز الخميس**
**رئيس تحرير مجلة المجلة سابقاً، بتصرف**

داهمت فرقةٌ عسكرية خاصة «فندقَ الخليج»، كانت مكونة من سيارتَي شرطة، وقرابة سبعة أفراد، يتقدمهم ضابط برتبة نقيب، كُتب على صدره اسم «**زياد محمد العابدي**»، ويعلو كتفيه ثلاث نجوم يلمع بريقها، أمر اثنين من الأفراد أن يؤمِّنا مدخل الفندق، وثالثاً بأن يشلّ حركة موظفي الاستقبال، ويمنع إجراء أية مكالمة، أما البقية.. فعليهم اللحاق به، والتوجه نحو الدور السادس، وبالتحديد نحو غرفة ٦١٨!

كانت أسلحتهم مشهرة، تأهباً لأي طارئ، طرق النقيب زياد الباب، عرّف بنفسه، وأمرهم بتسليم أنفسهم بكل هدوء، والبعد عن أي مقاومة، أزال ياسر «الأمان» من على الباب، وفتحه على الفور، كان الجميع في حالة ارتباك وذهول تام، انطلقت مجموعة من رجال الشرطة وقبضوا على ياسر وسامح، ومن ثم عبير التي كان نشيجها يملأ المكان.

كان الجنود يعاملونهم بحزم، أحدهم.. ركل ياسر بعنف، كان عصيّاً عليهم!

اقتادوهم صوب سيارتهم، المعدَّة خصيصاً للمداهمات، والمؤمّنة بشبك حديدي..

ومن ثم.. غادروا المكان سريعاً!

كان **وليام بول** يتابع المشهد ببلاهة، هي من المرات القلائل التي لا يستطيع فيها اتخاذ أي قرار، دارت عيناه اندهاشاً مما يحدث!

«**أشكرك يا زياد.. لقد أنقذتَ حياتنا**»، قال ياسر مُحادثاً صديقه الحميم؛ النقيب زياد العابدي.

«**ولكن.. لم أفهم لماذا كل هذا، أرجو أن تخبرني!**»، رد زياد.

«**سأخبرك لاحقاً بكل التفاصيل، لا بد أن أتجه للرياض الآن، أنا في ورطة، أرجو أن تتكتم على الأمر، أنا مدين لك بالفعل، ولن أنسى صنيعك أبداً**»، قال ياسر.

طلب ياسر من النقيب زياد أن يُطلق سراحه في مكان لا يراه فيه أحد، فمن المؤكد أن رجال المجمع سيتبعون رجال الشرطة، وسيكشفون خطته.

كان **النقيب زياد** يدرك خطورة ما قام بفعله، وأنه قد يجر عليه عدداً من المتاعب، وربما الاستجوابات، إلا أنه اختار ثلة من خُلّص رجاله، وأخبرهم أنه يريدهم في مداهمة خاصة، وأخفى عنهم أية تفاصيل أخرى، إضافة إلى أنه اصطحب ياسر والبقية معه في سيارته التي جاء بها، برفقة أحد جنوده فقط الذي استطاع بكل سهولة أن يبعده عن طريقه لاحقاً.

تمنّى أن يمر الأمر بسلام!

قرر ياسر أن يهرب بمفرده إلى الرياض، استعار سيارة النقيب زياد الشخصية، كانت من إنتاج شركة جنرال موتورز، **كابريس.. سوداء اللون**، سيبقى وحيداً، فذلك أسهل في التنقل، وأبعد عن الخيانات!

توجه ياسر بحديثه إلى سامح: «**سأغادر الآن، وسأتصل بك لاحقاً، سأقوم بتغيير شريحتي، فقد اكتشفوا رقمها من جديد**»، تنبه ياسر لوجود عبير، غفل عنها طوال الفترة الماضية، لم يكن مشغولاً سوى بنفسه، ثم أردف: «**لا تنسَ أن تتخلص من هذه الخائنة، اطردها، أو ألقها في الشارع، فلم يعد لوجودها أهمية هنا، وإن شئت.. فاقتلها بهدوء**»

تدخل النقيب زياد مستغرباً: «**لا يمكنك قتلها، ماذا اقترفت لتفعل بها كل ذلك؟!**»

«**سأخبرك بكل شيء لاحقاً يا صديقي**»، قال ياسر.

نظر إليها ياسر باحتقار وهي تبكي خوفاً وجزعاً، وقال لسامح: «**عموماً.. إن لم يطاوعك قلبك على قتلها، فيمكنك بكل بساطة أن تختار صورةً رائعة لها، ومن ثم ترسلها لأحد أفراد أسرتها**»

شهقت عبير، محاولة أن تتوسل إليه، وترجوه، إلا أنها لم تستطع.

أضاف ياسر: «**وهذا.. جزاء الخونة!**»

## ٤٣

«رأيتُ واحداً من «الليبراليين السعوديين» في الكويت **(وهو ت. ح.)**.. يقدم ورقة بحثية.. يصف بها الليبرالية بأنها: **احتساء الخمرة والمضاربة بعد ذلك**، وكان هذا يوماً مشهوداً في ندوة هناك، وكانت فضيحة كبرى لهذا الذي يقولون عنه عندنا بأنه مفكر وليبرالي وروائي.. كمان!»

**د. عبد الله الغذامي**
**حوار مع موقع الساخر، بتصرف**

تنبّه ياسر لوجود **رسالة صوتية** وردت هاتفه، كانت من (مستر راجي)، انقبض قلبه، ماذا يحمل له من مفاجآت؟

**«ياسر.. ياسر.. خبر جديد، وحساس، للتو وصلني.. تخلّصْ من جهاز توماس المحمول، تخلص منه بسرعة، به شريحة تتبع، أكرر به شريحة تتبع، لقد حددوا مكانك باستخدامها!**

**أيضاً.. لا بد أن تنفصل عن عبير، فهاتفها مُراقب، لا أدري لماذا تصر على اصطحابها معك!!**

**ياسر، اتصل بي من شريحة أخرى، على هاتفي الآخر.. للأهمية القصوى»**.

نظر ياسر إلى الجهاز المحمول الذي بجواره، اتسعت عيناه، وغفل عن كل ما يدور حوله!

أحس برغبة ملحّة في البكاء، والصعود إلى السماء، تزايدت دقات قلبه، ماذا يفعل؟ لا يمكن أن يتخلص من هذا المحمول بهذه السهولة!

فهو ورقته الأخيرة، وكنزه الثمين، وشاهد الإثبات الوحيد!

وفي الوقت نفسه.. لا يمكن أن يبقيه معه!

اتصل على الفور بسامح، يحتاجه ليساعده في التخلص من هذه الشريحة، ربما هي المرة الأخيرة التي سيستدعيه فيها، طلب منه أن يأتي سريعاً، لا يمكن أن يبقى في مكان واحد لمدة طويلة، دلّه على المكان الذي سيواجهه فيه، طلب أن يُحضر الأدوات اللازمة لفك أجزاء الجهاز المحمول، أخبره القصة باختصار، ألحّ عليه بالإسراع، قبل أن يتم تحديد مكانه، لا بد أن يتخلص من شريحة التتبع، لا بد أن يفعل ذلك مهما كلّفه الأمر.

بعد أن تذكر.. شعر ياسر بالندم!

لقد اتهم عبيره بالخيانة، وأساء إليها، وعنّفها!

فكّر؛ هل يُطيق قلبها الغض مثل هذه الإساءة؟ تمنى لو كان في حال أفضل، سيقوم بالاعتذار لها، وإهدائها ما تشاء حتى ترضى، إلا أنه الآن يفكر في أمر أكثر خطورة، كيف يمكنه أن ينجو بنفسه، ويتخلص من بطش توماس والبقية؟!

**«أنا ياسر، وردتني رسالتك الصوتية، وقد...»**

قاطعه راجي، كان منفعلاً جداً، وفاقداً لأعصابه: **« تباً لك.. حماقاتك ستوقعني في عدة مشاكل، اسمع كلامي جيداً يا ياسر، سأتوقف عن إمدادك بأية معلومات جديدة، فالأمر قد أصبح أكثر خطورة، إضافة.. إلى أنك لم تسلمني المبلغ المتفق عليه حتى الآن»**

**«أرجوك.. حاول أن تفهم موقفي، فأنا مطارد، وفي أية لحظة قد..»**، قال ياسر.

**«لا يهمني أمرك، إذا لم أستلم المبلغ كاملاً هذه الليلة، سيكون هذا آخر اتصال بيننا»**، قال راجي.

قال ياسر متردداً: **«حسناً.. حسناً.. سأحاول عمل المستحيل، سأجعل أحدهم يوصل المبلغ لك.. بالتأكيد، فقط انتظر اتصالاً قريباً»**

سمع ياسر.. رنة قطع الاتصال!

فكّر، وقدّر.. لا بد أن يستعين بأحد أصدقائه، ويطلب منه أن يوصل له المبلغ في أسرع فرصة، وإلا ضاع كل شيء!

هذا الجشع المستغلّ!

تمنى لو يسحقه تحت قدميه!

أدرك ياسر.. بأن الأمور صارت أكثر تعقيداً، ووصلت إلى طريق شبه مسدود!

أُسقط في يدَي توماس.. عندما أخبروه باسم الشخص الذي كان يقوم بخيانتهم **من داخل المجمع**، ويقوم بتسهيل مهام ياسر!

لقد اكتشفوا سر «مستر راجي» رغم أنه جاهد لإخفائه، واتبع العديد من الخطط التمويهية لتنفيذ خيانته!

أصدر توماس أوامره باعتقاله فوراً، وإحضاره له، سيعرف كيف يتعامل معه بأسلوب «حضاري»!

ذلك الجاحد لربيب نعمته!

تأمل توماس ملياً!

**إلا أن مستر راجي..**

قد حزم أمتعته بالفعل، واختفى عن الأنظار!

سيقبض المبلغ من ياسر خلال الساعات القادمة، سيقبض مبلغاً لا بأس به، ومن ثم سيغادر إلى خارج البلاد، كان قد أصدر تذكرة سفر، وترك كل شيء خلفه، طائرته ستقلع بعد عشر ساعات، سيترك الجميع في غليان شديد، واضطراب هائج، عليه أن يَهرب قبل أن يُكتشف أمره، سيسافر إلى مسقط رأسه، لديه مال يكفيه ما تبقى من عمره، بل ربما يكفيه لإنشاء مؤسسة صغيرة تحمل اسمه!

## ٤٤

«**أنا وأزواجى الأربعة:**

رحتُ أطالب مرة بحقي فى **تعدد الأزواج** أسوة بحقه فى **تعدد الزوجات.** استنكرها، النساء قبل الرجال!

قالوا إنك لن تتمكني كامرأة من الجمع جسدياً بين عدة رجال، قلت لهم الزوجة التي تخون وبائعة الهوى تفعلان أكثر، **(بلى أستطيع) (!!)**

أما عن النسب فتحليل الحمض النووي **DNA** سيحل المسألة.

بعد فترة لم يعد تفكيرى منحصراً فى تقليد الرجل أو منعه من التعدد، **صار تفكيراً حقيقياً فى التعددية**، التي نخجل نحن النساء من التصريح عن رأينا الداخلي بها.

يقول الرجال: يصيبنا الملل، تغدو كأختي، لا أميل لها جنسياً مثل بداية زواجنا!

إمّا التعدد لنا أجمعين أو محاولة البدء برسم خارطة جديدة للزواج.. تحل أزمة الملل وحجة الرجل الأبدية. وحتى ذلك الوقت يبقى سؤال مطروحاً: **ما الحل إن أصابني الملل من جسده أو شعرت أنه أخي؟**

فليسمحوا لنا نحن النساء أن نتزوج من أكثر من رجل؟!. فالمرأة عموماً هي التي تحتاج إلى «الدلال» وحين تتزوج أربعة رجال، فإنها تحصل على الدلال الذي تريده (!!)»

**نادين البدير**

**المصري اليوم، وصحيفة إيلاف، بتصرف**

تلقّى راجي اتصالاً آخر، يؤكد فيه الوسيط اسم الفندق الذي سيقابله فيه، ورقم الغرفة، طلب منه أن يقوم بأخذ المفتاح من موظف الاستقبال في الفندق، فقد رتب كل الأمور.

تأكد من هندامه لدى دخوله الفندق، عدَّل من هيئته، وارتدى ملابس فضفاضة، أمامه سفر طويل، ولا بد من التهيؤ لذلك.

سيقبض أتعابه الآن، مبلغ يستحق المغامرة، إلا أنه تمنى لو يؤجل سفره؛ فكر في ابتزاز ياسر بمبالغ أخرى!

استلم المفتاح من موظف الاستقبال، وتوجه نحو الغرفة المحددة.

وأثناء خروجه من المصعد، رن هاتفه.. كان ياسر يتصل به: «**ماذا يريد هذا الأحمق، هل غير رأيه فجأة؟! لن أسامحه إن فعل!**»، حدث نفسه.

قال راجي بهدوء: «**نعم.. ماذا تريد؟!**»

«**مرحباً صديقي، أرجو أن تكون في أفضل حال؟**»، قال ياسر.

«**ماذا تريد أن تقول؟ بسرعة.. ليس لدي وقت!**»، رد راجي بجفاء.

«**يبدو أنك معكَّر المزاج.. أنا فقط اتصلت بك لأخبرك بأني وفيت بوعدي، سوف أقوم بإعطائك أتعابك كاملة هذه الليلة كما وعدتك، ولكن.. ما هي طريقة التسليم التي تراها مناسبة؟!**»، قال ياسر.

تعجب راجي، عن ماذا يتحدث هذا الأحمق؟!

هل هو في وعيه أم لا؟!

لقد انتهى من كل هذه الترتيبات! فقد اتصل به الوسيط الذي عيَّنه، واتفقا على استلام المبلغ من الغرفة التي أمامه، لم يعد يفصله عنها سوى عدة خطوات!

**«أنا لا أفهم بالضبط ما تريد أن تقول؟»**، ردَّ راجي بانزعاج!

**«لن تفهم أيها الأحمق الخائن، لأنه انتهى أمرك للأبد!»**

اِلتفتَ راجي لمصدر الصوت الذي جاء من خلفه، رأى رجلاً ضخماً، موحشاً، يُشهر مسدسه في وجهه، يعرفه حق المعرفة..!

إنه أحد موظفي الأمن في المجمع الثقافي!

أمره على الفور بإغلاق الهاتف، والدخول إلى الغرفة بكل هدوء!

**«ألو.. ألو.. أين ذهبتَ..»**، قال ياسر، قبل أن يستمع لطرفٍ من المحادثة التي دارت بين مستر راجي والرجل الآخر، سمع صوت حشرجةٍ باكية، وتوسلات يائسة، استنتج أن **«مستر راجي»** قد افتضح أمره، وانتهت قصته إلى الأبد، فمن المؤكد أن رجال المجمع الثقافي كانوا يتنصّتون على مكالماتهما، وعلموا بعزمه على تسليم المبلغ المالي لمستر راجي، خمّن ياسر أن أحد رجال المجمع اتصل بمستر راجي، وادعى أنه الوسيط من طرف ياسر!

وهكذا قاده إلى حيث حتفه، وأوقع به بكل سهولة؛ فكّر ياسر!

قام ياسر على الفور بقطع الاتصال، وتخلّص من شريحته اللعينة، شعر بأن آخر حباله المتصلة بالمجمع.. قد قُطعت بالفعل!

**«سيدي وليام بول.. إن الرجل المهم الذي كانوا يَخلعون عليه ألقاب التفخيم والتعظيم، ويلقبونه بـ «مستر راجي»، ليس سوى السكرتير الحقير «كريست راجي».. لقد أمرني سيدي توماس أن أتوجه إليه مباشرة، لذا لم أجد فرصة لإخبارك، سيدي.. إنه تحت رحمتي الآن، أين تريد الرصاصة بالضبط؟ في مؤخرة رأسه؟ في أذنه؟ أو حتى إن رغبت سأدخلها باحتراف عن طريق أنفه»**، قالها ضاحكاً.

**«لا تقتلني أرجوك.. ستقع في ملاحقات قانونية.. أرجوك»**، قال كريست راجي؛ سكرتير توماس الشخصي!

علت ضحكاته، أبعد الهاتف عن أذنه، وتوجه إليه بحديث شامت: **«أين تظن نفسك أيها الذكي؟ سأقتلك بكل سهولة، ولن يسمع بك أحد، أو ربما.. لست أدري، يمكن أن أجعل الأمر كأنه انتحار، فكرة جيدة، لدي العديد من الخيارات»**، علت ضحكاته واستعدّ لفعل فعلته..

...، لن يقتله الآن، ولكنه سيمارس معه لعبة مسلية جداً!

## ٤٥

«في أحد الأسواق شاهدت كاتباً يومياً شهيراً من دعاة تحرير المرأة، لا تمر مناسبة دون أن يدعو المرأة الى التمرد على قيود المجتمع مظهَراً و مسلَكاً، ما أدهشني فعلاً أن زوجته التي كانت برفقته تضع عباءتها على رأسها مع الغطاء الكامل لوجهها بل وكفيها!

بعد سلام سريع لم تشارك فيه بالطبع أم العيال قلت في نفسي: **سبحان الله هو إذاً كفاح لتحرير «نساء الغير»!!**

وتكرر المشهد بعد أسبوع واحد مع أحد عتاة الليبراليين الذين لا يفهمون من الليبرالية سوى ما يتعلق بتحرير المرأة، فهذه امرأته تلتحف بالسواد من أعلى رأسها حتى أخمص قدميها و تمشي خلفه (..)!!»

**خالد السليمان**

**عكاظ، العدد: ٢١٦٩**

وصل ياسر إلى المكان المتفق عليه..

من المفترض أن يصل سامح بعد قليل، تمنى من كل قلبه ألا يتأخر، فمحمول توماس بين يديه، وشريحةُ التعقب ستكشفه في أي لحظة، جاهد لإخفاء معالم وجهه، لن يعرفه أحد بالتأكيد، خصوصاً أنه يقود سيارة النقيب زياد، ويغير مكانه باستمرار، إلا أن ما أشغله هو بعض خيالاته المخيفة، ماذا لو ضل سامح طريقه؟ أو لم يتذكر هذه السيارة التي يستقلها؟ فهو لا يملك أية وسيلة للاتصال، بعد أن تخلص من شريحته الأخيرة التي كانت بحوزته!

دعا الله كثيراً أن يتمم الأمر كما أراد.

**وفجأة.. تجمّد كل شيء يتحرك في جسد ياسر..**

وأحس بثقل غريب على صدره، بالكاد كان يتم عملية تنفسه، صدره يهبط نحو الأرض، السماء من فوقه، تبدو أصغر من المعتاد، الأوكسجين.. يشحّ، ضيقٌ شديد..

أحدهم.. كان يضع قدمه على أضلاع ياسر بشكل مباشر، حركته شُلّت تماماً، أصبح عاجزاً، لا يقوى على شيء.

لم يكن ياسر يفهم شيئاً، عيناه في أشد حالاتهما دهشةً واتساعاً، تمّ الأمر سريعاً، وفي حين غفلة من أمره، لم يسعفه الوقت ليصرخ، أو ليستنجد بأحد!

ركز نظره صوب «الرجال الثلاثة» الذين يحدقون فيه الآن..

كانت ملامح النصر، والشماتة تعلوهم.

«**انتـ..**»

«**انتهى..**»

«**انتهى أمري..**»، قالت روح ياسر!

## ٤٦

**«السادة أعضاء حزب أمريكا في العالم العربي..**

لقد جئتكم من أمريكا بخبر يقين، وبنصيحة صادقة، أن لا تتحمسوا كثيراً للوعد الأمريكي، وأن تحافظوا على كل أسباب الوطنية والانتماء، فلا تفقدوا الأمل في إصلاح حقيقي ينبعث من داخلكم، فالأمريكيون غير مستعدين لتدخل حقيقي في المنطقة! فلا توجد لديهم خطط مفصلة لنشر ما بشروا به من ديمقراطية وثقافة ورخاء في عالمنا، إنهم متخوفون أن يؤدي تدخل سافر منهم إلى نتيجة عكسية!»

**جمال خاشقجي**
**صحيفة الوطن، العدد: ١٢٢٩**

كان ياسر يجاهد ليبقى في وعيه، الحِمل الذي على صدره أثقله، سيختنق، سيودع الحياة قبل أن ينتقموا منه!

دُهشتْ روح ياسر، كادت أن ترحل من مكانها، ترى ما لا طاقة لها باحتماله، رأت النقيب زياد، كان أحد الرجال الثلاثة، ضحكاته تملأ المكان، وبجواره شخصان من رجال المجمع الثقافي، يعرفهم حق المعرفة!

«**كيف وثقتَ بي أيها الأبله السخيف؟! لقد قدّمتَ لتوماس أكبر خدمة في حياته.. حين اتصلتَ بي مستنجداً**»، قال النقيب زياد، كان يضحك بتشفٍّ!

لم تكن روح ياسر لتصدق ذلك، فهي تعرف روح زياد، ليست تلك التي تخون، أو تنسى العهود!

ما الذي حلّ بالناس من حوله؟! فكّرت روحه.

أضاف النقيب زياد قائلاً بلغة مستفزّة: «**أظنك في شوق لزيارة صديقك السجين، تعرفه بلا شك! ستطول زيارتك هذه المرة، هذا إن خرجت، فتهمتك من النوع الثقيل.. الثقيل جداً**»

لم يكن ياسر يقوى على الحديث، في حلْقه ألف كلمة استجداء، ألجمته المفاجأة، والدهشة.. والخيانة!

اِلتفتَ الجميع إلى الخلف!

سامح.. يقترب من الرجال الثلاثة!

تعلقت عينا ياسر به، هو رجاؤه الأخير، ولا أحد سواه، هو ما تبقّى له في هذه الحياة!

هتف سامح من بعيد، ضاحكاً وشامتاً: «**هذا جزاؤك أيها الخائن.. أيها التافه.. أيها الحقير!**»، قال سامح!

لا يصدِّق ياسر شيئاً مما يراه!

وقْعُ كلماته يرنّ في أذنيه باستمرار..

ما الذي يحدث؟!

هل كان يعيش في غابة من الجواسيس، وهو لا يعلم؟!

هل تم استغلاله باحتراف، ليتم كشف بقية المتعاونين معه؟!

انضم سامح إلى الرجال الثلاثة، صافحهم بحرارة، وهنأهم على نجاح العملية، وطلب سرعة الاتصال بتوماس، فهو على جمر من الأشواق، تجادلوا.. كلهم يريد زفّ الخبر إليه، سيكون الأسعد في حياته كلها.

قال سامح مخاطباً ياسر: «**لستُ على درجة كبيرة من الغباء والسذاجة كما كنتَ تتصورني، يا لغبائك أيها الكاتب الشهير، صديق الطفولة الحمقاء!**»، كانت ملامح سامح تشعّ حقداً وكراهية، أضاف: «**كل مقاطعك الجميلة مع فتاتك الصغيرة.. عبير، ستُزين جنبات الإنترنت الساعة التاسعة مساءً، وقتاً ممتعاً لكل الملايين! سنرسل صورة خاصة لزوجتك، وعائلتك الكريمة!**»

كل الآمال.. انقطعت عن ياسر، لم يعد يتذكّر أي أحد، حتى تاريخه المظلم لم يستطع استعراضه، اسودّت الدنيا أمامه، تمنى أن ينزل عليه الموت فجأة، أو أن يريحه أحدهم بدق عنقه!

سئم الحياة، ما عاد لها أي معنى، فقد دمّرها بيديه، أضاع دينه، ودنياه، ولطّخ عِرضه..

السجن هناك ينتظره..

والفضيحة!

وتشرّد الأسرة، والتواري عن الأنظار، و...!

وماذا يبقى بعدُ؟!

كان يركز ناظريه على **سامح!**

رآه قادماً إليه، بعد أن شاور الرجال الثلاثة في أمره، لم يستطع أن يلتقط ما قاله لهم، إلا أنه استنتج رغبته في لطمه على وجهه، شفاءً، وتنفيساً عما في صدره!

هل قال سامح ذلك؟ أم إنه كان يتوهم؟

اقترب سامح منه أكثر، صار بمحاذاته، أغمض ياسر عينيه، متأهباً لاستقبال ما سيأتي، كان يشعر أنه في جو ضبابي، انعدمت فيه الرؤية، وتداخلت الأشياء في بعض..

الضربةُ الأولى.. تُفجِّر رأسه..

تلتها الثانية..

ثم.. الثالثة..

لم يحسّ بأية آلام!

فلم تكن ضربات سامح موجهة إلى خده!

بل كانت ضرباته تتوالى على..

على نافذة السيارة!

...، كان سامح يحاول «**إيقاظ**» ياسر من غفوته، استغرب منه أن ينام في مثل هذا الوقت، وبهذه الوضعية الصعبة! كان عنقه يتدلى على صدره، ويتمايل باضطرابٍ إلى الجهة اليسرى.

«**غريبُ الأطوار بالفعل!**»، قال سامح.

لكن لا بد أن يعذره، فهو لم يذق النوم جيداً خلال الأيام الماضية!

شهق قلب ياسر، وأخرج صرخة مكتومة في داخله، تراجع سامح للوراء، لم يكن يعلم أنه أخافه لهذا الحد، يبدو وجهه متعرقاً بشكل ملفت، رغم أنه كان نائماً داخل سيارته المكيفة، ولا يظهر عليه آثار عمل مُجِهد!

«**الساعة التاسعة، توماس.. النقيب زياد.. لا تقتلوني.. لا تفضحوني.. أرجوكم!**»، قال ياسر بهياج واضطراب!

رقّ له سامح، كابوسٌ مخيف، وضغطٌ نفسي رهيب؛ فهم القصة، إلا أنه لا مجال للتأخر أكثر: «**ياسر.. ياسر.. هيا بسرعة، لا بد من تفكيك الجهاز الآن، سيصلون في أي لحظة!**»

تلفّت ياسر في كل مكان، عيناه تزوغان، يده تتلمس صدره، لا يحسّ بأي ألم!

استنشق بعمق!

بدأت تهدأ نفسه، لقد كان حلماً مزعجاً للغاية، نظر إلى وجه سامح، تأمله ببلاهة، حمد الله، لم يخنه صديقه، بل جاء لمساعدته، بدأت ذاكرته تعود إليه تدريجياً، تذكر أنه استدعى سامح لتفكيك الجهاز، واستخراج شريحة التتبع!

على الفور.. نظر إلى ساعته، يبدو أن أغفى عشر دقائق لا غير!

إلا أنها كانت من أشد اللحظات رعباً في حياته!

ربما.. الأشد على الإطلاق!

«**ماذا تقصد بالساعة التاسعة؟!**»، قال سامح مستغرباً!

«**لا.. لا شيء، فقط.. كابوس مرعب، الحمد لله، هيا.. هيا نتخلص من شريحتهم اللعينة!**»، قال ياسر.

## ٤٧

«الأيديولوجيا الليبرالية هي «موضة العصر»، وككل الموضات المسيطرة على الأذواق والأفهام؛ يصعب ـ في لحظة بروزها وانتشاء الناس بها ـ نقدها أو إقناع المتشبثين بها باختلالها!

ويكفي توكيداً لموقفي التذكير بلحظة الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، حيث كانت الأيديولوجية «الاشتراكية» موضة فكرية، وكان كثير من أهل الفكر السياسي يحسبها أرقى نظام مجتمعي!

حتى إن أحد المفكرين الإسلاميين (مصطفى السباعي) كتب في زمن الموضة الاشتراكية كتابه **اشتراكية الإسلام!**»

**د. الطيب أبو عزة ـ نقد الليبرالية**

تلقى **وليام بول** تأنيباً عنيفاً من توماس، هدده إن لم ينجح في هذه العملية. . فسيكون رأسه الثمن!

كانت الأوامر أكثر جدية، طُلب منه القضاء على ياسر بأي طريقة كانت. . حتى لو استدعى الأمر استخدام السلاح!

كان فريق التحري على صلة مباشرة مع وليام، اقترحوا عليه عدداً من الأفكار للقضاء على ياسر، إلا أن وليام لم يقتنع بأي منها، فلديه خطة جاهزة للتطبيق الآن. . ويراهن على نجاحها!

الساعة الثانية بعد منتصف الليل، كان الوقت ملائماً جداً لتنفيذ العملية، بعيداً عن الازدحام المروري، وأعين الفضوليين، شعر وليام بثقة أكبر هذه المرة، كان يتابع «**الكابريس السوداء**» التي استعارها ياسر من النقيب زياد، ستخرج بعد قليل من مدينة الخبر، في طريقها إلى الظهران أو الدمام، كان يتبعها في حذر، ينتظر اللحظة المناسبة لتنفيذ خطته.

ضحك قلب وليام، ستكون هذه الدقيقة الأخيرة في حياة ياسر؛ لا شك في ذلك!

بعد أن تأكد وليام من خلو الطريق من أي أحد، قرر أن اللعبة قد بدأت بالفعل، اقترب وليام بسيارته من الهدف، كانا يسيران بسرعة تتجاوز ١٢٠كلم/س، سلك الطريق الأيسر، متأهباً لتجاوز **السيارة السوداء** التي أمامه، جاهد وليام لمنع فضول عينيه، ليس وقتاً مناسباً للتحديق في ياسر، أو إثارة انتباهه!

يريد أن يُجهز عليه قبل أن يحسّ بوجوده.

تظاهر وليام بأنه يُحادث أحدهم بهاتفه النقال، حتى أصبح في

محاذاته تماماً، زاد من سرعته قليلاً؛ حتى اجتازه، وانعطف جهة اليمين، وأصبح أمامه بالضبط.

ثم..

ثم ضغط بقوة على الكوابح، بعد أن شد جذعه، تأهباً لاستقبال الارتطام المتوقع به!

شاهد سيارةَ ياسر تتهاوى جهة اليمين، وتفقد اتزانها، ومن ثم ترتطم بأحد الحواجز الخرسانية بعنف، قبل أن «تنقلب» عدة مرات!

تمنى من كل قلبه أن تتحطم بالكامل، أو أن تحترق، أو حتى.. أن تبتلعها الأرض!

انعطف وليام ثانية، وخالف السيرَ عائداً صوب ضحيته، سيتأكد من موته بشكل كامل، وإذا لزم الأمر فسيدقُّ عنقه، ويُفرح قلبه إلى الأبد.

**استطاع وليام بعد لأيٍ أن يجد جهاز توماس المحمول،** ظلام الليل صعّب من مهمته، وجَده بين الركام، سارع بحمله، ستحترق السيارة قريباً، يشمّ رائحة احتراق مركّزة، ياسر متكوِّرٌ بين الركام، لا بد أن يتأكد من موته بشكل كامل، لن يغادر حتى يتأكد من ذلك، تحسس سلاحه الأبيض، ربما سيحتاج إليه، ليُنهي هذه المغامرة المثيرة، والممتعة، والأطول في حياته كلها.

قفز **وليام** من مكانه..

وتراجع إلى الخلف بشكل سريع..

فقد بدأت النيران تشتعل في السيارة بشكل سريع، وستنفجر الآن لا محالة..

وبالفعل.. لم تمض ثوانٍ معدودة، حتى علا صوت فقرقعات مخيفة، ثم...!

ثم.. انفجرت السيارة بمن فيها، وشرعت في التهام كل شيء بداخلها!

ابتهج وليام لهذا المنظر، يرى جثة ياسر تأكلها النيران، بدأ يشم رائحة مميزة، يحس بنشوة خاصة تغمر جسده كله، رائحة شواء شهية، جسد ياسر يحترق، ويواجه قدره المحتوم، في كل يوم تكبر أحقاد وليام، وتنمو؛ يشعر بذلك، إلا أنه لم يكترث كثيراً!

**قام بالتقاط عدة «صور توثيقية» لمهمته،** مقزِّزةً كانت، أرسلها على الفور إلى هاتف توماس، فبرغم بشاعتها.. إلا أنه أيقن أنها ستُدخل السرور إلى قلبه.

لاحظ أحدَ المارة قادماً في ذهول، وفي يده أُسطوانة صغيرة، محاولاً إطفاء النيران، ضحك في نفسه، فماذا ستصنع هذه الأسطوانة الآن، فقد فارق ياسر الحياة بالفعل، والنيران شرعت في التهام جسده اللعين، وسيستحيل رماداً بعد دقائق؛ فكّر وليام!

لم يستطع **وليام** إخفاء ابتسامته؛ حينما شاهد أحدهم يمر بجوار السيارة التي تحترق، كانت ردة فعله مضحكة للغاية، فقد فرّ بسيارته جزعاً، وكاد أن يصطدم بالحاجز المروري!

يبدو أن مشهداً بشعاً كهذا، وفي الهزيع الأخير من الليل.. جدير بأن يُفزع كل المتطفلين!

## ٤٨

«. . .، ولكن مسألة أن قائداً عثمانياً يقبل نقوداً من دولة أجنبية لم يكن عملاً يستهان به!

وقفت طويلاً أمام هذه المسألة باهتمام!»

**السلطان عبد الحميد ـ مذكراته**

كان **توماس هول** فخوراً بنجاح العملية، وانتهاء هذا الكابوس، الذي شتّت فكره، وأرقّه كثيراً، وجعله ينصرف عن مهمته الأساسية التي قَدم لأجلها، إلا أنه بقي أمرٌ واحد لتمام هذه العملية؛ وهو ألا ينتبه أحد إلى أن مقتل ياسر تم بفعل فاعل، بل لا بد أن يسير الأمر كأنه حادث عَرَضي، **لذا أرسل توماس أحد (مندوبيه) ليتابع الإجراءات عن قرب**، ويلحق بجثة ياسر في المستشفى، ويطلع على جميع التفاصيل الصغيرة.

طلب توماس من الجميع انتظاره في غرفة الاجتماعات، فسينضم إليهم حال وصول وليام، فكر أن يكافئه هذه المرة بسخاء، سيعطيه مبلغاً من المال.. ربما لم يحلم به في حياته، فقد قدم له خدمة لا يمكن أن ينساها أبداً.

تهامس الجميع بوصول وليام، كان في استقباله توماس، استقبلوه كما الأبطال، لم يكترث أحدٌ لمنظره الأغبر، ولا إلى رائحة الاحتراق التي جلبها معه!

**كانت كل الأعين معلّقة في يده اليسرى التي كانت تحمل «حاسب توماس»!**

تلاقت عيناهما..

كانت عينَا وليام تتحدثان نصراً، وفخراً، ناوله حاسبه المحمول، وكأنه يقول.. لقد أنهيتُ مهمتي باقتدار.

لم يتحدث توماس، عقدت البهجة كل حديث، كانت ابتسامته تملأ المكان، اصطحب وليام إلى غرفة الاجتماعات، ليعلن انتهاء العملية، وليقوم بشكر «بطل» المجمع الثقافي أمام الملأ.

أخذ كلٌ منهم مقعده، جلس وليام بالقرب من توماس، أدناه هذه

المرة، لم يعامله كأجيرِ قتل، بل اعتبره صديقَ مهنة، وشريكَ نجاح.

تفحّص توماس الجهاز المحمول، تأكد منه، بالفعل **هو جهازه المسروق**، زادتْ غبطته، سيضاعف المكافأة للجميع، أما وليام فله تعاملٌ خاص، سيريه كرم المجمع على أبنائه الأوفياء.

تحدّث توماس، ولهج بشكره الجزيل لكل من شارك في نجاح هذه العملية، كال ثناءً خاصاً لوليام، وذكر طرفاً من تاريخه المشرق، وجهوده المخلصة في خدمة المجمع، ثم أخبرهم بأن العملية لم تنتهِ بشكل كامل، بل إنه أرسل أحد مندوبيه لتقصّي آخر أخبار الهالك.. ياسر الواصلي!

قام توماس بتشغيل حاسبه المحمول، ليتأكد من سلامة ملفاته، وأن ياسر لم يعبث بأي منها..

إلا أن الجهاز لم يشتغل!

استدعى «المختص الفني» على الفور، وأمره بفحص حاسبه، وإخباره عن الأعطال التي فيه، والتي ربما تسبب فيها عبث ياسر!

ثم طلب من وليام أن يُطْلعه على بقية الصور التي التقطها، يريد أن يطلع على التفاصيل كافة، ويمتّع عينيه بجثة العميل الخائن!

كان ينظر إلى تلك الصور بشيء من البهجة والتشفّي، لم يكن معتاداً على رؤية مثل هذه المناظر البشعة، إلا أنه رأى فيها الآن ما يُفرح خاطره!

قطع حديثهما دخول المختص الفني، كان مضطرباً، تمنى لو أن أحداً غيره أُوكلت له هذه المهمة: **«سيدي.. سيدي.. لقد عاينتُ جهازك المحمول، ويؤسفني القول.. بأن «قرصه الصلب» قد.. قد تم نزعه، أحدهم قد قام بتفكيك أجزاء الجهاز الداخلية!»**

تصلّب توماس في مكانه، وتغيّر لونه، أحس بإحباط كبير، لم يشهد له مثيلاً في حياته، نظر إلى وليام!

كان يبادله نظرات الدهشة، والإحباط!

فكر توماس: «**هذ يعني.. أن كل المعلومات التي في الجهاز ليست بحوزتنا الآن، بل هي في مكان آخر!**»

أين يمكن أن تكون؟!

وبحوزة من؟!

لقد تمت تصفية ياسر الواصلي!

وعبير تم القبض عليها في منزلها!

هل يُشاركه في المهمة أعوان آخرون؟!

**أدرك أنه عاد إلى نقطة البداية، وأزمنة التيه السحيقة!**

رن هاتف توماس النقال، من سيكون المتصل في مثل هذا الوقت المتأخر؟!

إنه مندوبه الشخصي، الذي أرسله لتعقُّب (جثة ياسر) في المستشفى، ماذا يريد أن يقول؟!

«**سيدي.. سيدي.. أخبار خطيرة للغاية!**»

«**تكلّم.. ماذا حدث؟!**»، قال توماس.

«**لقد.. لقد.. قتلنا الرجل الخطأ، سيدي.. الرجل المقتول ليس ياسر، لا أدري كيف حدث ذلك، لكن بطاقاته الشخصية تثبت أن.. أن اسمه هو «سامح محمد مروان»، لقد وجدوا وثائقه ملقاة بالقرب من مكان الحادث، و.. و.. وقد حضرت عائلته، وتعرفت عليه!**»

## ٤٩

«لو افترضنا أن «التعدد» شريعة الله في خلقه.. لكان «النساء» أحق بالتعدد من «الرجال»!

(...)، وربما أهم عامل للتعدد بالنسبة إلى «المرأة» هو طاقة المرأة الجنسية التي تفوق طاقة الرجل بدرجة كبيرة، فهي القادرة على أن تمارس الجنس بدون كلل أو ملل لساعات طويلة، بينما الرجل حاله يُرثى له في هذه الناحية، فهو ينطفئ كعود الكبريت عند الاشتعال الأول!»

**وجيهة الحويدر**

**الحوار المتمدن، العدد: ٢٤٢٢**

بالكاد ابتلع **ياسر الواصلي** ريقه.. وهو يشاهد جثة صديقه سامح تحترق، لقد كان من المفترض أن تكون جثته هي التي تُشوى الآن، لم يلتفت إلى معاني التضحية والفداء في هذا الوقت، لا محل لها الآن، عليه أن ينجو بنفسه، فرجال المجمع على الأرجح يقتفون أثره!

لبس نظارته الشمسية، بالكاد يُبصر الطريق، ليس لديه سواها ليخفي معالم وجهه، انطلق بسيارته مسرعاً، كانت سرعته جنونية للغاية، صار يشك في كل شيء حوله، لا بد أن يهرب بأي طريقة، لا يدري إلى أين يذهب، لم يكن يتوقع أنهم سيقتلون سامح، وبهذه الطريقة البشعة!

توقع أن يتم القبض عليه، لا غير!

فكّر ياسر؛ هل مبادلة السيارة مع سامح كانت فكرة صائبة؟!

فعندما تمكّن سامح من فك «الهارد دسك» من حاسب توماس.. لمعت في ذهنه هذه **الفكرة القاتلة!**

حيث أقنع سامح بأن يستقل سيارة النقيب زياد، ويُبقي الجهاز المحمول بحوزته، حتى يقتفي المجمع أثر «شريحة التتبع»، المثبتة بداخله!

لقد ذهب المسكين ضحيةً له!

تحسس ياسر جيبه، ما زال «الهارد دسك» بحوزته، فكرةٌ ذكية منه، إلا أنها قاتلة، ومكلفة جداً!

خرج قلب ياسر من مكانه، وهو يشاهد أحدهم يتبعه بإصرار، زاد ياسر من سرعته، وانعطف يميناً صوب خط الرياض، سيسلكه، لا مفر من ذلك!

لاحظ أن صاحب السيارة يقترب أكثر، وبطريقة مريبة، سيحاذيه بعد لحظات، اقترب من مؤخرة سيارته، لا يدري هل هو يتبعه؟ أم إنه أحد الشباب الطائشين؟!

اضطرب ياسر، وانشغل بمحاولة رؤية ردة فعل صاحب السيارة، هل سيطلق عليه الرصاص؟! هل سيباغته بمفاجأة تنهي حياته؟!

فقد بات يتوقع من المجمع فعل أي شيء الآن!

كان ياسر في المسار الأيسر، حاول صاحب السيارة تجاوزه، لم يسمح له، بل ضيّق عليه الطريق، زاد الاثنان من سرعتهما، قرر صاحب السيارة الخلفية أن يتجاوز ياسر من جهة اليمين، تجاوزه بنجاح، ومن ثم انعطف ناحيته لإفزاعه، والانتقام لعناده، كان أحد الشباب الطائش لا غير، فحصل احتكاك بسيط بين السيارتين..

حاول ياسر أن يسيطر على سيارته، لكن يبدو أنها بدأت تفقد التوازن!

شعر بأن كل شيء يتسارع أمام عينيه، سيارته تتهاوى جهة اليسار، أبداً لم يعد يستطيع أن يوقف زحفها، ولا أن يوجه دفتها، احتضن المقود بكل قوته، وأغمض عينيه، قبل أن يحس بارتطام عنيف..

ومن ثم.. يغيب عن وعيه!

**٥٠**

«مُعظم الذين يدّعون أنهم ليبراليون في السعودية. . «كاذبون»!

هؤلاء «عبثيون»، و«شهوانيون»، وليس لديهم ليبرالية، ولا قناعة بمبدأ»

**د. محمد الهرفي**
**برنامج ساعة حوار**

دخل شابٌ في منتصف العشرينيات المستشفى الذي يرقد فيه **ياسر**، تظهر عليه آثار الخوف، والقلق، كان يضع يديه على رأسه باستمرار، صرخاته تملأ المكان، وجّه للطاقم الطبي كل بذاءات اللسان، اتهمهم بالتقصير في العناية بقريبه (ياسر الواصلي)، وإهمال حالته على حسابِ آخرين، طلب على الفور نقله لمستشفى آخر، وعلى نفقته الشخصية. .

إلا أنه جُوبه برفض موظف الأمن، فالتعليمات لا تسمح بنقل أي مصاب، إلا في حالة واحدة، وهي حضور قريب من الدرجة الأولى، وتوقيعه بالموافقة، مع عدم تحمل المستشفى أية مسؤولية ناتجة عن ذلك.

لم تفلح محاولاته المستميتة، ولا لغته المستعلية، فعاد أدراجه، بعد أن أجرى اتصالاً هاتفياً يطلب حضور زوجة ياسر على الفور، فهي قريبته الوحيدة في المنطقة.

دقق موظف الأمن في البطاقة المقدمة إليه، كُتب في أعلاها: «**سجلّ الأسرة**»، يلي ذلك اسم ياسر الواصلي الخماسي، ثم أسماء أفراد عائلته.

«**هل أنتِ نورة؟**»، قال موظف الأمن.

«**نعم..**»، قالت باكية. . من خلف عباءتها، لم تكن تستطيع إخفاء مشاعرها.

«**ستوقّعين على هذه الورقة لنقل زوجك**»، قال موظف الأمن، وأشار بورقة بين يديه، وأضاف: «**لكن.. ستكون على مسؤوليتكم الكاملة، ولن يتحمل المستشفى أي تبعات**».

أومأت موافقة، فقد تم تجهيز سيارة إسعاف خاصة، أحضروها لنقل ياسر على حسابهم الخاص.

ذهب الجميع إلى غرفة ياسر في الدور الرابع، وجدوه في نصف إفاقة، بالكاد يفتح عينيه، اجتمعت عليه الإصابة، والهلع، وقلة النوم!

**«سيتم نقلك إلى مستشفى سعد التخصصي، فقد تكفلت عائلتك بذلك.. بالسلامة»**، قال موظف الأمن، لم يكن متأكداً هل فهم ياسر شيئاً مما قاله؟!

دخلت عليه **عبير البدر** وهو على حالته تلك، كانت عيناها مغرورقتين بالدموع، ترى حُبها الأول مسجّى على السرير الأبيض، ولا تملك له نفعاً، اجتاحتها مشاعر متضاربة، فأحجمت عن الحديث.

رأى ياسر عبيره..

ابتسم ابتسامةً خجلى، قلبه يريد أن يتحدث، يريد أن يعتذر، يريد أن يطلب منها الصفح والغفران، فقد أساء إليها، وأهانها، بل قام بطردها، واتهمها بالخيانة، وأمر بفضحها على الملأ!

قالت عبير؛ وهي تغالب دموعها: **«ياسر.. لقد تكفلتْ زوجتك بنقلك إلى مستشفى سعد التخصصي، ستأتي بعد قليل، كانت خائفة جداً عليك»**

أومأ ياسر إليها موافقاً، لم يستطع من الإجهاد أن يرد عليها، أو أن يتأسف لها.

أضافت عبير: **«أنت الآن في مأمن، الشرطة أطاحت بالمجرمين، سيُحاكمون قريباً، وسأقف في صفك لو استدعى الأمر»**.

تمتم ياسر: **«وأين سامح؟!»**.

تذكره ياسر، شعر بأسف كبير عليه، سحقوه في زهرة شبابه، لقد راح ضحيةً لفكرة لم يؤمن بها، وربما لا تهمه إطلاقاً، إلا أنه أُقحم

فيها إقحاماً، سيفكر كيف يرد له الجميل، سيفعل شيئاً من أجله، ولكن بعد أن يتماثل هو للشفاء.

أيقن ياسر أن وقت الراحة قد آن، وأن الكابوس قد زال، لم يكن يهتم للإصابات التي تعرض لها، لا تمثل عقبة كبيرة، مجرد بعض الكسور في يديه، وأضلاعه، وبعض الكدمات هنا وهناك، لا يهم كل ذلك، فسيتفرغ الآن لعائلته، لقد أهملهم كثيراً، لن يورط نفسه في مثل هذه المتاهات مرة أخرى؛ سيعود مواطناً صالحاً، لن يخوض غمار الخيانة، ولا التحدث بالوكالة عن آخرين، فكر بأن يعتزل الكتابة نهائياً!

لم يكن متأكداً هل أجابت عبير عن سؤاله، فقد غلبه النعاس.

أدخلوه سيارة «الإسعاف الخاصة»، كانت عيناه تلهجان شكراً للجميع؛ موظف الأمن، الأطباء، الممرضات.. كلهم بلا استثناء، شعر بأنه يولد من جديد.

أغمض ياسر عينيه، سينام في هناء، لا يكدر صفوه أحد، ولا يمسه نكد..

...، إلا أنه سمع أحد مرافقيه يضحك بشكل مزعج، فتح ياسر عينيه، سيُعاتبه، لماذا لا يحترم خصوصية المرضى؟! ولكن هل يقوى على ذلك الآن؟

نظر ياسر إلى كل الأعين التي فوقه، كانت ترقبه باهتمام، وفضول، تأمّل سيارة الإسعاف من الداخل، هي المرة الأولى التي يدخلها.

«**لقد أفاق.. إنه بخير**»، قال أحدهم.

اِلتفت ياسر إلى مصدر الصوت، يَعرفُ منه ويُنكر!

أين رآه من قبل؟!

حاول استرجاع ذاكرته المجهدة، لا شيء يعود!

ساد صمت وسكون..

لمح عبير، كانت منزوية بمفردها، تمتم ياسر على الفور: «**أين زوجتي؟!**»

«**ستأتي.. لا تقلق**»، أجاب أحدهم بسخرية.

أحس ياسر بنيران تشتعل في رأسه، لقد تذكر أين رأى ذلك الشخص الضخم، ذا الأنف المفلطح، والبشرة السوداء الداكنة!

إنه نفسه..

الشخص نفسه بلا ريب، ذلك الذي رأى صورته في بريده الإلكتروني، الشخص نفسه الذي حاول قتله في المستشفى: «**لماذا يوجد معي الآن؟! لماذا أنا هنا؟!**»، حدّث نفسه.

جاهد ياسر ليعتدل في جلسته، آلمته أضلاعه، كأنّ أحدهم يغرز سكيناً في أحشائه، حاول رفع رأسه، لم يستطع: «**إلى أين تذهبون بي؟!**»، قال ياسر جزعاً.

قلّب ياسر نظَره في أوجه الحاضرين، رأى الغدر والخيانة في أعينهم، كانت تتحدث شماتة، واستعلاء..

ثم.. تلاقت عيناه بعيني عبير، كانت نظرةً جوفاء من كل شيء، إلا من الحقد والكراهية، لقد جف ينبوع الحب بينهما، يراها صخرة صماء، ملوَّثة بالوحل والدناءة!

نكّست عبير رأسها، وأشاحت بعينيها بعيداً..

لقد خانته؛ هكذا فكر، وأنقذت نفسها من همس الفضيحة!

كان قلب عبير ينزف، ويبكي، عيناها محمرّتان، وروحها تضجّ، أرغموها.. لم تكن تريد خيانة ياسر، قبضوا عليها بعد هرب ياسر من الفندق، ثم أخضعوها لتحقيقات قاسية، هددوها بنشر فضائحها في كل مكان، تمكنوا من إرادتها، وطلبوا منها تمثيل دور زوجته، والقيام بالتوقيع نيابة عنها.. لنقله لمستشفى آخر.

علّق وليام بول ساخراً: «**لا تقلق.. سنتكفل بعلاجك في أرقى مكان، وعلى حسابنا الخاص!**»

كانوا يتجهون إلى مكان يألفه ياسر تماماً، لطالما دخله متخففاً من ضميره، ودينه، وأخلاقه، وها هو الآن يدخله مُثقلاً بكل شيء! ويداه خاليتان من «كل شيء»!

**تذكر ياسر..**

تذكر أمراً غريباً، قفز بين عينيه فجأة، قفز من دون سابق ميعاد..

لقد تجلّت الغشاوة دونه، لقد فهم المعنى، فهمه جيداً، ولكن.. في لحظات هاربة، ومغتصبة!

فهم.. اللغز الأعظم، ذلك اللغز الذي طالما حاول طمسه، وإخفاءه، والتعامي عن رؤيته!

لقد فهم بحق.. كيف يسمو المرء، ويتعالى، ويرتفع..

...، وفهم الآن تماماً.. كيف يموت المرء واقفاً، وكيف يموت منحنياً، صاغراً، ذليلاً!

**تذكر تلك الرسالة الأخيرة؛ التي وردت من ذلك المجهول**، والتي كانت معلّقة على باب بيته، ربما أنها ما زالت محشورة في جيبه الآن، تشهد بعينٍ لا تَغمض.. كيف يموت الناس، وكيف يحيون!

صديقه المجهول.. بَعث رسالةً أخرى، كتبها ببعض قلبه، وبعض روحه، وبعض شفقته وخوفه، ولكن...!

ياسر.. لا يستطيع الآن الوصول إلى هذه الرسالة، ربما لم يُكتب له أن يقرأها، لقد كانت رسالة خالدة، قُدِّر أن تتعامى الأعين عنها، وتطمسها الأيام، ومن ثم تمضي أحرفها للبحث عن تائه آخر، علّه يقرأها بعين لا تُكابر، ولا تأنف..

كَتب صديقه المجهول رسالته الأخيرة:

**«حبيبي ياسر..**

**أخبِرني؛ متى هي المرة الأخيرة.. التي تأملتَ فيها شجرة شاهقة الارتفاع؟!**

**شجرةً كبيرةً جداً، أصلها ثابت، وفرعها في السماء؟!**

**تأمل ـ يا صديقي ـ حياةَ هذه النوعية الفريدة من الأشجار، هذه النوعية فقط، ولا تَجنح إلى سواها، ستجد بأنها تُصارع لتحيا حياةً علوية، كريمة.. تفعل ذلك من دون انحناء، ولا التفات، ولا خضوع!**

**ستجد ـ حتماً ـ بأنها ولدتْ وعاشت.. بامتدادٍ واستواء مَهيبين!**

**حبيبي ياسر، تذكر أيضاً أن هذه الأشجار.. لا تنحني أبداً، ولا تخضع أبداً، ولا تستكين أبداً..**

**بل.. تموت على هيئة واحدة..**

**هيئةٍ تعرفها جيداً..**

**تموت ـ دوماً ـ واقفة!»**

## ٥١

«أسطولٌ واحدٌ من أساطيل أمريكا وحدها.. أعظم من كل ما عرفته الإنسانية منذ وجودها (!!)»

**إبراهيم البليهي**
**صحيفة عكاظ، العدد: ٢٨٨١**

اطمأن **توماس** حين دخلت سيارة الإسعاف أرض المجمع الثقافي، لقد أصبح ياسر في «مملكته» الآن، وسيفكر بهدوء في طريقةٍ مُثلى للتعامل معه.

حرص على أن يرى ياسر مكبلاً في سيارة الإسعاف، سيلقي نظرة ساخرة عليه.. لا غير، وسيجد متسعاً من الوقت للتحقيق معه!

فُتح له باب (سيارة الإسعاف) الخلفي..

وتلاقت الأعين المتباغضة!

ابتسم.. توماس، وقلبه يَزهو ويُزهر، لقد نال منه كما كان يتمنى!

تنفّس بعمق، وتمتم: «**انتهت اللعبة الآن**»

إلا أن توماس تفاجأ.. بردة فعل ياسر!

فقد كان هو الآخر.. **يُبادله ابتسامةً ساخرة!**

# حديث الصورة

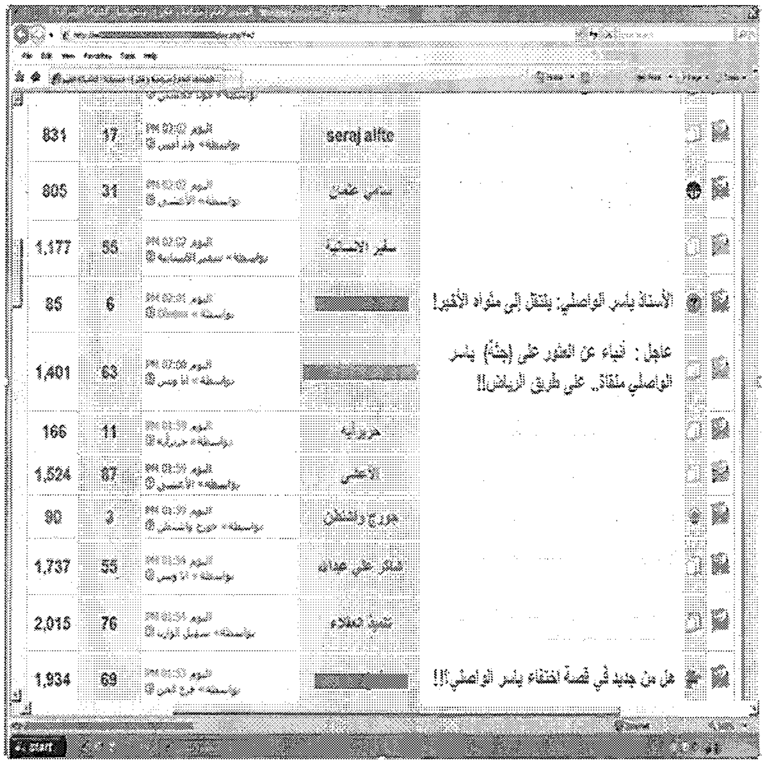
seraj alfte
831
17
805
31
1,177
55
الأستاذ ياسر الواصلي: ينتقل إلى مثواه الأخير!
85
6
عاجل: أنباء عن العثور على (جثة) ياسر الواصلي مقتولاً، على طريق الرياض!!
1,401
63
166
11
1,524
87
90
3
1,737
55
2,015
76
هل من جديد في قصة اختفاء ياسر الواصلي؟!!
1,934
69

# لقطةٌ من هناك

انتهى الخدَم من ترتيب المائدة الفخمة، تأكدوا من جاهزية كل شيء، اهتموا بالتفاصيل الصغيرة، لا بد أن يرتقي الاحتفال إلى سمعة ومكانة **طاقم المجمع الثقافي الجديد**، كانت المائدة ملأى بكؤوس الشراب بمختلف أنواعه، ستمتد السهرة حتى الصباح، لا بد من إدخال البهجة في قلوب الحاضرين، لم ينسوا إحضار بعض الفتيات الحسناوات، سيكون دورهن أساسياً وكاسراً للرتابة والرسمية، والتي عادةً ما تُظلل لقاءاتِ التعارف الأولى.

استبشر **رجل المجمع الثقافي الجديد** حينما رأى منظراً أبهجه، وأدخل السرور إلى قلبه، استبشر كثيراً حينما رأى عدداً من الإعلاميين والإعلاميات المنتمين إلى هذه البلاد.. يصطفُّون بجواره، ويحاول كل منهم كسب ودّه، ولفت انتباهه، حتى إن أحدهم كان يبالغ في إظهار فسوقه بإحدى الفتيات!

ربما للبرهنة على أنه من ذلك الصنف الذي يمكن أن يُعوَّل عليه، ويأتمر بأي أمرٍ كان، من ذلك الصنف الذي يمكن أن يُؤتى به على الجراح.. فتُشفى!

انتشى **الرجل الجديد** لهذا المنظر، وهز رأسه اغتباطاً، وطرباً، فيبدو

أنه كان يتخوف من إمكانية نجاحه في هذه المهمة، والتي جاءت بعد أحداث حساسة للغاية..

**إلا أنه أدرك الآن حقيقةً كانت غائبة عنه، أدرك بأن مهمته هنا.. أسهل مما كان يتوقع!**

**...، ربما أسهل بكثيرٍ وكثير مما كان يتوقع!**

## بالأَسْود..!

**عبد العزيز قاسم**: هناك اتهام يقول: بأن الليبراليين السعوديين.. يستقوون بالخارج، ما مدى مصداقية هذا؟

**عبد الرحمن الوابلي**: ليس ذنبي أن يؤيدني أحد من الخارج،..، ليس ذنبي هذا!

**برنامج البيان التالي، بتصرف**

## بالأَسْود الداكن..!

«نحن في حاجة للغرب أكثر من حاجة الغرب لنا..

لا غنى لأي دولة في العالم عن **السفارات** الغربية **وزوارها**»

**عبد الله بن بخيت**

**صحيفة الرياض، العدد: ١٥٥٨٩**

## القنصل هنا..!

اتصلت بي إحدى الليبراليات السعوديات، وقالت لي:

كنتُ في اجتماع، وكان يحضره «**قنصل**» إحدى السفارات، وكان يتكلم اللغة الإنجليزية، وكان يسأل عنك بالاسم، وعن «بعض تفاصيل شخصيتك، وبعض تفاصيل حملتك»!

**روضة اليوسف، بتصرف**
**برنامج «مثير للجدل» ـ قناة أبوظبي**

# الكَلِمُ الأخير

«هؤلاء أناس بُهروا بما عليه الغرب، ووُظِّفوا لخدمتهم، ونعرف اتصالاتهم بجهات أجنبية، وسنحاربهم، وسنقطع ألسنتهم»

الأمير نايف بن عبد العزيز ـ وزير الداخلية السعودي

تمت